مذكرات وشهادات

وليد الفارس

حمص: الحصار العظيم

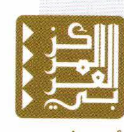
توثيق سبعمئة يوم من الحصار



المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

هذا الكتاب

يوثق الكتاب الحوادث التي اندلعت في مدينة حمص منذ بداية الثورة السورية في عام 2011، ويروي بالتفصيل مسارات الأوضاع في أثناء الحصار الذي خضعت له هذه المدينة، وكيف انطلقت الثورة سلميًا في هذه المدينة العاصية التي صارت "عاصمة الثورة السورية"، وكيف جرى تحويلها إلى حالة عسكرية. ويعرض كذلك للمجازر، مثل مجزرة الحولة وكرم الزيتون والعدوية، ويتحدث عن المجموعات المسلحة واختلافاتها ومرجعياتها، وعن حرب الاستخبارات والمخبرين. ومهّد الكاتب لكتابه بفصل عن تاريخ المدينة وجغرافيتها وبنيتها الديموغرافية وطوائفها الدينية، وعن المؤسسات والشخصيات الفاعلة قبل أن ينتقل إلى الكلام على العيش في ظل الحصار. وجميع الروايات في هذا الكتاب هي محصلة مئات الصفحات التي دوّنها الكاتب بصفته شاهدًا عاش الحصار بتفصيلاته، وسجل فيها وقائع الاجتماعات والرسائل والمذكرات والمقابلات والشهادات وغير ذلك مما شاهدته العين ونقلته الأصابع إلى الأوراق.



المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

السعر: 8 دولارات

ISBN 978-614-445-041-3



حمص: الحصار العظيم

توثيق سبعمئة يوم من الحصار

حمص: الحصار العظيم

توثيق سبعمئة يوم من الحصار

وليد الفارس



الفهرسة في أثناء النشر - إعداد المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

الفارس، وليد

حمص: الحصار العظيم: توثيق سبعمئة يوم من الحصار / وليد الفارس.

215 ص.: إيض.، جداول؛ 24 سم. - (مذكرات وشهادات)

يشتمل على فهرس عام.

ISBN 978-614-445-041-3

1. الحصار - حمص (سوريا) - ثورة 2011. 2. الثورة السورية (2011) - الحصار العسكري. 3. حمص (سوريا) - العلاقات الخارجية - ثورة 2011. 4. المجازر - حمص (سوريا) - ثورة 2011. 5. المخابرات العسكرية - حمص (سوريا) - ثورة 2011. أ. العنوان. ب. السلسلة.

320.95691042

العنوان بالإنكليزية

Homs: The Great Siege
A Chronicle of 700 Days of Blockade

by Walid Al-Fares

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن
اتجاهات يتبناها المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

الناشر



شارع رقم: 826 منطقة 66
المنطقة الدبلوماسية الدفنة، ص. ب: 10277 الدوحة قطر
هاتف: 44199777 00974 فاكس: 44831651 00974

جادة الجنرال فؤاد شهاب شارع سليم تقلا بناية الصيفي 174
ص. ب: 4965 11 رياض الصلح بيروت 2180 1107 لبنان
هاتف: 991837 8 00961 فاكس: 1991839 00961
البريد الإلكتروني: beirutoffice@dohainstitute.org
الموقع الإلكتروني: www.dohainstitute.org

الطبعة الأولى
بيروت، حزيران/ يونيو 2015

المحتويات

قائمة الجداول والأشكال والخرائط

الجداول

الأشكال

الخريطة

مقدمة

كان العالم في الأعوام الأخيرة يعيش عصر الانفتاح والحريات، وكانت سورية تعيش عصر انتكاسات ونكبات. وبعد اندلاع الثورة السورية، حوصرت أغلبية المناطق السورية الثائرة، وكُتمت أنفاسها التي كانت تحاول استنشاق عبق الحرية وعبيرها.

اشتعلت الثورة في مختلف مناطق سورية، وانتفضت حمص عن بكرة أبيها، فكان حراكها قويًا ومؤثرًا وملهمًا بقية مناطق سورية، حتى حازت لقب «عاصمة الثورة السورية». فصبّ النظام جام غضبه عليها، وارتكب فيها ما أمكنه من مجازر، فقاومه ثوارها بإمكاناتهم البسيطة، فحاصر النظام معظم أحيائها.

بقيت المدينة القديمة في حمص، وأحياء أخرى، ترزح تحت حصار خانق عامين كاملين، أكل فيه المحاصرون أوراق الشجر حتى ما عادوا يجدونه، وذبحوا القطط والسلاحف والضفادع[1]، وأكلوا جلود الأبقار، وحشائش الأرض، وتعرّضوا لقصف يومي من أنواع الأسلحة المختلفة، بالرشاشات ونيران الأسلحة الثقيلة وسلاح الطيران، مرورًا بغاز السارين وغيره من الأسلحة الفتاكة.

---

(1) انظر: «سكان أحياء حمص المحاصرة.. «بالكاد يأكلون»»، النهار، 25/ 10/ 2013، على الرابط: <http://www.annahar.com/article/78449>.

وكذلك: «للمرة الرابعة... أكل القطط» على الرابط: <http://www.syrianarmyfree.com/vb/showthread.php?t=58599>.

قيّد الحصار حرية دخول الناس وخروجهم، فانعزلت تلك البقعة الجغرافية المؤلفة من أربعة عشر حيًا عن العالم، الأمر الذي عزّز أهمية إيجاد مرجع مكتوب لتلك الحوادث، ولا سيما بعد حملات التشويه التي أقدم عليها النظام بأنه يُقاتل إرهابيين أجانب أتوا ليخربوا البلاد ويقتلوا الناس، علاوة على الحرب النفسية الإعلامية التي شوّه فيها صورة الثوار في المنطقة المحاصرة، وسفّه قياداتهم، وحطّ من شأن أعمالهم، ودسّ عليهم كثيرًا من الأقاويل تناقلها محسوبون على الثورة السورية وأشاعوها. وما يزيد من أهمية إيجاد مرجع مكتوب، حذف مواقع التواصل الاجتماعي أغلب الصفحات التي وثّقت الحوادث اليومية، فضلًا عن كثير من التسجيلات المرئية التي أثّرت في الناس.

بعد بدء الحصار، أصبحت المنطقة المحاصرة بقعة جغرافية منعزلة كأنها جزيرة مجهولة في محيط واسع، الأمر الذي جعل من الضروري توثيق الحوادث يومًا بيوم وحادثًا بحادث. وها هي هذه الصفحات - التي بين أيدينا - تلخص تلك الكتابات اليومية للحوادث، وتوثّق حياةً عاشتها آلاف الأرواح في المنطقة المحاصرة.

هذه الأوراق بحث توثيقي نتاج مئات الصفحات التي دونْتها في أثناء الحصار؛ اجتماعات ورسائل ومذكرات ومقابلات، تُختزل كلها في هذا الكتاب الذي يسرد قصة الحصار والمحاصرين.

تلك أيام عشت تفصيلاتها، وكنت قريبًا فيها من الجميع، مدنيين وعسكريين وناشطين. ولذا حملت عبء نقل هذه المشاهدات والحوادث إلى العالم في كتاب مختصر موضوعي، ينأى عن مواطن الاتهامات والظنون والشكوك.

على الرغم من أنني أركّز في الحديث عن حصار حمص وما رافقه من حوادث، فإنني أتناول مسارًا سبق حوادث الحصار وكان بمنزلة مقدمة لها. ويبدأ هذا المسار الذي لا بد من التطرق إليه في محافظة حمص نفسها، بجغرافيتها وتاريخها وديموغرافيتها، ويلج درب الثورة وبداياتها في حمص، ويمر بالحديث عن المؤسسات والشخصيات والمناطق... إلخ، وصولًا إلى بداية الحصار وكيفية بدئه، محاولًا الاختصار ما استطعت.

أؤكد أن الحديث عن الثورة في حمص وحوادثها بشكل عام ليس هو المقصود في حد ذاته، لكن للحصار مقدمات لا بد منها؛ فـ **الفصل الأول** يشمل مسائل مهمة تحدثنا فيها عن التركيبة السكانية والدينية والعرقية، وتوزعها في المدينة والريف، وعن كيفية بدء الثورة فيها وكيف جرت عسكرتها، وعن الكتائب الأولى التي تأسست فيها، وعن المجازر التي ارتُكبت في حمص والاستقطاب الطائفي وأسبابه، ثم ذكرنا فيه المجازر التي أشعلت حمص خصوصًا وسورية عمومًا، كمجزرة الحولة وكرم الزيتون والعدوية، وحوادث ساحة الحرية التي كانت حادثًا مفصليًا. كما تناولنا في هذا الفصل مناطق من حمص، وإن كان أغلب أحياء حمص انتفض ضد النظام، فسلّطنا الضوء على المناطق التي كانت أساس العمل المسلح، وتوجهها الأيديولوجي، ثم على العلاقة بين الريف والمدينة وصعوبة التنسيق بينهما. علاوة على محاولات تنظيم الجهد، تناولنا مؤسسات حمص الثورية التي كانت عناصر أساسًا في العمل الثوري، قبل الحصار وفي أثنائه، في محاولة منا لوضع القارئ في المشهد العام في مرحلة ما قبل الحصار وخلاله، ليكون بذلك قادرًا على التحليل والاستنتاج.

أمّا في **الفصل الثاني**، فإننا انتقلنا إلى الحديث عن الحصار، قصته (كيف بدأ واستمر)، والعيش فيه في ظل أوضاع قلّما مرّ بها إنسان على وجه الأرض. وتناولنا عمليات الإمداد في ظل الحصار، وكيف جرت. وتحدثنا في **الفصل الثالث** عن مؤسسات الحصار، والكتائب العسكرية البارزة وتكوينها واختلاف مناهجها ومرجعياتها، والمحاولات التي بُذلت لتوحيد الجهد في الحصار، ومآلاتها. وجرى في **الفصل الرابع** الحديث عن معارك حمص المحاصرة، وعن أبرز المعارك التي جرت في المنطقة المحاصرة والمعارك التي حاول الثوار من خلالها فك الحصار عن حمص، أكانت من الداخل أم من الخارج، وعرضنا ردات فعل النظام على تلك المعارك، ودور الكتائب خارج منطقة الحصار في هذه المحاولات.

في **الفصل الخامس** سرد للحرب التي دارت من دون قتال بين الثوار والنظام، وهي حرب الاستخبارات والمعلومات التي حاول النظام من خلالها

زرع مخبرين وتشتيت الشمل وتفريق الصف. وفي الفصل السادس دار الحديث حول العنصر البشري الذي عاش في المنطقة المحاصرة، والكفاءات التي كانت تحتاج إليها المنطقة المحاصرة للعمل والاستمرار والإدارة، وحول الفجوة الكبيرة التي كانت موجودة بين الحاجات والمتوافر. وعالجنا في الفصل السابع علاقة المنطقة المحاصرة بالخارج من داعمين ومؤسسات سياسية وعسكرية وإعلامية وبعثات ولجان دولية، وكيفية تعامل المنطقة المحاصرة معها. وختمنا في الفصل الثامن بالمفاوضات التي تمخض عنها خروج الثوار من المنطقة المحاصرة، معلنين نهاية الحصار بعد نحو سبعمئة يوم.

يأتي جهدنا المتواضع محاولة للوصول إلى جملة أهداف:

- توثيق أبرز الحوادث التي حصلت في المنطقة المحاصرة، مثل أسلوب العيش والمعارك والتعاملات.

- التعريف بقصة الحصار، وكيفية وصول الثوار إلى تلك الحالة والأوضاع التي مرّت بهم، وكيفية تعايشهم معها، والجهد الذي بُذل للتغلب عليه.

- ترتيب المشاهد التي مرّت بالثوار في المنطقة المحاصرة ومراحلها. وبالتالي وضع إطار عام لفهم الحالة التي وصل إليها الثوار في نهاية المطاف، وما أدى بهم إلى مغادرة المدينة.

حاولنا في هذا الكتاب التركيز على المعلومة - كما هي - مبتعدين عن التحليل والتأويل ما استطعنا، تاركين الحكم للقارئ الفطن، آملين أن يكون لنا كتاب آخر - أو أكثر - يتناول قضايا فرعية من الموضوعات المدرجة أعلاه، بعين النقد والتحليل والتقييم، بالاستناد إلى أسس نظرية علمية.

عند الاضطرار إلى الإشارة إلى أمر ما، أو ملاحظة - خارج إطار المعلومة ذاتها - فإننا نضعها في مربع منعزل عن النص الأساس، ليميز القارئ الأمور، ولا تختلط عليه المسائل، كما أدرجنا ترجمة (تعريف) الشخصيات الواردة في النصوص في حاشية الصفحة، كي لا نشوش على متن النص. كما رتبنا المعلومات وفق فصول بحسب العنوان، لا بحسب الفترة الزمنية، أي من

الممكن أن نذكر فقرتين في فصل واحد، جرت حوادث الأولى في بداية الحصار، والثانية في نهايته، لكنهما في الموضوع نفسه المحكي عنه.

أخيرًا، على الرغم من أن حصولي على المعلومات الواردة في متن هذا الكتاب كان طبيعيًا نتيجة أعمالي اليومية - مع الجميع - في المنطقة المحاصرة، فإنني بذلت جهدًا كبيرًا في اختزال ذلك الكم الكبير من محاضر الاجتماعات وجلسات العمل ورسائل البريد الإلكتروني، وساعات تواصل، ومن ثم إخراجها وترتيبها بطريقة موضوعية مختصرة ونافعة كي نضعها بين أيديكم.

الفصل الأول

حمص: عاصمة الثورة السورية

أولًا: التركيبة الديموغرافية والتاريخ

بلغ عدد سكان حمص عام 2004، بحسب إحصاء المكتب المركزي للإحصاء في سورية، 1.5294.02 نسمة، وبلغ عام 2011، بحسب سجلات الأحوال الشخصية، نحو 2.147.000 نسمة[1].

تبلغ مساحة محافظة حمص أربعة ملايين هكتار، وتُعَدّ أكبر محافظة سورية من حيث المساحة، ويعمل ربع سكانها بالزراعة. وتتمركز حمص في وسط سورية، وتتبع إقليم المنطقة الوسطى مع جارتها حماة. وتمتد من الحدود السورية - العراقية في البادية السورية، وحتى الحدود السورية - اللبنانية في القصير وتلكلخ[2].

1 - التركيبة الدينية

يقيم في محافظة حمص سوريون من الطوائف المختلفة. ويُعَدّ المسيحيون أقدم سكان المنطقة من حيث العمق التاريخي، ويقيمون في وسط المدينة ومحيطها. كما يقيم المسلمون بطوائفهم في وسط المدينة ومحيطها. وبحسب الدراسات التي أجراها عدد من المهتمين بحمص، يمكننا أن نقدّر عدد السكان بحسب الطوائف كالآتي[3]:

---

(1) انظر: المكتب المركزي للإحصاء في سورية، «المجموعة الإحصائية لعام 2011،» على الرابط: <www.cbssyr.sy>.

وتختلف إحصاءات السجل المدني عن إحصاءات الإقامة بإدخال أهل حمص الذين يسكنون خارج المحافظة وخارج البلاد.

(2) منير الخوري عيسى أسعد، تاريخ حمص، ج 2 ([حمص]: مطرانية حمص الأرثوذكسية، 1984).

(3) كنت أعددت دراسة خاصة عن التركيب الطائفي في حمص، أرسلتها إلى مجلس محافظة حمص في الشهر الأول من تأسيسه في بداية عام 2013، واعتمدت في تقدير الأرقام فيها على الخدمات =

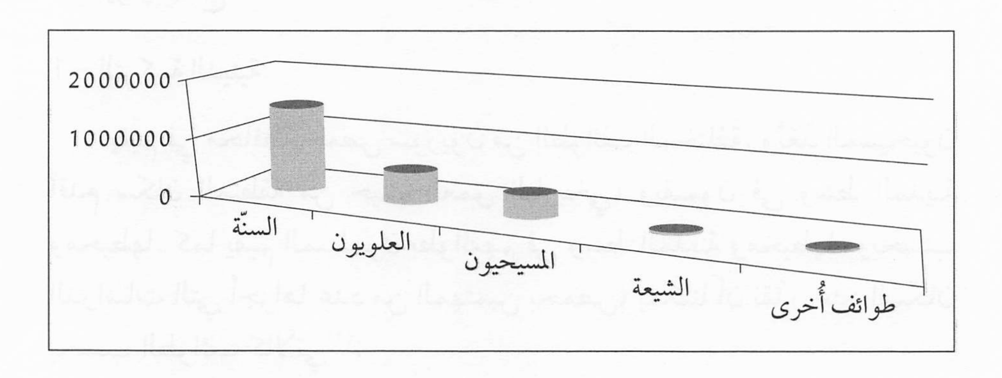
الجدول (1-1)

عدد السكان بحسب الطوائف في حمص في 2011

الطائفة/ المذهب	النسبة المئوية	العدد
المسلمون السنّة	65.5	1445000
النصيرية (العلويون)	20	440000
المسيحيون	12	265000
الشيعة	1	22000
طوائف أخرى	1.5	35000
المجموع الكلي	100	2205000

الشكل (1-1)

عدد السكان بحسب الطوائف في حمص ابتداء من عام 2011



= المقدمة من البلدية لكل حي وقرية، إضافة إلى الدراسات التالية: جامعة كولومبيا، كلية الشؤون الدولية والعامة، «التركيب الطائفي في سورية،» **نيويورك تايمز**، 2009؛ عبد القادر أبو فراس، «خارطة توزيع الإثنيات في سورية،» العربية نت، 29/ 3/ 2013؛ خارطة تعود إلى عام 1935، من إعداد القسم الطوبوغرافي في القوات الفرنسية، المعهد الفرنسي للشرق الأدنى في بيروت؛ وزارة الخارجية الأميركية، تقارير حرية الأديان، 2010، على الموقع <www.uscirf.gov>؛ بحث بعنوان «تعرّف أكثر على فسيفساء سورية،» على موقع مواطن سوري <SyrianCitizen.com>؛ عبد الله زيزان، «الطائفية في سورية... النشأة والمآلات،» مركز أمية للبحوث والدراسات، 5/ 7/ 2012. إضافة إلى دراسات أخرى.

يسكن أغلب العلويون القرى الغربية من حمص، وعددًا من الأحياء في شرق المدينة وجنوبها، مثل أحياء الزهراء والنزهة وكرم اللوز، وضاحية الوليد وعكرمة، ويعدّ وجودهم في المدينة حديثًا نسبيًا.

أمّا الشيعة، فيقطنون في منطقة العباسية في شرق حمص، وجزء من منطقة البياضة، علاوة على قرى غرب حي الوعر على طريق مصياف (الرقة والمزرعة والزرزورية)، وكذلك قرى في شرق الريف الشمالي، مثل المختارية وكفر عبد.

2- التركيبة العرقية

يتحدر جل سكان حمص من العرب، ويقيم فيها عدد من الشركس والداغستانيين والتركمان والأرمن. ويتركز أغلب التركمان في قرى الحولة، في حين يقيم الشركس في منطقة «حارة الشراكس» في البياضة، وكذلك «جمعيات الشراكس» في الوعر، وفي قرى الريف الشمالي مثل ديرفول وعسيلة. كما يقيم في حمص عدد قليل من الأرمن والأكراد. وقد سجلت الدراسات التاريخية وجودًا لليهود في حمص القديمة منذ فترة ليست ببعيدة، لكن ما عاد لهم وجود في المدينة[4].

3- العشائر

هي من قبائل مختلفة لها انتماءات بدوية عدة، مثل الفواعرة والعقيدات وبني خالد، والتركي... إلخ. وتقيم غالبًا في ضواحي المدينة ومداخلها، مثل دير بعلبة وحي عشيرة وبابا عمرو والوعر والخالدية والبياضة، ومناطق أخرى. وقد طغت على أغلبها صبغة الحياة الحضرية، وباتت تقيم في أحياء المدينة، ويعمل أكثر أفرادها في التجارة والنقل[5].

---

(4) لمزيد من المعلومات انظر: «تعرّف أكثر على فسيفساء سورية،» وإلى كتب تاريخ حمص، مثل كتاب الأستاذ غازي التدمري، وكتاب الخوري أسعد.

(5) انظر الهامش (4) أعلاه.

4- الجذور التاريخية

يعود تاريخ حمص إلى العام 2300 ق. م.، ويُقال إن اسمها كان في الأصل «إميسا»، ويعني بالآرامية «الأرض اللينة» أو «الممهدة». وقيل إن أصل الاسم «خُمس»، وقيل «حِمث»[6]، وقيل غير ذلك. وقد فتحها أبو عبيدة عامر بن الجرّاح في عام 633 م.[7].

لُقّبت حمص بـ «الكويفة»[8] بسبب كثرة شكاوى أهلها واعتراضهم الدائم على أسلوب الحكم. وكان استقر فيها أكثر من تسعمئة صحابي من صحابة الرسول، كما دُفن فيها عدد من القديسين المسيحين.

برز من المدينة أمراء وأميرات كثر في عهد الإمبراطورية الرومانية. وينتمي إليها من العصر الحديث الرئيس هاشم الأتاسي وعدد كبير من الزعماء والمعارضين حتى الأعوام الأخيرة.

هاجر في عهد الرئيس السوري السابق حافظ الأسد كثير من سكان الريف إلى حمص، ولا سيما من الطائفة العلوية الذين ازداد عددهم حتى أصبح لهم أحياء كاملة لم تكن موجودة، مثل الزهرة والنزهة وعكرمة وضاحية الوليد. وكانت هذه الهجرات تعود في أغلبها إلى تيسير الحكومة توظيفهم في دوائر الدولة.

شاعت في بداية عام 1990 فكرة نقل مركز المدينة إلى دوّار الرئيس (دوّار الجامعة) عند المدخل الجنوبي للمدينة. وفي عام 2008، في عهد المحافظ إياد غزال[9]، طُرح مشروع حلم حمص الذي هدف إلى قلب بنية حمص وهدم السوق القديمة والأسواق الأخرى، والمراكز التجارية، وبنائها في

---

(6) خُمس: كناية عن إعادة إعمارها خمس مرات كما في بعض الروايات، وحِمث اسم آرامي لرجل كان له الفضل ببنائها كما تذكر روايات أخرى.

(7) الكامل في التاريخ لأبي علي الشيباني الجزري، وأيضًا الممالك والمسالك للإصطخري، وغيرها من كتب التاريخ.

(8) كناية عن كثرة شكاوى أهلها، فشبهوهم بأهل الكوفة، ولقبوها الكوفة الصغرى: «الكويفة». وسُردت روايات عدة عن شكاوى أهلها، منها ما صح ومنها ما هو ضعيف.

(9) يتحدر المحافظ غزال من لواء إسكندرون، وتعدّ عائلته من كبرى عائلات الطائفة العلوية.

شكل حديث. وعارض أهل حمص هذا المشروع، لأنهم رأوا فيه إعادة توزيع ديموغرافي على حساب مصالحهم ووجودهم[10].

يوجد في حمص مقام الصحابي خالد بن الوليد الذي اشتُهر عنه أنه دُفن فيها[11]. كما أن فيها مقامات أخرى لصحابة وصالحين. وتؤوي المدينة عددًا من الكنائس القديمة والأثرية، مثل كنيسة السيدة مريم (أم الزنار). ويُعتقد أن للمدينة مكانة مهمة عند الطائفة العلوية[12]. وقد انتشرت فيها - في عهد الرئيس بشار الأسد - حسينيات شيعية عدة، وأُقيمت في مسجد المصطفى في حي البياضة فروع تعليمية إيرانية لتدريس المذهب الشيعي.

ثانيًا: الثورة السورية في حمص والانتقال نحو العسكرة

1 - تظاهرات عارمة غير متوقعة

في منتصف آذار/ مارس 2011، اندلعت التظاهرات الأولى في حمص بأعداد غير متوقعة؛ فالمحافظة المستقرة الهادئة التي يوسم أهلها بـ «طيبة القلب» واجتناب المشكلات، ويوصفون أحيانًا بـ «الدراويش»، ما كان أحد يتوقع أن تخرج فيها تلك الأعداد الغفيرة؛ ففي «جمعة العزة» (ثاني أيام الجمعة من الثورة)، تعالت في مركز المدينة الهتافات المطالبة بالحرية والكرامة، وحُطمت صورة حافظ الأسد وابنه بشار عند مدخل مبنى نادي الضباط. وشارك في هذه التظاهرات الأولى آلاف الأشخاص من مختلف الفئات.

---

(10) «مشروع حلم حمص... كابوس المواطنين وحلم المحافظة،» البناء، 18/ 3/ 2008. أيضًا: «حلم حمص... دراسة استراتيجية،» جريدة العروبة، 21/ 7/ 2010.

(11) يروي ابن عساكر في تاريخ دمشق، أن قبر خالد بن الوليد في المدينة، وله دلائله، ويؤكد أغلب المؤرخين أنه دُفن في حمص، وسُمّي الحي الذي فيه مقامه الخالدية تيمنًا باسمه.

(12) ذكرت الكتب التي تتحدث عن تاريخ النصيرية/ العلوية، أن لحمص مقامًا دينيًا لأهل الطائفة، انظر: تقي شرف الدين، النصيرية.. دراسة تحليلية، كتاب إلكتروني على الرابط:
<ebooks.net/8985-free-book>؛
كذلك: محمد بن إبراهيم الحمد: رسائل في الفرق والمذاهب، والنصيرية: حقيقتها - تاريخها - عقائدها، على الرابط: <www.saaid.net>.

بعد الاعتصام الكبير في ساحة «الساعة» في 18 نيسان/ أبريل 2011، وهو الاعتصام الذي استُشهد نتيجة قمعه عدد غير محدد حتى الآن[13]، لم تستطع التظاهرات مواصلة زحفها نحو مركز المدينة. وبعد أن بدأ النظام إطلاق الأعيرة النارية لمنع التجمع، راحت التجمعات تطوف الأحياء الداخلية والشوارع الفرعية للالتقاء بتظاهرات الأحياء الأخرى، من دون الخروج إلى الساحات الرئيسة، مثل مركز المدينة. وكان آلاف الشباب يعبرون شوارع حمص بعد صلاة الجمعة رافعين يافطات تطالب بإسقاط النظام.

بدأ النظام حينذاك بتوزيع القناصين في الأبراج العالية، وأرسل الدبابات إلى الشوارع، وأقام الحواجز على الطرقات العامة لمنع التقاء هذه التظاهرات، لكن الشباب الثائر وجد وسيلة أخرى للتظاهر، وهي التجمع في ساحات الأحياء الداخلية وتصوير التظاهرات وبثها من خلال وسائل التواصل على الإنترنت، وكان ينقلها أحيانًا مباشرة إلى قنوات مثل «الجزيرة» و«العربية» و«أورينت» وغيرها من القنوات الفضائية المشهورة[14]. وأصبح الناس يشاهدون تلك التظاهرات وأعمال القمع والعنف ضد المتظاهرين على شاشات التلفاز في بيوتهم.

ابتكر الشباب الثائر ألوانًا من الفنون للتنافس بين الأحياء والمناطق المختلفة لجذب أعدادٍ أكبر من المتظاهرين؛ فكانت بعض المناطق تعرض مسرحية، وأخرى تقدم تراثًا حمصيًا بأهازيج ثورية، أو تنصب خيامًا تقيم فيها ندوات شعرية وثقافية... إلخ. وعلى الرغم من أن الثوار كانوا ينشرون وحدات للرصد والمراقبة لفض تلك التجمعات في حال داهمتها الوحدات العسكرية، فإن النظام لجأ إلى إطلاق «شبيحته» وأجهزة أمنه في سيارات مدنية على مثل هذه التجمعات، ومن ثم عمد إلى قصفها عن بُعد.

---

(13) سنأتي إلى ذكر هذه الحادثة بالتفصيل في الفقرة التي نتناول فيها المجازر.

(14) اعتمد الشباب في عملية النقل بداية على خط الـ «ثري جي» الذي يقدم خدمة الإنترنت بسعر رخيص نسبيًا، إضافة إلى آلة تصوير جيدة، وحساب على أحد مواقع الإنترنت التي تقدم خدمة البث المباشر، ويُرسل الرابط إلى القناة التلفزيونية فتنشرها. ولما قُطعت الاتصالات بدأ استخدام أجهزة الإنترنت الفضائي المحمولة (بيغان، ثريا آي بي)، غير أن كلفة هذه الخدمة كانت باهظة جدًا.

قام النظام في هذه الفترة بحملات دهم للمناطق الثائرة لاعتقال ما أُطلق عليه «رؤوس الثورة»، ظنًا منه أنه باعتقال ناشطيها ستنتهي الثورة في حمص، فاعتقل شخصيات معارضة مثل نجاتي طيارة، ومشايخ وخطباء مثل الشيخ مصطفى الحامض ورامي الدالاتي، وأطباء ومثقفين مثل الصيدلي بدر الدين النمر والدكتور جلال النجار. كما استهدف شخصيات قيادية نشطة، مثل هادي الجندي وجمال الفتوى وعبد الباسط الساروت[15]. وكان الأخير نجا من محاولات قتله مرات عدة. لكن هذا الأسلوب لم ينجح في وقف التظاهرات.

2- نشوء أمن التظاهرات وأيام نفيسة للثورة السلمية

دفع إرسال النظام السيارات المدنية إلى الأحياء لإطلاق الرصاص[16] إلى إنشاء ما عُرف بـ «أمن التظاهرات»، وقوامه شبان كانوا يقفون على بُعد كافٍ من التظاهرة لرد مثل هذه الاعتداءات. وكان هؤلاء الشبان يحملون في البدء سلاحًا شخصيًا، من مثل مسدس أو بندقية صيد، ثم بدأت محاولات اقتناء بنادق روسية. وتلا ذلك حركات انشقاق عناصر الحواجز العسكرية[17] ممن عاينوا استهداف القناصة للمارة، أو تلقوا أوامر بإطلاق الرصاص على تظاهرات سلمية أو على أشخاص لا يقومون بأي نشاط ثوري. وكان أغلب المنشقين يلتحقون بالثوار في البداية من دون سلاح، ثم أخذ من تلاهم من المنشقين يلتحقون ومعهم سلاحهم الفردي الخفيف، وانتشرت ظاهرة الانشقاق بين العناصر المجندين.

بدأ عدد أفراد «أمن التظاهرات» بالازدياد في مقابل تناقص أعداد المتظاهرين بسبب استهدافهم (ارتفاع عدد المسلحين في مقابل عدد الشبان المتظاهرين). وبدأت أعداد أفراد الخلايا المسلحة ترتفع في مختلف المناطق. وأصبحت مهمة

---

(15) مقابلة مع عبد الباسط الساروت في 11/ 10/ 2013، أجراها الكاتب في حمص.

(16) هي سيارات تُقل عناصر أمن بلباس مدني، وتمرّ عبر شوارع الحي، فتُطلَق منها أعيرة نارية على كل مجموعة، حتى لو كانت مكوّنة من بضعة أفراد، فتقتل منهم من تقتل، وتصيب المارة، بل تتعمد ذلك أحيانًا.

(17) تأسيس حركة الضباط الأحرار: مقالة على موقع «كلنا شركاء»، على الرابط:
<www.all4syria.info/Archive/15545>.

هذه الخلايا، إضافة إلى حماية التظاهرات، الرد على قنص أحد سكان الحي بمهاجمة الحواجز العسكرية ليلًا، حتى ازدادت هذه الهجمات بشكل كبير.

انتشر السلاح بشكل ملحوظ في الأحياء الشعبية، مثل البياضة والخالدية ودير بعلبة وغيرها. وحافظت الأحياء الغنية على سلمية التظاهرات فيها لوقت أطول، بوجود قوة ثورية مسلحة لحماية تلك التظاهرات. وبدأت الحواجز العسكرية تضيّق على أهل المدينة أنفاسهم، وبدأت تودّع كل يوم العشرات من أبنائها الذين قُتلوا قنصًا أو «رشًا» برصاص الرشاشات، أو ماتوا في المعتقلات.

عاشت المدينة، بفضل الأمن الجزئي الذي وفّرته مجموعات الحماية، شهورًا عدة في فضاء رحب من الحرية و«الأيام الذهبية»، انتشر فيها العمل الثوري واللقاءات والتعارف بين ثوارها. وبرزت في الساحة شخصيات مثقفة، وشخصيات معارضة، ومؤسسات أكثر تنظيمًا من التنسيقيات، في محاولة لرص الصف الثوري وتنظيم شؤون الثورة. وامتدت هذه الفترة من نهاية الشهر التاسع من العام الأول لاندلاع الثورة حتى بداية عام 2012، حين بدأت القذائف والصواريخ تنهمر على حي بابا عمرو الذي أحاطت به عشرات الدبابات والآليات.

3- نشوء الخلايا المسلحة

كانت ردة الفعل من أبرز أسباب عسكرة الثورة في حمص؛ فالنظام سلّح أتباعه والموالين له على أساس طائفي، وبدأ بارتكاب المجزرة تلو الأخرى، وعمد إلى إطلاق الرصاص على التظاهرات من دون أي اعتبار، إضافة إلى عمليات قنص المارّة التي شلّت حركة المدينة، وعمليات الاعتقال العشوائي التي أدى بعضها إلى الموت تحت التعذيب، ذلك كله دفع أهل حمص إلى التسلح دفاعًا عن أنفسهم. وساعد وجود التجمعات العشائرية في المدينة على استشراء هذه الظاهرة؛ فهي مجتمعات يعدّ السلاح من تراثها؛ إذ ترى فيه عزة وكرامة دائمين، ولها روابط بالحدود السورية - العراقية وغيرها، وصلات مكّنتها من إدخال السلاح. وقد كان لأهل المنطقة الشرقية والمنطقة الجنوبية من المدينة دور مهم في توريد السلاح آنذاك. وسنتناول في الصفحات التالية بتفصيل معمّق هذه الحوادث التي جعلت السلاح ملجأ للثوار لا بد منه.

في البداية، اعتمد تكوين الخلايا المسلحة في مدينة حمص على تجميع الأصدقاء والأقارب لأسباب أمنية، الأمر الذي جعل من الصعب اختراقها. لكن هذه الطريقة أبقت أعداد أفراد هذه الخلايا قليلة (من خمسة إلى عشرة أشخاص في الخلية)، وقلّص التنسيق في ما بينها، ولم ترقَ إلى مجموعات منظمة[18].

كان لكاريزما الأفراد دور مهم في بروز القادة، فلم يكن للكفاءة أو الجدارة أولوية، بقدر ما كان للحضور والقدرة على التأثير؛ ففي فترة قصيرة جدًا، برز في كل منطقة أفراد تمتعوا بكاريزما مميزة أهّلتهم للقيادة في تلك المناطق، بغضّ النظر عن عدد أتباعهم أو قدراتهم العسكرية والفنية. ولم تقم المجموعات المسلحة على فكرة التخصص، على الرغم من تخصص بضع مجموعات فحسب في شؤون النقل والإمداد. كما مارست مجموعات القرى الحدودية دورًا كبيرًا في عمليات الإمداد، وساعد في تكوين مجموعات الإمداد والنقل المهربون المتمرسون بالدخول والخروج عبر الحدود.

أمّا عتاد أي مجموعة مسلحة مثالية، فلم يتجاوز بنادق الكلاشنكوف، وقواذف «آر بي جي»، والرشاشات «بي كي سي»، وذخيرة لا تتعدى ألفي رصاصة في أقصى حد. ولم يكن ثمة مركزية في العمل المسلح. واعتمدت المجموعات في تمويلها على أقارب أو معارف يعيشون خارج سورية في الأغلب. وكان قائد المجموعة يتخذ قراراته في ردة فعل على حوادث معيّنة أو على تصرفات النظام، لا بناءً على نهج أو خطة معدّة مسبقًا.

بعد مضي وقت من الزمن، بدأت بعض المجموعات تمارس نوعًا من التنظيم في عملها العسكري، كأن تقوم بإنشاء معسكر للمتطوعين الجدد، أو تقديم وجبات طعام جاهزة للمقاتلين، الأمر الذي عزّز وضع تلك المجموعات بين قريناتها، ورفع أعداد المتطوعين في صفوفها بشكل كبير[19].

---

(18) مقابلة أجراها الكاتب في حمص مع أبو محمد بحلاق قائد كتائب أتباع الرسول في 8/4/2013.

(19) مقابلة أجراها الكاتب في حمص مع أبو باسل الأحمد قائد معسكر الفاروق في الخالدية في 9/8/2012.

بلغ عدد مجموعات حمص القديمة - على سبيل المثال - في بداية عام 2012 أكثر من خمسين مجموعة في أقل تقدير. واعتمد أغلب هذه المجموعات في البداية على تمويل ذاتي أو تمويل على أساس القرابة أو الصداقة؛ إذ باع بعضهم مجوهرات زوجته أو سيارته، أو ما تيسر له، من أجل شراء بندقية للدفاع عن أهله وحارته.

4- من الخلايا إلى المجموعات

بعد الهجوم الكاسح الذي شنّه النظام على مناطق عدة في مدينة حمص، برزت الحاجة إلى تجميع هذه الخلايا، فقامت التجمعات الجديدة لأسباب تتعلق بالإمداد، والحاجة إلى مزيد من التنسيق والتعاون بينها، فتشكّلت مجموعات أكبر توزعت في المناطق المختلفة، وتميزت بما يلي:

- بناء بسيط اعتمد على خلايا صغرية (سرايا)، تتجمع وتنسق بينها عن طريق قائد الجماعة (الكتيبة)، من دون اندماج في الأغلب، ما يعني اتسامها بالقدرة على العودة إلى حالتها الأولى (التفكك) في أي لحظة، مع غياب جهاز إداري في أغلب هذه التجمعات. ونجحت بعض الكتائب في إيجاد جهاز إداري وخدمي عزز قوتها، كما تمكنت الكتائب التي اندمجت اندماجًا تامًا من إحداث تغيير.

- اقتصار تطلعات هذه الكتائب على أهداف استراتيجية بعيدة الأمد غير واضحة التفصيلات (إسقاط النظام، تحرير حمص، الجهاد في سبيل الله... إلخ)، من دون وجود برامج عمل تفصيلية أو خطط ممكنة التحقيق.

- قلة حضور المثقفين والواعين والعسكريين المتخصصين بالتخطيط لهذه الكتائب أو الإشراف عليها أو توجيهها.

- قيام التجمعات (الكتائب) على أساس الحارة، المنهج، الأسرة... إلخ، الأمر الذي صعّب وجود رابط مشترك بينها، وجعلها بعيدة الالتقاء في الأمد القصير.

- ضعف موارد الكتائب والتجمعات ماليًا ولوجستيًا.

- قلة الخبرة العسكرية لأفراد الكتائب، واقتصار تدريبهم على «تدريبات الخدمة الإلزامية» التي خاضها معظمهم في أوقات سابقة، وأتت الخبرة المكتسبة من المعارك الدائرة. كما اتسمت هذه الكتائب بعدم الاهتمام بالتطوير الفردي على مستوى اللياقة أو الثقافة العسكرية، أو التكتيك، أو التخطيط، إلا في حالات نادرة.

5- كتيبة خالد بن الوليد وكتيبة الفاروق ومآل اتّباع خط الدعم

ضمّت كتيبة خالد بن الوليد[20] (الكتيبة الأقدم في حمص؛ أُنشئت في تموز/يوليو 2011) عددًا من السرايا اسميًا، كانت تقدم لها الذخيرة وبعض المصاريف المالية، لكنها لم تتخذ شكلًا منظمًا، ولم تكن ذات تمويل كبير، الأمر الذي ساهم في اندثارها سريعًا. ثم برزت كتيبة الفاروق بوصفها أول كيان عسكري منظّم في بداية تشكيل المجموعات المسلحة (تشرين الأول/نوفمبر 2011)[21]، وقامت على أساس تجميعي لا انتقائي، فقدمت مصاريف شهرية للمقاتلين، وذخيرة ومسدسات وبنادق فردية، وأقامت معسكرات تدريب أولية في أكثر من منطقة[22] لتأهيل المتطوعين، وأنشأت مكتبًا إعلاميًا، وصارت مثلًا جيدًا لكتائب الجيش الحر التي يُعوّل عليها في تحرير سورية. ثم برزت في المدينة - كما في عموم سورية - ظاهرة «التأدلج المصلحي»[23]، فمع ارتفاع تكاليف التسلح، اتجه بعضهم إلى «التسلفن البراغماتي»[24] طمعًا في الحصول على التبرعات الخليجية، وإلى «التصوف البراغماتي» لكسب رضى طلاب العلم في حمص الذي يُحسب أكثرهم على المنهج الصوفي. وربما أفرز المتجهون نحو المنهج السلفي مشكلة أكبر في مزايداتهم من حيث النبرة والحديث والتصريح والتسميات بعيدًا عن القناعة والمعتقد المقتصد، الأمر الذي أوقع حمص - بل سورية كلها - في ورطة كبيرة.

---

(20) لقاء مع مؤسس كتيبة خالد بن الوليد، قناة سورية الشعب، في 24/ 1/ 2012.

(21) صدر أول مقطع مصور عن كتيبة الفاروق في 3/ 11/ 2011.

(22) كالمعسكرات التي أُنشئت في مدرسة زنوبيا في حي الخالدية مثلًا.

(23) اتباع نهج معيّن من أجل كسب مصالح خاصة بالجماعة، لا اقتناعًا بالمنهج.

(24) اتباع النهج السلفي من أجل الحصول على تبرعات خليجية.

على سبيل المثال، كانت أسماء الصحابة تُطلق على الكتائب والمجموعات[25]، وهذا أمر طبيعي وفطري لدى مجموعات كثيرة. لكن بعضهم بدأ يلجأ، من أجل تثبيت انتماء الكتيبة، إلى إضافة عبارة ذات دلالة واضحة، مثل «كتائب ... الإسلامية». وبدأت المزايدة تتجه نحو تخصيص الاسم أكثر، مثل «كتائب أهل المنهج» أو «كتائب أهل العقيدة»، أو «كتائب الثوار الإسلاميين لنصرة الدِّين» وغيرها[26].

لم يقتصر الأمر على الاسم، بل كانت الفيديوهات التعريفية والبيانات والخطابات أيضًا مليئة بالمزايدات، ما دفع كثير من الشباب إلى البحث عن الأصوب والأمثل، وفي كثير من الحالاتِ الأعلى نبرة وخطابًا. فعلى سبيل المثال، كانت كتيبة الفاروق أولى الكتائب المنظَّمة في حمص. وكان لها قيادة عسكرية متمثّلة في عدد من الضباط المنشقين، ومكاتب إدارية تضم متخصصين بمجالات شتى، ومكتب توجيه، ومكتب إعلامي، ومكتب خدمي وإغاثي. وأكدت الكتيبة في أكثر من مرة أنها تسعى لتحرير سورية وإسقاط النظام، وأصدرت بيانًا بالتزامها قانون حقوق الإنسان[27]، وأقامت معسكرات وتدريبات، وقدمت لباسًا موحدًا وتجهيزات عسكرية مقبولة مقارنة بغيرها، حتى صار المقاتل يفتخر أنه من كتيبة الفاروق التي تحقق انتصارات وتحمي الناس وتدافع عن أعراضهم.

تلقت كتيبة الفاروق الدعم من جميع السوريين من دون أي تمييز، لكن الشطر الأكبر من المبالغ المالية كانت لدى طلاب علم محسوبين على المنهج السلفي في حمص وخارجها، ما عزّز إعلان منهج القائد الفعلي للكتيبة الذي كان ينتمي أصلًا إلى المنهج السلفي، ولم يكن ظاهرًا في بداية الأمر، إلا أن

---

(25) «كتائب سورية الإسلامية... عددها، منطلقاتها، أهدافها،» تقرير مكتوب لموقع قنوات البث الإخبارية jbc، حزيران/ يونيو 2013. انظر كذلك مقالة عمر كايد، «خريطة القوى الإسلامية المقاتلة في سورية،» الحياة، 29/ 11/ 2013.

(26) أفترض أسماء الكتائب على سبيل المثال، ولا أشير إلى أي منها أو ألمزه، وسأورد مثالًا عمليًا واضحًا وخاصًا بحمص.

(27) فائق حويقة، «حقوق الإنسان في بيانات المعارضة السورية،» نشر على صفحة الحلف الديمقراطي المدني على الرابط: <http://syic.wordpress.com/2013/02/01/human-rights-in-armed-opposition-data/>.

نشوب بعض الاختلافات أدى إلى استقلال بعض الكتائب عن إدارتها تلك، وانفصل العدد الأكبر من مقاتلي الكتيبة، فاستمر الدعم للفصيل الأكبر، أو أن جزءًا كبيرًا من الدعم بقي مخصصًا لهم، الأمر الذي دفع الفصيل المتبقي الذي فيه الإدارة إلى إعلان تأسيس «كتائب الفاروق الإسلامية» والكشف عن بعض المبادئ التي تتعلق بالشريعة والأحكام. ودفع هذا مزيدًا من المتدينين، رواد المنهج السلفي، إلى الانضمام إليها، وصارت كتائب الفاروق الإسلامية تقبل المحسوبين على المنهج السلفي، بمن فيهم المهاجرون إلى الجهاد في سورية. وحصلت بذلك على دعم وتأييد كبيرين من أطياف المنهج السلفي (جهاديين وعلميين وغيرهم). وبعد أن أعلن إنشاء تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام، انضم أغلب أتباع كتائب الفاروق الإسلامية إلى التنظيم عن غير قناعة[28]، ومن منطلق أن هناك من يرفع السقف أكثر، مصطحبين معهم سلاحهم وعتادهم الذي أعطته لهم كتائب الفاروق الإسلامية[29].

ثالثًا: مجازر حمص

1 – سعي النظام لتكريس الطائفية كمقدمة لتوسيع نطاق مجازر حمص

تكوّن الجيش الوطني في سورية، بعد جلاء الفرنسيين عن سورية في منتصف القرن العشرين، من فلول الجيش المختلط والحرس السيّار التي كانت بإمرة القوات الفرنسية التي حكمت البلاد حكمًا عسكريًا. وقد فضّل الفرنسيون تشكيل الجيش من الأقليات السورية[30]، فكانوا يقبلون الدروز والعلويين والإسماعيليين والأكراد والشركس، ولم يشجعوا السنّة العرب على الانخراط في الجيش، من أجل جعل تلك الأقليات متفوقة عليهم. وكانت فرنسا تُطلق على هؤلاء اسم

(28) انظر الملحق «نسخة عن وثيقة تعلن انضمام بعض فصائل معركة قادمون إلى تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام»، ص 185 من هذا الكتاب.

(29) أؤكد هنا التضحيات التي قدمها مقاتلو كتائب الفاروق الإسلامية في حمص وغيرها، ولا أحصر الأمر فيهم، بل هذا أصلح مثال من مدينة حمص في الموضوع الذي نتناوله.

(30) انظر: نيقولاوس فان دام، الصراع على السلطة في سوريا: الطائفية والإقليمية والعشائرية في السياسة، 1961–1995، نسخة عربية من إصدار وزارة الخارجية الهولندية، 2006.

القوات الخاصة للشرق الأوسط، وهي القوات التي أصبحت في ما بعد قوات مسلحة للبنان وسورية. لكن ما إن استلم حافظ الأسد السلطة بعد انقلابه الذي سمّاه «الحركة التصحيحية للحزب»، في مطلع سبعينيات القرن الماضي، حتى عمد إلى إجراء تغييرات في الجيش من أجل تثبيت حكمه، فسرّح عددًا كبيرًا من القيادات العسكرية، وركّز القيادة العسكرية في المقربين منه والثقات[31].

خضعت مدينة حمص أيضًا لتغييرات ديموغرافية أثّرت فيها، وكادت تعصف بجوهر تركيبتها في الأعوام التي سبقت الثورة، في عهد المحافظ إياد غزال الذي أراد هدم السوق ومناطق أخرى في المدينة وإعادة توزيع السكان فيه. لكن أهل حمص رأوا في هذه المبادرة ضربة كبيرة موجّهة إلى صميم التركيبة السكانية للمدينة، ما جعلهم يخرجون عن صمتهم أول مرة باحتجاجات واضحة المعالم.

وجد النظام أن أهم المخارج من الأزمة التي وقع فيها هو الاصطفاف الطائفي، وتصوير الثورة بأنها «فتنة طائفية»[32]، فلجأ إلى إخافة العلويين من أن نجاح هذه الثورة سيؤدي إلى إبادتهم حتمًا، ما جعلهم يستنفرون عصبيتهم[33]. وعمد النظام إلى تسليحهم منذ الأيام الأولى للثورة، كما سلّح حزب البعث أنصاره العلويين دون السنّة أو المسيحيين أو الدروز. وكان ممّا ساهم في الاحتقان والكبت الطائفي الممارسات الناجمة عن سياسات النظام، بحيث ظلت سورية «مملكة للصمت» طوال عهدَي الأسد، الأب والابن. ولما بدأت الثورة، دس النظام في التظاهرات أتباعًا له أطلقوا النار على المنازل، ورفعوا شعارات طائفية، ما أجّج حدة التنافر الطائفي بين السنّة والعلويين.

---

(31) انظر: محمد اليحيى، مأساة سوريا في ظل الإرهاب العسكري والتسلط الباطني، سلسلة تاريخنا المعاصر، 2010.

(32) عزمي بشارة، سورية: درب الألم نحو الحرية: محاولة في التاريخ الراهن (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013)، ص318.

(33) في تشييع مالك عيسى الفاعوري، الشهيد الأول الذي قضى تحت التعذيب في حمص، وكان منزله على طريق زيدل، سلك المشيعون طريق زيدل نحو منطقة الأرمن ثم دوار المواصلات باتجاه دوار باب تدمر لدفنه في مقبرة الكثيب. وما إن مرّت الجنازة في تلك المنطقة حتى انهالت عليهم القنابل الدخانية من نوافذ المنازل. وفورًا رد المشيعون بقذف الحجارة على أماكن إطلاقها، فانهال عليهم الرصاص من كل صوب، فاستشهد ثلاثة منهم وأصيب عدد آخر.

بدأت عمليات الاختطاف في حمص على أساس طائفي، وقام بأولى هذه العمليات أفراد من الطائفة الشيعية من قرية المزرعة قاموا باختطاف ثلاث نساء من حي البياضة، بعد مرور تظاهرة قرب جامع المصطفى الذي يُحسب على الشيعة. وبقيت النسوة الثلاث مختطفات أكثر من خمسة أيام تعرضن فيها للاغتصاب، وكانت هذه الحادثة الأولى من نوعها[34]. ومن ثم تكررت مثل هذه الحوادث على أيدي شبيحة منطقة المضابع الواقعة خلف حي عشيرة (الشهداء) في شرق المدينة، حتى كادت عمليات الاختطاف تنحصر في هذين المكانين.

في أول رد من نوعه، وذلك عندما اختُطفت فتاة من منطقة جب الجندلي، على خلفية أنها قريبة أحد المعارضين السوريين الذين يشجعون على الثورة، احتجز أهالي الحي السنّة حافلة صغيرة («مايكرو باص») كانت تُقل عددًا من الفتيات والشبان العلويين، وهددوا بقتلهم إن لم تُطلق الفتاة، فكان لهم ما أرادوا في مساء اليوم ذاته. ثم صار الأمر سجالًا بعد هذه الحادثة، فأصبح كل سنّي يمرّ في أحياء العلويين عرضة للقتل[35]، وأصبح كل علوي يمرّ في الأحياء الثائرة عرضة للقتل، على الرغم من أن عددًا لا بأس به من السنّة لم يمارسوا أي نشاط ثوري، فيما بالكاد تجد بيتًا علويًا لم يقاتل مع النظام.

أ- مجزرة ساحة الحرية

في 17 نيسان/ أبريل (بعد مضي شهر واحد على بداية الثورة) خرجت تظاهرة من مسجد المريجة في حي باب السباع، الذي أصبح من معالم المدينة الثائرة، واحتشدت قوات الأمن التي يبدو أنها قررت أن تواجه الناس بأقصى درجات الرد العنيف، ففتحت النيران على المتظاهرين، وسقط سبعة شهداء من شبان الحي عصر ذلك اليوم. وما إن غابت الشمس حتى كانت حمص قد انتفضت عن بكرة أبيها، وسارت تظاهرة عارمة من جميع أحياء في حمص، واتجهت نحو

(34) حدثت في نهاية الشهر الرابع أو الخامس من عام 2011، أي بعد نحو شهرين على بدء الثورة.

(35) لعل أبرز تلك الحوادث اختطاف سيارة طحين في حي الزهراء (في بداية كانون الثاني/ يناير 2011)، كان فيها خمسة عمال سنّة قُتلوا وسُحلت جثثهم في ساحة الزهراء الرئيسة في مشهد مهين ومخزٍ.

حي باب السباع[36]، ودخل الحي بعد صلاة العشاء آلاف المتظاهرين الغاضبين، وساروا في الشارع الرئيس للحي، ثم انعطفوا يسارًا إلى حي الخضر عند قلعة حمص، ففتحت قوات الأمن العسكري التي تمركزت في مبنى الجيش الشعبي نيران بنادقها عليهم، فسقط ثلاثة شهداء آخرين وعشرات الجرحى.

في صباح اليوم التالي، أي في 18 نيسان/ أبريل، تجمع عشرات الآلاف من أهل حمص عند مسجد حمص الكبير في وسط المدينة ليشيّعوا شهداءهم قبل دفنهم في كثيب حمص. وتوجهوا إلى ساحة الساعة (مركز المدينة) في تظاهرة كانت الأضخم على الإطلاق، ثم قرروا الاعتصام هناك[37]، وعاشوا يومًا جميلًا من أيام الحرية في مدينة اكتست في الأيام المقبلة بالسواد من دون أن تعرف الحرية فيها لونًا لا تشوبه الحمرة.

كان الجميع يتابع الاعتصام في ساحة الساعة بترقب شديد؛ فقد شكّل أول مساحة حرة لثوار سورية، حتى أتى الناس من مناطق ومدن أخرى للمشاركة فيه[38]، ووعد آخرون أن يأتوا من دولٍ أخرى ومحافظات سورية كلها، في حال استمر يومًا آخر. وكان برنامج الاعتصام عفويًا، واعتمد على تقديم عدد من الكلمات لوجهاء حمص وشخصيات معارضة، مع تقديم الطعام والشراب للمعتصمين، وأكاد أجزم أن ما من أحد في حمص إلا زار ساحة الساعة في ذلك الوقت، من مختلف الطوائف والاتجاهات، خصوصًا أن ساعة حمص التي بنتها الثرية المسيحية كرجية حداد ترمز إلى ترابط أهل المدينة بعضهم ببعض وإلى تفكيرهم العصري. وكان من أبرز شعارات المعتصمين «الشعب يريد إسقاط النظام»، وشعار «واحد واحد واحد الشعب السوري واحد»[39]، وشعارات التضامن مع بقية المناطق وشعارات للشهداء. واهتم الإعلام بذلك

(36) أقام المتظاهرون صلاة العشاء عند دوار باب الدريب، وكان آخرهم لا يزال يتقدم من دوّار باب تدمر، لكثرة عددهم.

(37) رأى بعضهم أن يُقام الاعتصام في مسجد خالد بن الوليد، لكن الأغلبية رفضت ذلك كي تضمن مشاركة جميع الطوائف في الاعتصام، وكي لا يتذرع النظام بأنهم إرهابيون يتمترسون في مسجد.

(38) مقابلة أجراها الكاتب في حمص مع الشيخ حوري عثمان في 26/ 7/ 2014.

(39) مقابلة أجراها الكاتب في حمص مع الشيخ لامع البني في 1/ 9/ 2014.

الحدث اهتمامًا كبيرًا وتابع تطوراته، كما تابعت سورية كلها تطورات ذلك اليوم الذي جسد تصرفات النظام مع السوريين، وما نجم عنها في حادثة واحدة.

بعد منتصف الليل، أو قرابة الساعة الثانية، فتحت قوات الأمن النار على المعتصمين، منهية حلمهم بالتحرر من قيد الاستبداد، بعد أن أزهقت أرواح عشرات الشبان.

ب- مجزرة تل النصر

هكذا صار لحمص ثلاثة أيام تتكرر: يوم تخرج فيه التظاهرات، ويوم يدفن فيه الشهداء، ويوم تُغلق فيه المحال التجارية ويقاطع الموظفون المؤسسات الحكومية ويتخلف الطلاب عن المدارس والجامعات.

صار النظام يستهدف مسيرات تشييع الشهداء، وكان أكبر استهداف لجموع المشيعين في 21 أيار/مايو 2011 (بعد ما يربو على شهرين من اندلاع الثورة)[40]، حين انطلق آلاف المشيعين إلى شارع الستين من منطقة البياضة، وما إن وصلوا إلى حاجز منطقة تل النصر التي يدفن فيها أهل حمص شهداءهم - بعد منعهم من دفنهم في مقبرة الكثيب بعد إطلاق النار مرات عدة على الجنائز وسقوط شهداء - حتى أخلى الحاجز موقعه في حركة مفاجئة وابتعد عن الجنازة، لكن حين تجاوز المشيعون الحاجز ووصلوا بالجنازة إلى التل في منطقة مرتفعة مكشوفة، بدأ استهداف المشيعين من جانب عناصر الحاجز الذين تمركزوا في منطقة قريبة، إضافة إلى تعزيزات أخرى أتت من فرع الاستخبارات الجوية[41] القريب من المنطقة. واستُشهد في هذه المجزرة أعداد لا تزال غير معروفة، لكنها تُقدّر بالعشرات[42].

---

(40) مقابلة أجراها الكاتب في حمص مع الشيخ فارس سلمون في 5/ 7/ 2014.

(41) شارك فرع الاستخبارات الجوية في أغلب مجازر حمص، بل كان مهندسها الأساس. وكان رئيس الفرع في ذلك الوقت العميد جودت المحمود الذي نُقل إلى فرع المعلومات في دمشق، وعُيّن في مكانه يحيى وهبي، فانتقلت هندسة المجازر في حمص إلى الأمن العسكري برئاسة العقيد عبد الكريم السلوم.

(42) تبعثر المشيّعون في المناطق المجاورة، وأصيب عدد كبير منهم، وكان لأهل دير بعلبة دور =

هكذا صار الشهداء يُدفنون في الحدائق العامة وحدائق البيوت، ولا سيما بعد أن أطلق أفراد من الأمن النار على مشيعين كانوا يدفنون شهداءهم في مقبرة مسجد خالد بن الوليد، وهي تقع داخل حي الخالدية، لكنها على طريق عام يسهل وصول قوات الأمن إليه[43].

2- من مجازر الأمن إلى مجازر «الشبيحة» (كرم الزيتون وأخواتها)

أصبحت مناطق حمص شبه معزولة بعضها عن بعض، بسبب انتشار القناصين والحواجز العسكرية التي أقامها النظام على الطرقات العامة. وكان أغلب أحياء حمص الشعبية متاخمًا لمناطق يسكنها علويون أو شيعة كان النظام قد سلحهم فتسلطوا على رقاب الناس سرقة ونهبًا، علاوة على إقدامهم على اغتصاب النساء وإذلال الأهالي، فوقفت في وجههم ثلة من الشبان مدافعة عن عرضها ومالها.

أدرك «الشبيحة» أن قتلى منهم سيسقطون في كل هجوم يشنونه على الأحياء الثائرة، وكان ردهم عنيفًا على الأهالي الذي يسكنون المناطق القريبة منهم؛ فمنذ تشرين الأول/ أكتوبر 2011 وحتى نهاية آذار/ مارس 2012، شهد حي كرم الزيتون هجمات عدة لـ «الشبيحة» سقط ضحيتها عشرات من السكان، أغلبهم من الأطفال والنساء. وكانت الضحايا تُقتل طعنًا بالسكاكين في أغلب الأحيان. وكان أبرز المجازر تلك التي حدثت في 11 آذار/ مارس2012 حين قضى أكثر من 45 طفلًا ذبحًا بالسكاكين. كذلك وقعت مجازر أخرى في ما بعد في شارع الرفاعي في المنطقة نفسها، فتجاوز عدد الشهداء في تلك الفترة 250 شهيدًا في مجازر طائفية بغيضة.

= بارز في إسعاف الجرحى ونقل الشهداء. أخبرني صديق لي بقي محاصرًا في منطقة قريبة من المقبرة أنه رأى سيارة من طراز سوزوكي كانت محترقة بالكامل وفيها جثث عدد من الأطفال.

(43) أتت إحدى السيدات لتدفن ابنها، وما إن أنزلت جثة الشاب في القبر حتى سقطت فوقه مع ابنها الآخر شهيدين في تلك الحادثة، والعائلة مشهورة من آل جورية من حي البياضة. مقابلة أجراها الكاتب في حمص مع آل جورية في 17/ 5/ 2013.

جدير بالذكر أن أغلب مناطق السنّة والشيعة المتداخلة حدثت فيها مجازر بغيضة يندى لها جبين الإنسانية. ومن أبرز تلك المجازر مجزرة حي السبيل في حق عائلات كاملة في بداية عام 2012، وكذلك مجزرة العدوية في 12آذار/مارس 2012 حين جمع «شبيحة» من منطقة العدوية عائلات سنّية، كان من بينها نساء وأطفال، وذبحوها بالسكاكين، على الرغم من تطمينات عدة أعطاهم إياها جيرانهم في الحي (من السنّة) بأنهم غير مشتركين في أي عمل ثوري، وسقط ضحية هذه المجزرة أكثر من 50 شخصًا أغلبهم من النساء والأطفال. كما اقتحم «شبيحة» من قرى موالية للنظام مجاورة لتجمع قرى الحولة في 26 أيار/مايو2012، بيوتًا على أطراف قرى الحولة، وذبحوا بالسكاكين نحو 96 شخصًا، نصفهم من النساء والأطفال، ثأرًا لقتل الثوار عددًا من عناصر النظام على حاجز في الحولة. وحدثت هذه المجزرة في أثناء وجود وفد البعثة الدولية التابع للأمم المتحدة في حمص. وقد زار الوفد المكان في اليوم التالي، وأشار تقرير للأمم المتحدة بعد شهور عدة إلى أنه «ربما تكون ميليشيات تابعة للنظام السوري مسؤولة عن المجزرة»!

3- مجازر الاقتحام (حي الشهداء «عشيرة» ومنطقة البياضة وجب الجندلي وغيرها)

بدأ النظام ما أطلق عليها «معركة الحسم» في بداية شباط/فبراير 2012، فحاصر منطقة بابا عمرو وتمكن من اقتحامها بعد شهر واحد تقريبًا، وارتكب مجازر بحق مزارعين في بساتين الحي. ومن أبرز الشهداء آنذاك غازي زعيب أمين فرع حزب البعث في حمص - المستقيل على خلفية مجازر النظام - إضافة إلى زوجته وعدد من أقربائه. ومع بداية آذار/مارس من العام نفسه اقتحم النظام حي عشيرة، وانسحب الثوار من الحي من دون مقاومة بعد ما رأوا همجيته ووحشيته في بابا عمرو. وأقدم عناصر النظام على قتل وذبح من وجدوهم في منازل الحي ورميهم في آبار فاضت بالجثث نتيجة مجزرة هي الأكبر تقريبًا. وقد أحصى الناشطون أكثر من 200 مفقود بعد تلك المجزرة، حتى صار الحي يُعرف بحي الشهداء.

في منتصف الشهر ذاته، اقتحم عناصر من النظام حي جب الجندلي الذي يقع على الطرف المقابل لحي الشهداء، وذبحوا عددًا من الأشخاص كانوا قد بقوا في الحي بعد انسحاب الثوار، وكذلك حدث في مطلع نيسان/ أبريل في حي البياضة، حين قُتل عدد من الأشخاص الذين كانوا في الحي بعد اقتحامه، وقُدّر عددهم بعشرة على الأقل[44].

أمّا حي الشماس، فجرى اقتحامه في منتصف أيار/ مايو 2012، وقد أطلق عناصر النظام النار على السكان الفارين من الحي بسيارات وحافلات، فقُتل 14 شخصًا على الأقل وأُصيب العشرات بجراح. وتكررت الحادثة في الحي نفسه في 22 آب/ أغسطس2012، بإعدام «الشبيحة» 22 شخصًا بعد اقتحام الحي.

دفع ما حدث الثوار إلى التفكير مليًا قبل مغادرة أي منطقة فيها سكان، ولعل هذا من أبرز الأسباب التي دفعت الثوار إلى البقاء في حمص.

4- مجازر القصف (الخالدية والرستن وتلبيسة وغيرها)

ثمة مجازر أخرى حدثت بفعل القصف بالهاون والصواريخ وغيرها، ولعل أبرزها ما جرى في حي الخالدية في 2 شباط/ فبراير2012، حين حرر الثوار حاجز دوّار القاهرة وسيطروا على حاجز المستوصف، الأمر الذي دفع عناصر النظام إلى الانتقام باللجوء إلى القصف بمدافع الهاون أول مرة، ما أدى إلى استشهاد نحو 60 شخصًا[45]، كان أكثرهم ممن هبّوا لإسعاف المصابين، إذ لم يكن هؤلاء قد خبروا الآثار المدمرة لقذائف الهاون وكيفية الاحتماء منها.

يضاف إلى هذا قصف أفران الخبز في تلبيسة والرستن وغيرهما مرات عدة؛ فعلى سبيل المثال، قام عناصر من النظام في 24 كانون الأول/

---

(44) مقابلة أجراها الكاتب في حمص مع المهندس بيان سيف الدين، المتحدث باسم حي جب الجندلي، في 1/ 6/ 2012.

(45) ثمة مبالغة إعلامية في تقدير أعداد الشهداء في ذلك الوقت، بسبب قلة الخبرة المهنية لناقلي أخبار الحوادث، وكذلك بسبب قساوة المشهد وكثرة أعداد الجرحى في الطرقات والأماكن العامة.

ديسمبر2012 بقصف تجمّع عند الفرن الرئيس، الأمر الذي أودى بحياة 15 شخصًا وإصابة العشرات بجراح.

وقعت مجازر أيضًا من خلال القصف بالطيران وبصواريخ أرض - أرض وقذائف من أعيرة مختلفة في تلبيسة وقراها والرستن وقراها، وفي كلٍّ من الغنطو وتير معلة والدار الكبيرة والزعفرانة، وغيرها من المناطق التي سقط فيها عدد كبير من الشهداء.

علاوة على ذلك، جرى تفخيخ عدد من السيارات التي انفجرت في منطقتي الوعر والحمرا وسواها، كما طاول القصف كرم الشامي والإنشاءات والغوطة والدبلان، وكان الأعنف قصف كرم الشامي في 27 تشرين الثاني/ نوفمبر 2013 الذي نجم عنه سقوط نحو 30 شهيدًا.

5- مجازر على الأطراف وعلى الطرقات

وقعت مجازر كثيرة على أطراف حمص، وفي مناطق نائية، مثل مجزرة كفرعايا (17 شخصًا) في 20 كانون الثاني/ يناير 2013، ومجزرة القريتين (22 شخصًا) في 7 شباط/ فبراير2013، ومجزرة مزارع أبل (13 شخصًا) في 25 آذار/ مارس 2013، ومجزرة السخنة (22 شخصًا) في 22 تموز/ يوليو2013، ومجزرة وادي مولى قرب تلكلخ (21 شخصًا) في منتصف تشرين الثاني/ نوفمبر 2013، وغيرها من المجازر التي وقعت نتيجة اقتحامات نفذها جنود النظام، مثل مجزرة عيون الحسين شرق حمص، ومجزرة بساتين الوعر... إلخ. كما أوقفت قوات النظام في أكثر من مرة حافلات ركاب وسيارات، وخطفت من فيها أو قتلتهم. ولعل أبرز الحوادث تلك التي جرت بالقرب من الحدود السورية - اللبنانية في قرية المشيرفة، حيث فتح «الشبيحة» النار على حافلة صغيرة كانت تقلّ 11 راكبًا في بداية كانون الثاني/ يناير 2013، كما فتحت نيران أسلحتها على حافلة لمعمل السماد في منطقة القصير في 31 أيار/ مايو2012، نجم عنها استشهاد 12 عاملًا، وكذلك فعلت في 28 أيار/ مايو/ 2011 بحافلة مدرسية، وغير ذلك من الحوادث التي جرت على طرقات الحولة وطريق دمشق حمص الدولية وسواها.

رابعًا: مناطق من حمص... تأصيل نشأة الفصائل العسكرية

ثارت المناطق المختلفة في محافظة حمص، وانتفضت ضد النظام. ولا بد هنا من ذكر منطقتين بارزتين في الثورة لا تنبع أهميتهما من أنهما منطقتان ثائرتان فحسب، بل من سيرهما ودورهما في الثورة أيضًا. ومنطلق خصهما بالذكر هو التأصيل لنشأة الفصائل المسلحة والمؤسسات الأخرى وتوجهها، لنشير بعد ذلك إلى صعوبة التنسيق بين مناطق الريف والمدينة بسبب جملة من العوامل.

1- بابا عمرو... استقطاب الملتزمين

كان حي بابا عمرو قبل عشرين عامًا قرية صغيرة جنوب غرب مدينة حمص. وارتبط بعادات أهل حمص السنوية، إذ كان يخرج إلى القرية طلاب العلم والمشايخ، ليحتفلوا بمناسبات وطقوس دينية حمصية، ويفيد أغلب الروايات أن أصل التسمية يعود إلى الصحابي عَمرو بن مَعدِ يكرِب.

يعمل أغلب أهل بابا عمرو في الزراعة والمهن، وتنتشر بين أهلها ثقافة واسعة، ويرتفع التعليم والوعي بينهم بشكل ملحوظ، ويتحلى جزء كبير من شبان الحي بتعليم جامعي عالٍ.

توسعت منطقة بابا عمرو في الأعوام التي سبقت الثورة، وازدادت ارتباطًا بالمدينة، والتصقت بمنطقة التوزيع الإجباري في حي الإنشاءات، حتى أصبحت حيًا من أحياء المدينة. وقد شُيد فيها في الفترة الأخيرة ملعب لكرة القدم، ومسبح جذب الناس إليه بشكل جيد. وتحسنت معرفة الناس بأهلها ونشطت سوقها الرئيسة.

شارك أهل حي بابا عمرو في الثورة بفاعلية، وتميزوا بحسن تنظيم تظاهراتهم وكثافة المشاركة، فبرز الحي مركزَ استقطاب للمناطق المجاورة كجوبر والسلطانية وكفرعايا والتوزيع الإجباري والإنشاءات، وكان المتظاهرون فيه يرفعون يافطات مميزة، وكان نشاط شبان الحي على الإنترنت واضحًا، ما عزز علاقة المنطقة بالإعلام[46].

(46) مقابلة أجراها الكاتب في حمص مع خالد أبو صلاح المتحدث الإعلامي باسم الحي، في 2012/7/1.

يسكن في بابا عمرو عدد كبير من البدو ومن التركمان. وكان للبدو الذين يعشقون السلاح بطبيعتهم وثقافتهم علاقة جيدة بالمهربين. لذا، عندما بدأ النظام موجة العنف لإسكات المتظاهرين، هب أهل بابا عمرو - نخوة وشهامة - للدفاع عنهم وحمايتهم. ومع بداية آب/أغسطس 2011، شكّلوا مجموعات مسلحة لحماية التظاهرات. ولمّا بدأت حركة الانشقاق، تحوّل حي بابا عمرو وحي السلطانية معبرًا إلى لبنان للمطلوبين، وكانت بساتينه مكانًا آمنًا لطلاب الحرية الفارين. علاوة على ذلك، بدأ الحي يستقطب المزيد من طلاب الحرية، حتى صار مكانًا للالتقاء والاجتماع، وساعد امتداده نحو لبنان من خلال طرق غير نظامية في تعزيز موقع السلاح فيه. فتشكلت مجموعات كثيرة في بابا عمرو، وكان شبان الأحياء الذين لا يرغبون في الظهور لأسباب أمنية يخرجون إليه للقتال، ظنًا منهم أن التعرف إليهم سيكون أصعب في ما لو قاموا بذلك في حاراتهم. وقد غلب على رواد بابا عمرو الالتزام الديني. وأقيمت فيه مع بداية انتشار السلاح، في أيلول/سبتمبر 2011، معسكرات تدريب على السلاح، ودورات توعية وتثقيف سياسي وديني وعسكري، حتى انتشر أمره على مستوى سورية كلها. كما تشكلت في بابا عمرو مكاتب إعلامية ومكاتب إغاثة ومكتب سياسي وثوري، تألفت من شبان الحي المثقفين والواعين، ودعم مؤسسات ثورية كمجلس الثورة في حمص، وهيئة حماية المدنيين التي اتخذت في بداية تأسيسها لبنان مقرًا لها، وكان يديرها أبو محمد الرفاعي.

قام ثوار بابا عمرو بتحرير عدد من الحواجز، أبرزها حاجز المؤسسة الاستهلاكية، وضغطوا على قوات الجيش نحو طريق طرابلس وطريق الشام وشارع البرازيل وجامعة البعث، ونفذوا عمليات اغتيال ضد كبار قادة النظام الأمنيين والعسكريين.

في بداية شباط/فبراير 2012، بعد مجزرة الخالدية بيومين، بدأ النظام يُحضّر لاقتحام بابا عمرو تحضيرًا واسعًا، فاستقدم آلاف الجنود، ولربما وصل العدد عند بدء الاقتحام إلى أكثر من أربعة آلاف عنصر من الجيش والأمن و«الشبيحة». وحاصره النظام، وبدأ يُطلق صواريخ فوق رؤوس الآمنين العزل، واستخدم مدافع الهاون الثقيلة طوال مدة الاقتحام.

بعد عشرة أيام على بدء الحملة، نجح النظام في اقتحام منطقة التوزيع الإجباري، وضيّق الخناق على بابا عمرو. ولم تساعد بيوت الحي وأبنيته على القيام بمقاومة واسعة، إذ كان أغلبها أبنية قليلة الطبقات، ومتباعدة بعضها عن بعض، ما جعل الحماية الطبيعية فيها غير ذات جدوى. وكثر عدد الشهداء حتى وصل إلى العشرات يوميًا بين المدنيين والثوار. ولم يتمكن النظام من اقتحام الحي إلا بعد 28 يومًا من المقاومة الشرسة، فقد فيها عددًا كبيرًا من الجنود والآليات العسكرية. وانسحب مقاتلو بابا عمرو إلى الريف الجنوبي، في حين توجه قسم منهم إلى المدينة القديمة، بعد أن أجلوا سكانها إلى مناطق أكثر عمقًا في الجنوب.

اعتمد النظام في اقتحاماته على الدبابات بأنواعها المختلفة، بما فيها دبابة «تي 72» التي لم تفلح قذائف الـ «آر بي جي» التقليدية بتدميرها[47]، ورشاشات ثقيلة، وعربات «شيلكا»، إضافة إلى طيران الاستطلاع (لم يُستخدم الطيران الحربي في بابا عمرو، وهذا موثق)، بينما كان سلاح مقاتلي بابا عمرو يراوح بين الكلاشنكوف وبنادق «أم 16» ورشاشات «بي كي سي»، وقواذف «آر بي جي» وألغام محلية الصنع وقنابل يدوية[48].

بدا دور الإعلام مميزًا في بابا عمرو، وكانت أجهزة الإنترنت تنقل المجريات يوميًا مباشرة إلى العالم بأسره. وكسب الحي تعاطف العالم، لكن التحرك لإنقاذه كان معدومًا، ولم يتجاوز إدانات من دول متعددة لما كان يحدث فيه. وكانت كتائب الفاروق الأكثر تنظيمًا في الحي، إضافة إلى كتائب وجماعات أخرى. وقد تعززت خبرة مقاتلي بابا عمرو بمقاتلين سوريين اكتسبوا خبرة القتال في العراق وغيره من البلدان، وأغلبهم من معتنقي المنهج السلفي الجهادي.

---

(47) واجه الثوار في بابا عمرو - وعموم ثوار حمص - مشكلة مواجهة المدرعات، ولم تفلح قذائف «آر بي جي» التقليدية في المواجهة. واستمر البحث عن سلاح بديل طوال فترة الثورة السورية. وبعد اقتحام بابا عمرو بشهور تمكن الثوار من الحصول على مضادات دروع من نوع «أن 29» ذات المدى القصير، ومدفع «بي 10» التقليدي، وكذلك مدفع «أوسا» قصير المدى. وواجه الثوار مع هذا السلاح مشكلتين أساسيتين، الأولى قصر مدى هذه الأنواع وقلة دقتها، والثانية غلاء أسعار القذائف، إذ وصل سعر القذيفة إلى أكثر من ألفي دولار. ولم يدخل إلى حمص القديمة طوال فترة وجود الثوار أي نوع من مضادات الدروع التي يمكن الاعتماد عليها في المعارك الكبرى، سوى مدفع «أن 29» مع خمس قذائف، ومدفع «بي 10» مع نحو 30 قذيفة فقط.

(48) مقابلة أجراها الكاتب في حمص مع أبو قصي زعيب قائد لواء المرابطين في 7/ 8/ 2013.

سوّق النظام معركة بابا عمرو على أنها مفصلية وحاسمة، وأطلق عليها «معركة الحسم». وعرف السوريون حينئذٍ أن الحرب لن تكون سهلة، وأن النظام مستعد لـ «حرق الأول والآخر» لكي يحافظ على بقائه، وأن العالم منقسم تجاه قضيتهم، بل إن أغلب العالم لا يناصر قضيتهم إلا بأصوات ترتفع وتنخفض بحسب الواقع.

بعد خمسة عشر يومًا من بدء الحملة العسكرية على بابا عمرو، حاول ثوار حمص القديمة والخالدية تخفيف الضغط عن الحي، وتمكنوا من تحرير عدد من الحواجز، أبرزها شعبة الحزب وحواجز متموضعة في حمص القديمة وحواجز شارع الحميدية، لكن النظام لم يبالِ بهذه الحركة ولم يوقف حملته على بابا عمرو. وكان إعلام النظام تحدث عن وجود عشرات الضباط العسكريين الإسرائيليين والألمان، وعناصر من الاستخبارات الأميركية ومن القاعدة والشيشان والأفغان، وآلاف المسلحين العرب والأجانب، وعن وجود ترسانة أسلحة ضخمة ومعامل ومشافٍ عسكرية داخل حي صغير. لكن لم يكن في بابا عمرو في ذلك الوقت أي أجنبي باستثناء الصحافيين الأجانب الكثر الذين زاروه، إضافة إلى طبيب من منظمة دولية أجنبي الجنسية. وقد قُتل من هؤلاء جراء القصف في أثناء الحملة صحافية أميركية وصحافي فرنسي[49].

2 - الخالدية، الحي الشعبي

في الطرف الآخر من المدينة، عند المدخل الشمالي، يقع حي الخالدية المتصل بحي البياضة ودير بعلبة، والبالغ ثلاثة أضعاف بابا عمرو من حيث المساحة وعدد السكان. وقد تمكن هذا الحي من أن يكون مركز استقطاب لمناطق في وسط حمص وشرقها. واشتُهر بتنظيمه اعتصامات وتظاهرات واسعة الحضور، شارك فيها أبناء طوائف مختلفة وطبقات متنوعة من المجتمع. لكن على الرغم من تأخر حمل السلاح في الحي، فإن أغلب حَمَلة السلاح

(49) ماري كولفن: صحافية أميركية كانت تعمل لحساب جريدة صنداي تايمز البريطانية، والمصور ريمي أوشليك الفرنسي الجنسية الذي كان يعمل لحساب الصحيفة ذاتها. يمكن قراءة التفصيلات على الرابط: <http://www.alarab.net/Article/436788>.

كانوا من أبناء الطبقة الشعبية. ولم يكن ذلك لدوافع دينية، بل كان دافعهم الأكبر النخوة والحميّة.

كان الحي مركزًا لتنسيق الجهد الإعلامي والطبي والإغاثي. كما تشكلت فيه صالونات فكرية، وعُقدت فيه اجتماعات عدة لمناقشة قضايا الثورة وما يتعلق بها. والحي متاخم لمنطقة كرم شمشم التي يسكنها مزيج من الطوائف السنّية والمسيحية والعلوية. وبقيت هذه المنطقة موقع أخذ وردٍّ حتى الشهور التي سبقت سيطرة النظام على الحي.

تشكلت في حي الخالدية مجموعات عدة، وتعرض الحي لأكثر من ثلاثين عملية اقتحام، ولم ينجح النظام في السيطرة عليه إلا في نهاية حزيران/ يونيو 2013، في إثر عملية واسعة النطاق بمشاركة قوات من حزب الله اللبناني.

3 - الريف والمدينة ومشكلات التنسيق بين المناطق

مع بداية العمل المسلح، أدرك الثوار أنهم قوى متفرقة في مناطق حمص المختلفة، ينال منها النظام واحدة تلو الأخرى، وأنه لا بد من تجمّعها لتحقيق النصر. وكانت مسألة فك الحصار واحدة من تلك المسائل، فهي أكبر كثيرًا من إمكانات مجموعات محاصرة في منطقة جغرافية في وسط حمص، وتحيط بها سلسلة أطواق تمتد كيلومترات عدة وتضم مساحات سكنية، وقطعًا عسكرية، وأفرعًا أمنية. وبرزت الحاجة إلى التنسيق أكثر مع المناطق الثائرة القريبة.

كانت مشكلة التنسيق والتواصل مع تلك المناطق أصعب ممّا يُتخيل؛ فإدارة منطقة تضم عشرات المجموعات المقاتلة العاجزة عن فعل شيء وحدها، وربما مختلفة في ما بينها في بعض الحالات، من دون وجود جهة مركزية ترتب ذلك التنسيق، كانت أصعب كثيرًا من إدارة منطقة محررة.

أنشأت المجموعات المقاتلة شركاء لها في مناطق قريبة داخل المدينة وخارجها. فكان لأغلب الكتائب المقاتلة في المنطقة المحاصرة سرايا في منطقتي الوعر والريف الشمالي[50]، كان من مهماتهما الأساس توفير الإمداد في

(50) مقابلة أجراها الكاتب من خلال الـ «سكايب» مع صهيب العلي، الناطق باسم جبهة حمص، في 9/ 6/ 2013.

حالات خاصة ونادرة ومعدودة، من خلال قنوات ضيقة جعلت توفير الإمداد شبه مستحيل، مثل الأنفاق، أو أنابيب المياه أو مجاري الصرف الصحي، وغيرها من الوسائل التي يحتاج إعدادها إلى جهد كبير، ومن ثم التحرك عبرها. وفي خضم هذا كله، كان عليها الحفاظ على سريتها في مجتمع ثوري شعبي.

كان لطبقة الفنيين/ الإداريين دور كبير في إنجاز التواصل، وكانت مشكلة معظم المناطق إيجاد من يتمتعون بمهارات التقنية، ويمكنهم ترتيب أولويات تتلاءم مع متطلبات العمل والزمن.

علاوة على ذلك، كانت إدارة الصراع في منطقة أخرى، من دون معرفة تفصيلات الأرض والأشخاص وطبيعة الجبهات، أشبه بالإبحار من دون بوصلة، ولا سيما أن المناطق في معظمها جعلت الأولوية المركزية من نصيب المنطقة المحاصرة لإيجاد آليات التنسيق واتخاذ القرار، ولعل أبرز أسباب ذلك:

- أن هدف أغلب المعارك كان فك الحصار؛

- الهالة التي تمتع بها المحاصرون، المناضلون، الثوار، الجائعون، الذين يصمدون في وجه أعتى الأعداء؛

- الشخصيات القيادية التي كانت موجودة في المنطقة المحاصرة وأقدميتهم في الثورة؛

- الفكرة المركزية القديمة التي مؤداها أن المدينة هي القاطرة والريف هو المقطور.

هذا كله جعل المنطقة المحاصرة تمارس دورًا أكبر في تنسيق جهد المجموعات في المناطق الثورية القريبة، فجاء بعض القرارات غير دقيق وغير صائب أحيانًا. لكن كان من الصعب فهم طبيعة المناطق الثورية القريبة من المنطقة المحاصرة؛ إذ كان في جوانب منها عوامل متشابكة ومتشعبة كثيرة عوّقت قيام جهد ضخم كعمليات فك الحصار، علاوة على المشكلات الاجتماعية والاقتصادية التي تسبب بها النظام في فترة حكمه، وساهم فيها أهل المدينة وأهل الريف مجتمعين، من أبرزها:

- نظرة ابن الريف إلى ابن المدينة من زاوية أنه فرد منعم ومترف، وأنه في الثورة يتلقى الدعم من كل جانب بسبب حاجته وعوزه، في حين يرى ابن المدينة أن تكلفة عيش ابن الريف بسيطة، وأن حياته البسيطة تمكّنه من ادخار دخله، وأنه استُنصر به في الثورة ولم يستجب.

- عزز النظام الفجوة بين أهل الريف وأهل المدينة في الفترة التي سبقت الثورة؛ فقد استقطب حافظ الأسد أبناء الأرياف إلى صفه بتعيين مسؤولين منهم في مواجهة أبناء المدن المترفين.

- تترافق الثورات عمومًا في مراحلها الأولى مع ظهور مشكلات المجتمع المكبوتة كلها، صغيرة أكانت أم كبيرة، بسبب قمع النظام لها، الأمر الذي ساهم في ظهور الكبت والاحتقان بين أبناء الريف وأبناء المدينة، ولم يكن ثمة برامج لمعالجة هذه الفجوات والمشكلات.

- اختلاف وضع المنطقة المحاصرة عن باقي المناطق في سورية - لا الريف فحسب - إذ تميز بقلة وجود المدنيين، وبوجود نخبة من المقاتلين الذين اجتمعوا فيها من جميع مناطق حمص.

عرف ثوار المنطقة المحاصرة في ما بعد - ربما بعد خروجهم منها - أنهم كانوا حالة ثورية فريدة ومتقدمة؛ فالتنسيق بين حالات ثورية مختلفة، وبين مناطق متمايزة، يولّد فجوة واسعة، ما جعل الاستجابة للتنسيق والجهد المبذول أكثر سطحية وأقل تركيزًا.

خامسًا: المنظمات الثورية في حمص (محاولات تنظيم الجهد وتوحيده)

1- مجلس الثورة في محافظة حمص

في محاولة لتنظيم العمل الثوري وضمان استمراريته، حاول الناشطون تأسيس تنسيقيات في كل حي وقرية في حمص، ثم ما لبث عمل هذه التنسيقيات أن توسع، فصار لها فرق طبية وعسكرية وإعلامية وتنظيمية وإغاثية بحكم طبيعة التطورات، لكن هذا لا يعني أنها كانت تتحكم في هذه الجوانب كلها، بل كانت

كناية عن محاولة مؤسساتية للعمل المنظم في الجانب الخدمي والثوري، وما لبثت هذه التنسيقيات واللجان أن اجتمعت في تكتلات أكبر، كان أبرزها[51]:

- **اتحاد أحياء حمص**: أسس الشيخ أنس سويد[52] وبعض الناشطين في حي باب السباع نواة تجمع ثوري. وبالتعاون مع سوريين مقيمين في المملكة العربية السعودية، أسّس اتحاد أحياء حمص الذي اعتمد على تبرعات مالية من المغتربين في الخارج، خصوصًا طلاب العلم بسبب وجود الشيخ أنس - وطلاب علم آخرين - الذي ساعدت سمعته الطيبة في مثل هذا العمل.

كان الاتحاد في البداية أداة دعم للحراك الثوري، وقد تحمّل تكاليف التظاهرات وحاجات الناشطين من كاميرات وأجهزة بث مباشر وأجهزة اتصال خلوية (الثريا) وحواسيب محمولة وإنترنت وغيرها. واعتمد الاتحاد على عدد من الشخصيات التي ارتفع عددها تدريجيًا، وبقي الفريق الأساس معروفًا ومحدودًا، على الرغم من التوسع في مستوى الكوادر الميدانية في مختلف الأعمال. وكان أبرز ما قام به الاتحاد في الجانب الإغاثي بالدرجة الأولى، وهو النشاط الذي توسع بشكل كبير وازدادت تكلفته، وغطى أيضًا جزءًا من الجانب الإعلامي، وكانت كوادره الإعلامية مميزة[53].

ضم فريق اتحاد أحياء حمص كفاءات بشرية جيدة في صفوفه، مثل المهندس أبو أحمد الحبيب الذي كان المنسق العام[54]، والشهيد أبو محمد عبد الكافي سويد[55]، والشيخ وسيم الدقاق[56]، والشهيد أبو محمد

---

(51) مقابلة أجراها الكاتب في حمص مع الحاج أبو حسني، عضو المكتب السياسي لمجلس الثورة في حمص، في 5/ 6/ 2014.

(52) الشيخ أنس سويد: إمام مسجد المريجة في حي باب السباع. شارك في إشعال الثورة، وخرج من حمص بعد تعرضه لمحاولات اغتيال وتهديدات من الأمن.

(53) مقابلة أجراها الكاتب في حمص مع عبد الكافي سويد في 5/ 5/ 2013.

(54) أبو أحمد الحبيب: مهندس مثقّف ومتخصص بعلوم الاتصالات.

(55) عبد الكافي سويد: موجّه تربوي للتربية الدينية. عمل في التجارة العربية بعد طرده من وزارة التربية بسبب أفكاره السياسية، واعتقال قوات الأمن له مرات عدة في شبابه. صاحب علاقات واسعة وسياسي جيد. ورث السياسة عن والده، استشهد في منتصف 2013 تحت التعذيب في فرع الأمن العسكري.

(56) الشيخ وسيم الدقاق: إمام مسجد القرابيص ومقرئ علوم القرآن الكريم.

خطاب[57]، ووليد الفارس، والمحاميين أبو مازن وأبو نزار، والدكتور أبو فارس، وغيرهم من اختصاصات مختلفة. وكان الاتحاد مميزًا بكوادره ومستواهم العلمي والمعرفي، وانسجامهم. كما عمل مع الاتحاد في الخارج مجموعة شبان نشطين، أبرزهم عمار المسدي[58]، وديمة موسى[59]، ومعاذ السباعي[60]، والدكتور أبو أحمد سويد[61]، وآخرون غيرهم. وتقدّم الاتحاد بمشروعات متعددة الجوانب، إغاثية وطبية وإعلامية.

- اللجنة التنظيمية: كان العاملون في الحقل الطبي نواة هذه اللجنة التي أضيف إلى عملها الجانب الإغاثي. وتميزت اللجنة بكوادر من الطبقة المثقفة الغنية شاركوا في التظاهرات والاعتصامات. وكان أداؤها جيدًا في الجانب الميداني، حيث ضخت أموالًا كثيرة في المدينة والريف لدعم العمل الميداني الثوري. واستطاعت أن تقدم إلى المدينة خدمات متعددة، لكن كان أغلب الأسباب التي عوّقت تواصل أعضائها مع الأهالي أنهم كانوا في معظمهم من المعتقلين السابقين بسبب انتمائهم إلى الإخوان المسلمين، واتهمهم البعض بأنهم يرغبون من وراء ذلك في نشر فكر الإخوان وتسويقه[62].

- تجمّع أحرار حمص: أنشأت هذا التجمّع مجموعة شبان كانت تغطي الجانب الإعلامي، واستفاد أفرادها من الإنترنت بفاعلية، وقدموا دعمًا إعلاميًا للناشطين (كاميرات وحواسيب وأجهزة هاتف نقال)، وكانت لهم علاقات جيدة بالصحافة والقنوات الإخبارية، ومثّلتهم في سورية مجموعة من المثقفين مثل الشهيد خالد المبارك وآخرين شكّلوا تيار الحرية والكرامة.

---

(57) أبو محمد خطاب: فنان في الخط العربي، لُقب بالحنون. استُشهد تحت التعذيب في متصف عام 2013 في فرع الأمن العسكري.

(58) عمار المسدي: ابن الشيخ ياسر.

(59) ديمة موسى: محامية مسيحية من حمص، تعيش في أميركا. شاركت في عضوية المجلس الوطني، وعملت في مجالي التوثيق والإعلام.

(60) معاذ السباعي: شاب مثقف مدير مؤسسة «وطن». كان صاحب فكرة إنشاء اتحاد أحياء حمص.

(61) أبو أحمد سويد: أخو الشهيد عبد الكافي، طبيب غادر سورية بعد اعتقاله مدة طويلة.

(62) كان الناس يخشون في بداية الثورة أن تُختطف ثورتهم، فابتعدوا عن التأدلج، ثم شاع ذلك بسبب طول فترة الثورة.

- تجمّع شباب حمص: أسست هذا التجمّع مجموعة من أساتذة الجامعات والمدرسين والطلاب الجامعيين. كان نشاطه فاعلًا في تنظيم التظاهرات، ونشط في مجال العمل الطبي والإغاثي.

بعد مرور شهور عدة على الثورة السورية، أُسّس مجلس الثورة في محافظة حمص من المكوّنات المذكورة أعلاه. وعُقد اجتماع لتأليف مكتب تنفيذي من إدارات هذه التجمعات. ولم يستطع الأعضاء في البداية الانسجام لأسباب عدة؛ ففي البداية لم تنصهر الكيانات الجزئية كليًا في الكيان الجديد، لكنها نجحت في ما بعد بتوحيد الجهد، خصوصًا في أثناء ظهور مشروع اتحاد ثوار حمص - الذي سنتكلم عليه لاحقًا - ثم أصبح الاندماج شبه كلي.

واجه مجلس الثورة مشكلات عدة في سبيل تنظيم الجمهور الثائر، والتعبير الدقيق عمّا يريد، فحاول أن يصدر طلبات الناس ورغباتهم ويترجمها من خلال بيانات وحملات إعلامية ولقاءات صحافية ورسائل وخطابات، فاتُّهم بأنه يسعى للهيمنة على الثورة أو تحقيق مكاسب على حساب الثوار، الأمر الذي جعله يُصدر بيانًا أوضح فيه أنه سينتهي بانتهاء المهمة وتحقيق الهدف («الشعب يريد إسقاط النظام»).

في جانب آخر تمكّن المجلس من المحافظة على خط ثوري واضح من دون أي زيغ. ولم يصطبغ هذا الخط بأي صبغة أيديولوجية سوى الصبغة الثورية، كما حافظ على مستوى علاقات تكاملية بالكتائب المسلحة، إذ كان شريك معظم الكيانات ومحفزًا لها.

كان من أبرز وجوه المجلس الشهيد عبد الكافي سويد، والشهيد خالد المبارك، والسيد أبو عمر، والمهندس صفوان الجندلي (أبو صافي)، والحاج أبو حسني، إضافة إلى أبي فارس وأبي أحمد وغيرهم من أعضاء المكتب السياسي للمجلس. وقد شارك خالد أبو صلاح في المكتب السياسي بعد أن كان متحدثًا رسميًا باسم المجلس، وبقي عضوًا فيه فترة من الزمن، لكنه تركه بعد مغادرته سورية.

2- مجلس محافظة حمص المحلي

في الوقت الذي أُسس فيه مجلس الثورة في حمص، كانت لدى الشهيد عبد الكافي سويد فكرة وجوب قيام مؤتمر وطني يجمع القوى الثورية كافة، ويسبق انعقاد المؤتمر الوطني خطوات تؤسس لمجالس ثورية في المحافظات، تكون مهمتها جامعة الجوانب الثورية والمدنية. لكن هذه الخطوة لم تفلح بسبب تعثّر تأسيس المجالس الثورية الجامعة في بقية المحافظات، وتأخّر مجلس الثورة في حمص عن الهدف الأخير.

أفاد أعضاء مجلس الثورة وأعضاء آخرون من تجربة مجلسهم وأخطائه، بغية إنشاء كيان جامع للنشاط الثوري والمدني والعسكري في المحافظة[63]؛ إذ لم يكن مجلس الثورة يشمل الجانب العسكري رسميًا، وكانت مهمته تنتهي بإسقاط النظام، بينما كانت الفكرة التي قام عليها مجلس المحافظة هي الاستمرار حتى إيصال البلد إلى بر الأمان، لذا جرى ضم ممثلين عن الأرياف بشكل أوسع، في محاولة لاستيعاب المناطق الريفية بأكملها.

بعد عشرين شهرًا من اندلاع الثورة السورية، أُسس مجلس المحافظة الذي شارك في تأليفه: مجلس الثورة بأعضائه كافة، وطلاب العلم الشرعي (كان هذا أمرًا متميزًا نظرًا إلى أنه كان بمنزلة المرة الأولى التي اندمجت فيها المؤسسة الدينية في العمل الثوري والعسكري والمدني رسميًا وعلنًا)، إضافة إلى تيار الحرية والكرامة، ومؤسسة شام للإغاثة، والهيئة العامة للثورة، ومناطق الريف والمدينة، والمجلس العسكري الثوري التابع لقيادة الأركان. واندمجت هذه المكونات في كيان واحد أول مرة. كما شاركت الجالية السورية في الخارج في تمثيل لها في مجلس محافظة حمص. وفي أقل من ثلاثة شهور من العمل، أُسست المكاتب التنفيذية، وعُيّن مدير للمكتب التنفيذي لمتابعة شؤون العمل. كما شارك أغلب المناطق الريفية رسميًا في المجلس. وكان عدد أعضاء الهيئة اثنين وثلاثين عضوًا من «أكابر» البلد ووُجَهاء المناطق ومؤسسي المجالس. وبدأت علاقاتهم الخارجية

---

(63) مقابلة أجراها الكاتب عبر الـ «سكايب» مع أبو عمر نائب رئيس مجلس محافظة حمص، في 18/2/2012.

تتسع نتيجة هذا العمل الجبار الذي أقبل على المشاركة فيه أغلب المؤسسات في الخارج والداخل. في الوقت ذاته أُسس الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة، واختير عبد الإله فهد[64] ممثلًا عن مجلس محافظة حمص، ولمّا يكن المجلس قد أُعلن، بل حدث ذلك وهو في مرحلة التكوين الأخيرة تقريبًا، وكانت هيئته الإدارية موجودة بأغلب أعضائها في ذلك الوقت[65].

عوّل الثوار في المنطقة المحاصرة على الكيان الجديد، وتطلعوا إلى تلك التجربة بترقب، غير أن قيادات الكتائب رفضت الانضمام إلى المجلس لأسباب عدة، واكتفت بالتنسيق مع المجلس مبدئيًا. كما راقب معظم الكيانات الأخرى المجلس وأداءه من دون التعاون معه أو مشاركته في تحمّل المسؤوليات.

لم يُكتب لمجلس المحافظة الاستمرار بسبب صعوبة التنقل والاتصالات والتنسيق، وبسبب التجاذبات الفكرية والحزبية في مجلس المحافظة. وسرعان ما بدأ أعضاؤه بالانسحاب منه، وتحوّل نشاطه إلى نشاط خدمي فني بحت، اقتصر على تمويل المشروعات الطبية والإغاثية والخدمية. ولم يستطع المجلس تقديم خدمات عسكرية أو أي خطط استراتيجية سياسية على مستوى المحافظة، لكنه قدم نشاطًا مدنيًا وخدميًا متميزًا. كما قدم عبد الإله فهد دعمًا واسعًا للعمل في محافظة حمص، وكان يتمتع بعلاقات جيدة بمختلف الكيانات العاملة فيها، واستطاع إيصال صوتها في الدول التي زارها. وعلى الرغم من تمكّنه من كسب ثقة كثيرين واحترامهم في حمص بسبب تمسكه بالثوابت الثورية، فإنه لم يحقق اختراقًا في المواقف الدولية لمصلحة الثورة أو المحافظة.

3- المجلس العسكري وجبهة حمص

في منتصف عام 2012، أي بعد مرور أكثر من عام وربع عام على اندلاع الثورة السورية، أُسّس المجلس العسكري في محافظة حمص بناء على رغبة

(64) عبد الإله فهد: رجل أعمال وتاجر حمصي، دعم النشاط الثوري منذ أيامه الأولى وخرج من سورية بعد الضغط الذي مورس على التجار ليبادروا إلى دعم النظام.

(65) مقابلة أجراها الكاتب عبر الـ «سكايب» مع عبد الإله فهد، ممثّل مجلس المحافظة في الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة في 4/ 8/ 2013.

الكتائب في تكوين إطار جامع للتنسيق في ما بينها، وليكون نواة لتكوين إدارة مركزية لها، وبهدف تنظيم الدعم والظهور أمام الدول بمظهر منظّم. واختير العقيد المنشق فاتح حسون - قائد جبهة التحرير في حمص في ذلك الوقت - لقيادة المجلس العسكري.

وافقت أغلب الكتائب على التشكيل الجديد. ووُزّعت في بداية تأسيس المجلس مصروفات شهرية، لتشجيع الكتائب على الانضواء إلى إمرة هذا المجلس، لكن التمويل الدوري انقطع في وقت لاحق[66].

لم يتمكن المجلس العسكري من جمع الكتائب كافة تحت لوائه، كما لم يتمكن من قيادتها أو التنسيق بينها، بسبب النزعة الفردية لأغلب قادة الكتائب، علاوة على أن انضمامهم كان صوريًا رغبة في تلقّي الدعم.

لم يكن العقيد فاتح يتحلى بالقدرة على تحمّل هذه المسؤولية الجديدة؛ فعلى الرغم من كونه ضابطًا سابقًا في الجيش، لم يكن حازمًا، فضلًا عن عدم وجود فريق إداري كفؤ لديه[67]، لذا غالبًا ما كان يحار في بعض المواقف. وكان هاجس تجميع الناس يجعله ينأى عن الاصطدام ببعض القادة، محاولة لكسبه في الصف نفسه. فغاص في تفصيلات محاولات التوحيد من دون جدوى. ثم إن منتفعين محسوبين على الثورة لم يسمحوا له بالعمل بحرّية، بل هاجموا مستودعاته مرات عدة، واعتقلوه أكثر من مرة[68]. ولم يعلن الحرب عليهم بسبب أوضاع حمص. كما كان للفجوة الاجتماعية بين الريف والمدينة دور كبير في عدم فاعلية هذه المؤسسة.

تحوّل المجلس العسكري في ما بعد إلى جبهة حمص، وآلت قيادة المجلس إلى العقيد بشار سعد الدين من الرستن. وواجه المشكلات ذاتها

---

(66) مقابلة أجراها الكاتب عبر الـ «سكايب» مع العقيد فاتح حسون، قائد المجلس العسكري لحمص ثم قائد جبهة حمص، في 3/ 3/ 2013.

(67) تقرير إعادة هيكلة المجلس العسكري في حمص، وليد الفارس، مقدم للمجلس العسكري في محافظة حمص، 12/ 12/ 2012.

(68) منهم أبو حاتم الضحيّك الذي سيأتي ذكره في محاولات فك الحصار عن حمص.

التي واجهت العقيد فاتح؛ فعلى الرغم من جمعه عددًا كبيرًا من الضباط، كان هؤلاء يتحلّون بكثير من أوتوقراطية النظام السابق ورتابته، ولم يكن لديهم قدر من المعرفة بالجبهات المختلفة في محافظة حمص، لذلك لم يكونوا مؤهلين لدعمها والتخطيط لها جيدًا.

4- طلاب العلم الشرعي (المشايخ)

كان لطلاب العلم الشرعي في حمص دور فاعل في الحراك الثوري في حمص، إذ أصدرت جمعية العلماء[69] بيانًا ثوريًا في الشهور الأولى من الثورة، فطارد النظام من وقّعوه وأجبر معظمهم على مغادرة البلاد. وحاول النظام منع هؤلاء من إنشاء مؤسسة بالمعنى الحقيقي لأن اجتماعهم سيجلب عليه ويلات كثيرة. ولذلك نرى أن نشاط بعض طلاب العلم الشرعي كان فرديًا، مثل موقف الشيخ أنس السويد الذي سانده في ما بعد طلاب علم آخرون، لكنه غادر سورية في الشهور الأولى من الحراك، ولم يستطع البقاء على الرغم من أهمية وجوده، وتأخر بعضهم عن إعلان موقفه المساند للثورة، في حين استمر آخرون بالعمل مع النظام فترة طويلة واعتُرف به وبوجوده، كمفتي حمص[70] وغيره.

كوّن الشيخ حامد الصالح[71] من طلاب العلم الشرعي مجموعة عمل[72]. ونشط في العمل الإغاثي في بداية الثورة في حي الخالدية، ثم بدأ يدعم العمل المسلح سرًا، ومن ثم أعلن أمره واستلم زمام الأمور. وكان من أصحاب الموقف المتقدم الشيخ وسيم الدقاق، أبو أنس، الذي كان له نشاط كبير بين المناطق. وقد

(69) جمعية علماء حمص: مؤسسة علمية دينية، تضم مشايخ وطلاب العلم الشرعي في حمص. كان لها موقف بارز ومتقدم في بداية الثورة، عُرف ببيان العلماء في حمص، ووقّعه أكثر من أربعين طالب علم شرعي.

(70) مفتي حمص فتح الله القاضي، وكذلك الشيخ أيمن الزهر.

(71) الشيخ حامد من فقهاء حمص، كانت له مكتبة في السوق قرب الجامع الكبير. يتمتع بسعة علم، وبشخصية حادة. كان أخوه من قيادات كتائب الفاروق (أبو علي عسكر). من أبرز الشخصيات التي كانت قربه الشيخ عبد القادر السقا والشيخ لامع البني والشيخ فارس سلمون والشيخ رشيد الربيع والشيخ حسن الصغير والشيخ أمين هريسة، وغيرهم.

(72) مقابلة أجراها الكاتب في حمص مع الشيخ حامد الصالح في 5/ 5/ 2014.

تعرض لأزمة أثّرت في مستوى نشاطه الثوري[73]، حين قُصف بيته فأصيبت عينه وقدمه واستُشهد بعض أقربائه. وابتعد فترة عن ممارسة أي نشاط، لكنه استأنف نشاطه فكان من مؤسسي اتحاد أحياء حمص ومجلس الثورة في حمص ومجلس محافظة حمص، وساهم في دعم عدد من الكتائب وتمويلها.

كان للشيخ سهل جنيد[74] شأن بارز في تصويب أخطاء الثورة السورية، خصوصًا أخطاء المجموعات المسلحة. وساعد في جمع طلاب العلم تحت مظلة واحدة في مدينة حمص، كما أدى دورًا مهمًا في توجيه الدعم. وتابع «معركة الجسد الواحد» و«معركة قادمون يا حمص» مع الشيخ محمود الدالاتي الذي خرج من حمص في مرحلة مبكرة. كما بذل الشيخ حوري عثمان جهدًا محمودًا في منطقة الوعر ومناطق أخرى، وساهم في شحذ الهمم وتثبيت الناس، بما يتميز به من طاقة ونشاط وشجاعة وجرأة[75]. إضافة إلى ذلك، كان لكثير من طلاب العلم الشرعي دور كبير في تصويب المسار الثوري، كالشيخ عبد العزيز بكور من قرية تلبيسة، والشيخ عبد الله منصور من مدينة الرستن، والشيخ عبدو الحمود من تيرمعلة. كما كان لمشايخ الخارج في كل من الأردن والسعودية والكويت ومناطق أخرى، دور مهم في دعم الثورة السورية في حمص وتوجيهها.

في خضم ذلك، حاول بعض طلاب العلم الشرعي الإبقاء على قنوات اتصال مع النظام لأسباب متعددة، منها إطلاق المعتقلين، وإيصال صوت الناس إلى النظام، ولكن تسلط النظام وأد هذه المبادرة وتوقف أغلبهم عن الاتصال به[76].

(73) مقابلة أجراها الكاتب في حمص مع الشيخ وسيم الدقاق في 28/ 5/ 2014.

(74) الشيخ سهل جنيد: أحد كبار مشايخ حمص. ابن الشيخ العلامة محمود جنيد. كان له دور مميز في عملية التوجيه، ثم غادر حمص بعد أن هدده النظام بالقتل، وانضم إلى «معركة قادمون يا حمص».

(75) مقابلة مع الشيخ عبد القادر السقا، مسؤول مكتب الإغاثة في حمص في 19/ 4/ 2014، أجراها الباحث في حمص.

(76) مقابلة مع الشيخ أمين هريسة بتاريخ 1/ 6/ 2014، أجراها الكاتب في حمص.

عمومًا كان الناس يرجعون إلى المشايخ في أغلب الأمور، ويقدمون تبرعاتهم لهم، حتى تعاظم دور المشايخ وتركز أغلب العمل الإغاثي وجزء كبير من العمل المسلح في أيديهم، فكانوا أمناء على ما ائتُمنوا عليه، وكانوا على قدر عالٍ من المسؤولية، بل إن بعضهم لم يوقف نشاطه حتى فارق الحياة، كالشيخ الشهيد صفوان مشارقة الذي استشهد على المنبر بعد قصف المسجد بمدافع الدبابات.

كان يُعاب على هؤلاء الأفراد أنهم لا يتحلون برؤية استراتيجية، وأنهم غير معدَّين أو مؤهلين إداريًا للقيام بمهمات واسعة ومتعددة، كما أن قدراتهم كانت تتركز على المجال الديني غالبًا. لكن الناس حمّلوهم فوق قدراتهم، وكان للخلافات المتعلقة بالمنهج دور في تفرق طلاب العلم الشرعي بعضهم عن بعضهم. علاوة على ذلك، كان بعضهم يهوى الظهور والبروز والبقاء في الواجهة والسيطرة على الأمور، ما كرسّ الفرقة وأثّر في سير العمل.

عمومًا كان دور طلاب العلم الشرعي في بداية الثورة توجيهيًا إرشاديًا، وصوّبوا كثيرًا من الأعمال، فضلًا عن قضايا الدعم والتمويل بسبب ثقة الناس بهم، إلا أنهم فرضوا رأيهم في كثير من أمور لم تكن ضمن نطاق اختصاصهم، ما ساهم في عدم نجاحها.

5– مؤسسات متعددة أخرى

على الرغم من محاولات تأسيس مجالس وكيانات جامعة، فإن هذه المحاولات لم تحقق الهدف منها، خصوصًا في مرحلة عسكرة الثورة. ويعدّ مجلس الثورة في حمص التجربة الأكثر نضجًا وقربًا من محاولة مأسسة تجميع العمل الثوري. واستمر نشاط المجلس وقدرته على جمع الجهد طوال العام الأول من الثورة، ومن ثم بدأ النشاط المدني بالانحسار في مقابل تقدُّم النشاط العسكري وهيمنة المؤسسات العسكرية على القرار، ولم يستطع المجلس التأقلم مع تلك الحالة.

عملت في حمص مؤسسات أخرى - أقل حضورًا - وكانت جزءًا من المشهد العام، مثل حزب التحرير الإسلامي الذي كان لديه كوادر نشطة ومثقفة، لكن نشاطه بقي نخبويًا وتنظيريًا ومحدودًا، ولم يتميز بقاعدة شعبية واسعة، إضافة إلى أفراد من أحزاب مختلفة، من هيئة التنسيق الوطنية التي كان نشاطها في المرحلة السلمية ملحوظًا، لكنه تلاشى في ما بعد بسبب مواقفها الهيئة السلبية من الثورة المسلحة، وكذلك الحزب الشيوعي السوري، وأحزاب ومؤسسات أخرى عملت بشكل فردي أو ضمن مجموعات محدودة التأثير. كما أُنشئت مؤسسات أخرى، مثل «مؤسسة أهل الأثر» الخيرية التي دعمت النشاطين المدني والعسكري، ومؤسسة «وطن»، وغيرها من المؤسسات التي كان لها تأثير في دعم العمل الثوري.

الفصل الثاني

حصار حمص

أولًا: قصة الحصار

في الشهور الأولى للثورة، نشر النظام دباباته في شوارع حمص وقناصين من جنوده في الأبنية المرتفعة، فشهدت المدينة حالة اختناق بسبب تدفق السلع والمواد والناس، حيث كان القائمون على الحواجز في البداية يتسمون بالمزاجية، فيسمحون للمارة بالعبور تارة ويمنعونهم تارة أخرى، وقد يطلقون النار عليهم أو يعتقلونهم أو يصادرون سياراتهم.

كان العيش في أحياء حمص القديمة وحي الخالدية والبياضة وجب الجندلي والقصور والقرابيص، محفوفًا بالمخاطر. وقد قُطعت الخدمات عن معظم هذه الأحياء منذ بداية عام 2012 (اقتحام حي بابا عمرو). ولم يكن - منذ ذلك التاريخ - ثمة منفذ يُسمح من خلاله بعبور السكان والبضائع سوى جورة الشياح باتجاه حي الغوطة[1].

1- التمركز العسكري في مدينة حمص

اعتمد ثوار إدلب - مثلًا - على نهج حرب العصابات الذي يقتضي عدم التمسك بالأرض، والتمركز في الأطراف بحيث يمكن استهداف المناطق العسكرية وضرب الأرتال والتعزيزات والحواجز. وقد انتهج ثوار حمص في بداية العمل المسلح هذا الأسلوب، فكانوا يتمركزون في الريفين الشمالي والجنوبي وبعض الأحياء التي تشكل بوابات المدينة - مثل بابا عمرو، ودير بعلبة- ثم يتسللون في جنح الظلام مستفيدين من ستار الليل وقلة الحركة في الشوارع لمهاجمة النقاط العسكرية. واستمر العمل بهذه الطريقة شهورًا طويلة، تحققت خلالها نتائج كبيرة ضد قوات النظام.

---

(1) مقابلة مع ساري الأزهري، قائد كتائب هيئة حماية المدنيين في حمص، 13/ 11/ 2012.

لكن «الشبيحة» بدأوا يهاجمون الأحياء يوميًا، ويرتكبون عمليات خطف النساء والشبان، ويطلقون النار على الآمنين. وأقاموا حواجز عسكرية انتشرت في محيط الأحياء لحمايتهم وتسهيل أعمالهم، الأمر الذي دفع بعض الشباب الثائر من حملة السلاح إلى التمركز في أغلب الأوقات في بعض النقاط الأساسية داخل الأحياء. لكن على الرغم من هذا، لم يكن التمركز خيارًا متداولًا، بل كان الثوار يغادرون الحي من دون مقاومة في أثناء حملات الدهم والتفتيش التي كان تقوم بها قوات الجيش، ثم يهاجمونها ليلًا في الأطراف. وكان النظام يضيّق كثيرًا على السكان، ويعمد إلى تهجيرهم وابتزازهم، ويجعل منازلهم مصبّ غضبه بعد مهاجمة الثوار قواته.

في بداية شباط/فبراير 2012، بدأ جيش النظام حملة عسكرية واسعة على أحياء حمص، استهلها بقصف عنيف تمهيدًا لاقتحام المدينة، وحشد آلاف الجنود. واتّبع الثوار استراتيجيتهم نفسها بالانسحاب من الأحياء من دون مقاومة، وبعدم التمسك بالأرض، فأخلوا حي عشيرة (الشهداء)، وحي كرم الزيتون، ومنطقة النازحين والعدوية وجب الجندلي، ولكن عندما كانت قوات النظام تدخل إلى الأحياء تعمد إلى ارتكاب مجازر بحق السكان، فيُذبح الأطفال والنساء ويُحرق الرجال والشبان. فأدرك الثوار أن الحملات عملية تطهير حمص على أساس طائفي، لا عملية عسكرية كسابقاتها. وعقدوا اجتماعًا موسعًا لاتخاذ القرار الأبرز في تاريخ المدينة يقتضي التمسك بالأرض والمحافظة عليها. وكان الثوار في هذه المرحلة مجموعات متفرقة يصعب الاتفاق في ما بينها. وعلى الرغم من ذلك، أجمعوا على أن حمص عاصمة الثورة السورية، لا عاصمة أي طائفة، وأنهم لن يسمحوا باقتطاعها لتقسيم سورية في المستقبل، وسيحافظون على من قرر البقاء فيها.

2- إغلاق المنفذ الأخير

في 9 حزيران/يونيو 2012، أغلقت قوات النظام المنفذ الأخير والوحيد بين المنطقة المحاصرة وحي الغوطة، حيث أقدمت على تفتيش حي الغوطة، بحجة تفتيش البرج الأمامي على الطريق المواجه لمنطقة جورة الشياح، ثم

العودة من دون التمركز، لكن هذه القوات نُشرت داخل البرج[2]. ولم يرغب الثوار في التحرك فورًا حفاظًا على حياة المدنيين وتفاديًا لردة فعل النظام على حي الغوطة الذي يغص بالسكان، إضافة إلى عدم وجود جهة مركزية يمكنها اتخاذ مثل هذا القرار.

بدأت قوات النظام محاصرة المنطقة من جميع الجهات ونشر آلاف الجنود والآليات في محيط حمص للسيطرة عليها، ففرضت بذلك على المنطقة حصارًا كاملًا[3]، استمر نحو عامين. وجاء هذا الحصار الكامل بعد حصار جزئي، بدأ بنشر الدبابات والآليات في حمص ومنع وصول مواد غذائية إلى المناطق الثائرة، باستثناء ما كان يصل عن طريق التهريب. وقُطعت عنها الخدمات وهُجّر أهلها، وقُتل من أبنائها في الشهور الأولى للثورة خمسة آلاف شخص. لكن بعد إغلاق المنفذ الأخير، كان يجري اعتقال أو قنص كل من يحاول الدخول إلى تلك المناطق، حتى صار الاقتراب منها مستحيلًا.

لم يسلم باقي أحياء حمص من الحصار، فما إن ظهرت قوة ثوار الوعر وإمكاناتهم حتى أُحيط بهم من كل جانب، ومُنع عن الحي وصول الخدمات والطعام. ولم تسلم الأحياء الثائرة الأخرى التي لم يظهر فيها سلاح، بل حوصرت بحواجز عسكرية وثُبّت في محيطها جُدُر عازلة. وبدأت الفروع الأمنية ترمي بجثث أبناء هذه المناطق المعتقلين في الشوارع كل يوم[4]، وتضاعف عدد المحتجزات والمعتقلات. وواصلت قوات النظام حملة التهجير والقتل وإفراغ المناطق، فارتكبت مجزرة الحصوية المعروفة، ثم مجزرة الدوير (وهي قرية مسيحية تقع في شمال حمص)، حيث قتلت واغتصبت وذبحت وعلقت على أشجار البساتين جثث القتلى، كما ارتكبت ذلك في حق عدد من الأسر في بساتين الوعر.

---

(2) مقابلة أجراها الكاتب في حمص مع الشيخ حوري عثمان، 26/ 7/ 2014.

(3) وليد الفارس، «لماذا يلجأ النظام إلى سياسة الحصار؟،» موقع المختصر، 28/ 5/ 2013، على الرابط: <http://www.almokhtsar.com/node/144939>.

(4) مقابلة أجراها الكاتب في حمص مع أحمد حنيش، قائد كتيبة الهدى الإسلامية، 8/ 5/ 2014.

الكيلومترات عن المدينة، كما توضح صعوبة إيصال إمدادات الذخيرة والسلاح إلى المدينة.

ثانيًا: العيش في حمص المحاصرة

1 - المواد الغذائية

في 9 حزيران/ يونيو 2012 أغلقت قوات النظام المعبر الأخير للمنطقة المحاصرة، وتوقفت بذلك حركة عبور الأشخاص والسلع. وكانت المدينة - في الشهور التي سبقت هذا التاريخ - تعيش حالة حصار جزئي، بحيث لم يكن في الإمكان إدخال شاحنات مواد غذائية، ولا كميات كبيرة من المواد الطبية، ولا أي مواد أخرى ضرورية. فاكتفى سكان المنطقة بمواد أساسية بكميات محدودة.

كانت معظم الخدمات مقطوعة عن المنطقة في ذلك التاريخ: الكهرباء، ومياه الشرب، وخدمات الهاتف الأرضي، وأعمال التنظيفات والصيانة. وحاول بعض الناشطين والسكان القيام بحملات تنظيف، وتشغيل مولدات كهربائية ضخمة، وكذلك تركيب أجهزة اتصالات فضائية، واستخدام مياه الآبار للشرب.

كانت أعداد العائلات الموجودة في الحصار كبيرة عند إغلاق المنفذ الأخير؛ فعلى الرغم من أن أغلب السكان هُجّروا من بيوتهم بسبب القصف - في الفترة التي سبقت حزيران/ يونيو - كانت أعداد أخرى موجودة في المنطقة. وبإغلاق المعبر الأخير، شعر الجميع بالخطر، وبدأت عملية إجلاء كبيرة استمرت نحو ثلاثة أيام عبر منطقة خطرة ومكشوفة في منطقة البساتين، حيث استطاعت أعداد من العائلات مغادرة المنطقة فيما بقيت أعداد أخرى - بعد سيطرة قناصي النظام على المعبر المكشوف - تحت القصف وفي حصار لم تتوقع استمراره نحو عامين.

مرت الشهور الستة الأولى من الحصار بشكل مقبول غذائيًا، حيث توافر كثير من المواد الغذائية، باستثناء اللحوم والخضار والفواكه الطازجة. واعتمد المحاصرون في هذه الفترة على مؤن أهل حمص المشهورة، إذ كانت

الأسر تجفف كل شيء تقريبًا (الباميا والبازلاء والفول والحمص والبندورة والباذنجان والقرع واليقطين والملوخية والبصل والثوم... إلخ، إضافة إلى الأطعمة المعلبة، والأرز والبرغل والعدس... إلخ).

كانت المشكلات الرئيسة في الشهور الستة الأولى تتمحور حول مشكلة تأمين الخدمات الأساسية، مثل الكهرباء والمياه، فاعتمد الناس على الآبار المهجورة ومولدات الطاقة، ولم يكن من السهل الحصول على المحروقات، لأن خزانات المازوت في المنازل كانت المصدر الأساس للوقود، وكذلك خزانات السيارات المتوقفة. بينما تمثلت صعوبات تأمين كميات من اللحوم أو الخضار أو الفواكه أو الحليب للجرحى والأطفال أو الحالات الخاصة، فاعتمد الناس على الطيور الداجنة (الحمام) للحصول على مصدر للحوم. وكانت الطيور موجودة في كل مكان تقريبًا، فمساجد حمص القديمة مليئة بالطيور وكذلك منازلها العربية العريقة. كما اعتمدوا على الأشجار المنزلية، إذ كانت بيوت حمص العربية مشهورة بأشجار البرتقال والليمون والعنب والأكيدنيا والتوت... إلخ، وإن لم تكن الكميات كافية للجميع، لكنها كانت كافية للجرحى والحالات الخاصة.

استهلك سكان المنطقة المحاصرة في الشهور الستة الأولى أغلب المؤن الموجودة في المنازل والمحال التجارية، حيث كانت منطقة سوق المسقوف ومستودعات سوق الخضار وسوق الدجاج تحت سيطرتهم. لكن عندما توقف إنتاج فرن الخبز الوحيد في المنطقة بسبب عدم وجود مادة الخميرة وبسب أعطال الفرن المتكررة، انتهت المرحلة الأولى من الحصار التي تميزت بتوافر أصناف كثيرة من الطعام والخبز والمحروقات. وواجه المحاصرون في هذه المرحلة قصفًا شديدًا عنيفًا، فكان يُسجّل سقوط أكثر من ألف قذيفة من مختلف أنواع الأسلحة على المنطقة المحاصرة، وبالكاد كانت تمر ساعة هدوء في اليوم بحيث يستطيع المرء الخروج فيها لقضاء أشغاله. وكان الثوار يتنقلون تحت القصف، واستُشهد منهم عدد كبير، وكانت الجبهات الأعنف في هذه الفترة هي كرم شمشم وجورة الشياح والقرابيص والقصور.

بدا كانون الثاني/يناير حزينًا كئيبًا، بعد أن فقدت المدينة ثلة من شبانها، ومر الشتاء قاسيًا على المحاصرين بسبب صعوبة تأمين المحروقات، فاعتمد بعضهم على حرق الأخشاب المتناثرة من جرّاء القصف للتدفئة. كما اعتمد السكان في طعامهم على الأرز والبرغل والعدس والمؤن الجافة (النواشف كما يسمّيها أهل حمص)، مثل المكدوس والزيتون والمربيات والزعتر، وأحيانًا الفول والحمص والفاصولياء، فيما غابت أغلب الأصناف الأخرى، وأصبح تأمين الطعام للجرحى أمرًا صعبًا للغاية. وصار الطحين الذي تؤمنه مستودعات المطاحن في حي الخالدية يخبز يدويًا في المنازل. واعتمدت الكتائب على أفران الخبز الصاج، فأنشأت في كل حي فرنًا واحدًا أو فرنين تقريبًا لتأمين ما أمكن من حاجة الناس اليومية من الخبز.

بدأت حركة الزراعة تنتشر بشكل بسيط وأوّلي، فبدأ بعض المحاصرين يزرع الحدائق في المنازل العربية القديمة، وانتشرت تربية الحمام أيضًا، وفي حالات قليلة ونادرة الأرانب والدجاج. وصارت معاناة تأمين الطعام اليومي تستقطع جزءًا كبيرًا من ساعات اليوم، خصوصًا في ظل القصف المتواصل؛ فرغيف الخبز مثلًا يتطلب من الفرد أو الأسرة تأمين آلة لطحن القمح تتطلب بدورها مولد كهرباء، وهذا الأخير يتطلب وقودًا. وعليه بعد تأمين الطحين أن يؤمّن الحطب اللازم للموقد، وهذا كله تحت القصف والاشتباكات.

بعد مرور عام على الحصار، خسر الثوار حي الخالدية الذي كانت مطاحن القمح فيه توفر للمحاصَرين الجزء الأكبر من القمح. وبدأت معاناة الناس الحقيقية، حتى أصبحت ثمار الزيتون الوجبة الرئيسة في الحصار. وصار الاعتماد على الشوربة (الحساء) أساسيًا بسبب قلة الكميات المتوافرة، فكان كوب من الأرز وكوب من العدس يطعمان عشرة أشخاص في معظم الحالات عند وضعهما في وعاء مليء بالماء ومنكّهٍ بالبهارات.

بدأ الاعتماد على ما تنبته الأرض من حشائش وعلى أوراق الشجر، وعلى بقايا الطعام اليسير في المحال والبيوت، فالقوارض كانت قد أكلت كل شيء لم يخزّن بطريقة جيدة، فيما استهلك المحاصرون أغلب الموجود خلال العام الأول من الحصار.

وصار المحاصَرون يمضون ثلاثة أو أربعة أيام لا يتناولون فيها سوى حبات معدودة من الزيتون، أو كمية قليلة من الحشائش، ريثما يجدون وجبة مقبولة، كالبرغل أو الشوربة، أو رغيف خبز. وكان الوضع يزداد سوءًا يومًا بعد يوم. وبدأت أوزان الناس تتناقص بشكل ملحوظ، حتى بات الرجل لا يعرف صديقه لشدة تغيّر شكله. وانتشرت حالات التسمم بالأعشاب والأطعمة الفاسدة، وأكل بعضهم حتى علف الدجاج. وأصبحت بذور النباتات المخصصة للزراعة تُستخدم في الطعام وجبة أساسية. كما أكل الناس طعام العصافير والحمام، ولم يستطيعوا الاستمرار في تربية الحمام أو الأرانب - التي أصبح وجودها نادرًا - بسبب عدم توافر الطعام لها. وطبخ المحاصَرون أوراق التوت وأوراق شجرة الأكيدنيا، وكل ما كانوا يجدونه من أعشاب، حتى صار الشخص يبحث عن شجرة عليها أوراق فلا يجدها. ثم أكلوا جلود البقر (كانت مدابغ الجلود منتشرة في منطقة الدباغة قرب باب هود)، وذبحوا القطط والسلاحف والضفادع، حتى انقرضت في المنطقة المحاصرة.

سُجّل الكثير من حالات نقص التغذية، وسُجلت حالات وفاة، وأُحصي أكثر من ثلاثين شهيدًا سقطوا بفعل القنص في أثناء محاولتهم دخول مناطق خطرة بحثًا عن طعام؛ فقد كان توفير الطعام معاناة يومية دائمة في العام الثاني من الحصار، لدرجة لم يتحملها كثير.

2- الخدمات الصحية

أُنشئ في المنطقة المحاصرة عدد من المشافي الميدانية والنقاط الطبية. وعمل الأطباء الموجودون في المنطقة بطاقتهم كلها، فلم ينعموا بوقت للراحة. ونادرًا ما كان النوم ساعات طويلة يعرف دربًا إلى الفريق الطبي. وكانت النقاط الطبية في الفترة الأولى من الحصار نقاط إسعاف فحسب، حيث كان المصابون يُنقلون إلى المشافي الخاصة قبل الحصار، لكن بعد إغلاق المعبر الأخير، دخل فريق طبي إلى المنطقة وأقام مشفى ميدانيًا. لكن بعد مرور الأيام الأولى من الحصار بات الأمر حرجًا للغاية بالنسبة إلى

الجرحى الذين استُشهد عدد منهم بسبب عدم وجود غرفة عمليات جراحية مجهّزة[5].

تحمّل الفريق الطبي العبء الأكبر في الحصار، وعمل بصمت طوال عامين كاملين. وزاد من عبئه غياب المعدات الطبية اللازمة، ونقص المواد، وانعدام بعض التخصصات في المنطقة المحاصرة، مثل تخصص أمراض العيون، ما أدى إلى فقدان بعض الجرحى البصر بسبب عدم قدرة الأطباء على التنقل في تلك الناحية. كما لم يكن ثمة متخصص بالطب النسائي، ما اضطر الناس إلى الاعتماد على طبيب الجراحة العامة أو الجراحة الداخلية لإجراء عمليات الولادة، كما غابت تخصصات أخرى مارسها الفريق الطبي الذي كان مع المحاصَرين.

كان المصدر الأساس للمواد الطبية مستودعات الدواء التي كانت منتشرة في أنحاء متفرقة من المدينة. وكانت الصعوبات الأكبر تتمثّل في تأمين السيروم والحقن وأدوية الإسعافات الأولية، وبعض أصناف الأدوية الأخرى. لكن في مراحل عدة اعتمد الأطباء على بدائل غير كافية. ويذكر أن عددًا كبيرًا من الجرحى والمصابين توفي جرّاء ضعف الإمكانات والمواد.

3 - الخدمات العامة

اعتمد المحاصَرون عمومًا على المولدات الكهربائية لتوليد الطاقة، وكانت تلك المولدات تشغّل ساعات قليلة في اليوم الواحد. كما اعتمدوا على آبار المياه للشرب. وكثيرًا ما حدثت حالات تسمم بسبب قِدم هذه الآبار وعدم قابليتها للاستخدام من دون تنقية أو تنظيف. وكان المرء يُضطر أحيانًا إلى نقل المياه مسافات طويلة للشرب أو للاغتسال.

لم تكن المؤسسات العامة قيد التشغيل في المنطقة المحاصَرة؛ فالمدارس مثلًا دُمرت بقصف من الطائرات الحربية. لكن جرت أكثر من محاولة لإقامة

(5) وليد الفارس، «تقرير الوضعين الطبي والإنساني: حمص ستة عشر شهرًا على حصار المدينة،» مجلة رابطة حمص في المهجر، العدد الأول (أيلول/ سبتمبر 2012).

حلقات تعليمية للأطفال والكبار، لكن هذه المحاولات سرعان ما كانت تبوء بالفشل بسبب استشهاد طفل في أثناء ذهابه إلى الحلقة التعليمية نتيجة القصف اليومي أو بسبب تعرضه لرصاص القنص على أحد المعابر.

كانت الحياة الاجتماعية في المنطقة المحاصَرة تشبه نمو زهرة في بيئة صخرية؛ فأنشأ بعض الشبان ديوانًا للقضاء والتحكيم، وسُجلت قضايا كثيرة، منها ما جرى بتّها عن طريق الصلح، ولم يوثّق سوى بعضها فحسب. كما سجل الديوان أكثر من مئة وخمسين زواجًا، وأكثر من مئتين وخمسين ولادة. وساهم طلاب العلم الشرعي والناشطون الإعلاميون والحقوقيون في توثيق هذه الحالات.

4- الثقافة في حمص المحاصرة

انتشرت الزيارات بين الأسر المحاصرة في أيام الهدوء القليلة. وكان الجميع يتبادل الطعام عند توافره. ونشأت بين الأسر روابط قوية حتى إن بعض الأطفال عُنيت بتربيته أسر أخرى بعد استشهاد أحد الوالدين أو كليهما. كما كان الثوار يتزاورون، وكانت تقام سهرات إنشاد أو إحياء للتراث الحمصي والعراضات، أو لإلقاء الشعر وسرد القصص ومشاهدة الأفلام والمباريات الرياضية. كما جرى تنظيم بطولات رياضية عدة في كرة الطاولة وكرة القدم والشطرنج.

كذلك أقيمت دورات علمية شرعية ومعلوماتية وثقافية. وكان من أكثر الشبان نشاطًا في هذا المجال المنشد أبو عبدو بشير (الملقب بـ «عراضات») وصديقه أبو سامر، وهما فنانان تراثيان، وكذلك المحامي أبو تراب الذي أقام ندوات عدة، علاوة على طلاب العلم الشرعي الذين نظّموا عددًا كبيرًا من الدورات العلمية، وفي مقدمهم الشيخ عبد العليم والشيخ أبو سيف. كذلك كانت آنسة تدعى وئام تهتم بالأطفال وبتربيتهم، وتحاول أن تبث فيهم أفكارًا ثقافية ثورية، وتؤهلهم للانخراط في المجتمع. وقد أنشأت مع شبان آخرين مركزًا تعليميًا للاهتمام بالأطفال.

كما نظم بعض الشبان دورات رياضية في كرة القدم وكرة الطاولة، وكانت المنافسات بين الفرق تحظى بحضور كبير. وأنتج بعض الشبان الإعلاميين مسلسلات كوميدية بعنوان «مرايا حمص» أو«بقعة ضوء حمصية» وغيرها، لانتقاد الأخطاء الثورية تارة وانتقاد المعارضة تارة أخرى، وانتقاد المجتمع الدولي، والتمرد على النظام بأسلوب ساخر واستهزائي، ومن هؤلاء الشبان محمد أبو سليمان وعمر الخالدية.

5- التنقل في حمص المحاصرة

في مكان يكثر فيه القناصون وتنهمر على طرقاته قذائف الهاون، يصبح التنقل أكثر الأعمال خطورة على وجه الأرض؛ فأغلب الشوارع كانت مكشوفة لنقاط الجيش، وكان عبورها يتم من خلف سواتر قماشية أو ترابية أو براميل أو متاريس لحجب الرؤية عن القناص. وكان المقاتلون في الجبهات يتنقلون عبر ما بات يُعرف بـ «الخراقات»، وهي فُتَحات تُثقَب في جُدُر المنازل والأبنية، ويتم الانتقال عبرها من دون الخروج إلى الشارع. وكان هذا الأمر ضروريًا حفاظًا على الأرواح التي كان يحصدها القصف والقناصة في الشارع. ومن الطرائف أن المتنقل من خلال هذه «الخراقات» قد يمر بغرفة نوم أو جلوس أو حمام، ومنها إلى غرفة أخرى، فيشاهد على الرغم منه صورًا معلقة ورسومًا وأشياء ما كان له أن يراها في الأوضاع العادية.

اعتمد المقاتلون أيضًا على الأنفاق التي حفروها بين شارعين أو تحت شارع مكشوف لنقاط الجيش؛ فعلى سبيل المثال، عندما خسر الثوار الخالدية، انتقلوا من حمص القديمة إلى منطقة جورة الشياح من خلال ستة أنفاق، ثم عبر خندقين رئيسين.

كان التنقل يجري مشيًا في أغلب الأوقات بسبب صعوبة الطرقات، أمّا في الأحياء البعيدة عن جبهات القتال، فكان يتم من خلال الدراجات الكهربائية أو الهوائية، وفي حالات خاصة جدًا كانت السيارات التي تعمل على الديزل تنقل المقاتلين والمعدات، وكان المازوت المخزّن في المنازل والمحال يُستعمل لهذه الغاية.

6- الألقاب والأسماء في حمص المحاصرة

منذ الأيام الأولى للثورة كان الناس يتنادون بالألقاب لا بالأسماء الحقيقية، وذلك لدواعٍ أمنية؛ فالكنية كانت هي المتداولة. لكن كان الشخص يُميّز بلقب ما منسوبٍ إلى عمل يزاوله، خصوصًا إذا تشابهت الكنيات، فـأبو خالد رامي مدفع الميدان يُعرف بـ «أبو خالد المدفع»، وأبو خالد رامي مدفع الرشاش يُعرف بـ «أبو خالد الرشاش»، وأبو خالد السائق يُعرف بـ «أبو خالد السيارة»، وهكذا. كما انتشرت ألقاب طريفة تدل على عقلية هؤلاء وبساطتهم وقدرتهم على الابتكار، فانتشرت ألقاب مثل: «أغراض» وتعني أشياء، للدلالة على أن صاحب هذه الكنية يجمع الأشياء للناس؛ «طاقية» وتعني قبعة، للدلالة على أن صاحبها يتميز بقبعة دائمة على رأسه؛ «غطيلي» وتعني القيام بعمليات التغطية النارية على الجبهة؛ «الأنصاري» وتعني أن صاحبها من كتيبة الأنصار ...

ثالثًا: المدنيون في حمص المحاصرة

بعد قصف أحياء المدينة بالصواريخ وقذائف الهاون، ونتيجة المعارك التي جرت في شوارع حمص وطرقاتها الرئيسة لتحرير الحواجز العسكرية وإزالة القناصين من المباني المرتفعة، نزح عدد كبير من أهالي حمص إلى مناطق مختلفة، إلى الخارج نحو لبنان وغيره، وإلى الداخل مثل منطقة الوعر وقرى حمص الشرقية والشمالية.

بقي في أحياء حمص التي دارت فيها الاشتباكات وتعرضت للقصف عدد قليل من المدنيين يقدَّر ببضعة آلاف[6]. وكان أغلب هؤلاء ممن نزحوا من مناطق احتلها الجيش، مثل جب الجندلي وعشيرة وكرم الزيتون والبياضة،

---

(6) كان عدد المدنيين في بداية الحصار أكثر من ثمانية آلاف مدني، خرجت أول دفعة منهم من القرابيص باتجاه الغوطة، ثم خرجت دفعة ثانية عبر نفق باتجاه الحصوية. وخرجت دفعات أخرى إلى الوعر، وهكذا، وبقي حتى تاريخ توقيع اتفاقية الأمم المتحدة لإجلائهم نحو ألف وخمسمئة مدني.

وبعضهم من أحياء حمص القديمة، وهم من المسلمين السنّة والمسيحيين، ومنهم طلاب علم شرعي، وقس أجنبي هو الأب فرانس[7].

عاش المدنيون في المنطقة المحاصرة التي يُعد العيش فيها الأخطر في العالم، حيث قُطعت عنهم خدمات الحياة كافة، بما فيها مياه الشرب، فاعتمدوا على مياه الآبار ومولدات الكهرباء والمشافي الميدانية للعلاج، وعاشوا في ظل القصف اليومي الذي لا يهدأ، فكانت الصواريخ والقذائف تنهمر عليهم من كل حدب وصوب:

ولم يُسمح بإنشاء مؤسسات مدنية بديلة من مؤسسات الحكومة لتقديم الخدمات إلى المدنيين. واعتمد النشاط الخاص بالمدنيين على وجهاء المنطقة وكبار السن بالدرجة الأولى، فكان هؤلاء يقدمون الخدمات الأساسية إلى المدنيين في مناطق وجودهم أو يشرفون على سير تقديم هذه الخدمات. كما قامت الكتائب بخدمة المدنيين في نطاق مقارّها الإدارية. وعلى الرغم من وجود مجلس المدينة في المنطقة المحاصرة، فإنه لم يقدم الكثير إلى المدنيين بسبب أوضاع الحصار.

كانت دوافع بقاء المدنيين في المنطقة المحاصرة كثيرة، أهمها بقاؤهم في منازلهم وبيوتهم في تحدٍّ للواقع المحيط بهم، وأحيانًا للبقاء قرب أبنائهم المشاركين في الثورة، وفي أحيان أخرى لأسباب تتعلق بالأوضاع التي ساقتهم إلى البقاء، أو بانعدام وجود مأوى آمن آخر، على الرغم من صعوبة الأوضاع في المنطقة المحاصرة.

خرجت الدفعة الأولى من المدنيين من المنطقة المحاصرة نحو الغوطة عبر حي القرابيص، في مخاطرة عالية جدًا نسبيًا، واستطاع الثوار إيصال عدد كبير من المدنيين إلى منطقة خارج منطقة الحصار. أمّا الدفعة الثانية، فغادرت عبر معبر باب المسدود مرورًا بباب هود، وذلك في الشهرين الثاني والثالث

(7) الأب فرانس فندرلخت: كاهن هولندي الأصل، كان يدير دير الآباء اليسوعيين ويُعنى بشؤون المسيحيين في حمص القديمة. قتله ظلمًا في نيسان/ أبريل 2014 مسلح مجهول الهوية.

من الحصار. كما خرجت دفعات أخرى صغيرة عبر أنفاق وممرات وصل إليها الثوار في أوقات مختلفة. وقد سقط عدد كبير من الشهداء في أثناء خروج المدنيين نتيجة استهدافهم، كما غرق بعضهم وهو يعبر نهر العاصي إلى منطقة الوعر. وغادرت الدفعة الأخيرة التي يزيد عددها على ألف وخمسمئة مدني تحت مظلة الأمم المتحدة بموجب اتفاقية جنيف 2.

رابعًا: إمداد المنطقة المحاصرة

حال الحصار دون إدخال السلاح إلى المنطقة المحاصرة. لكن الإمدادات لم تتوقف بالكامل خلال عامي الحصار؛ ففي فترات متقطعة وقليلة جدًا، اعتمد الثوار على الأنفاق وأنابيب المياه ومجاري الصرف الصحي لنقل السلاح والذخائر.

شكلت وسائل الإمداد هذه شريان حياة للمنطقة المحاصرة، لكن سهل على الجيش والأمن اكتشافها لأسباب عدة، أبرزها أنها كانت تمر بمناطق سيطرة الجيش، علاوة على الاستهتار الأمني في شأن الاتصالات، إذ كان بعض الشبان في المنطقة المحاصرة يتصل بأصدقاء له عبر الهاتف المحمول - المراقب أصلًا من النظام - ويطلب منه حاجاته ويخبره بمكان إيصالها له. وكانت أجهزة الاستخبارات تراقب حركة المرور في منطقة ما، وارتفاع حركة الاتصالات اليومية، فضلًا عن مراقبة الاتصالات الهاتفية. وكان بعض الشبان يبرر تلك التصرفات بفكرة طالما هيمنت على السوريين هي أن «الاستخبارات تعرف كل شيء». وقد تربت أجيال متعاقبة على هذه الفكرة في المدرسة وفي مؤسسات البعث، بل وحتى في المنازل! ولم تستطع جميع حملات التوعية في هذا الشأن إلغاء هذه الفكرة. كذلك ساهم بعضهم في اكتشاف هذه الطرق بالكتابة عنها على صفحات التواصل الاجتماعي، أو بالإشارة إلى الأخطاء التي تحصل في الاستلام والتسليم، أو من خلال الكتابة عن مسألة تتعلق بالأمر، كما أن المخبرين كان لهم دور في اكتشاف طرق الإمداد هذه.

دفع المحاصرون ثمن هذه التصرفات غاليًا، إذ كانت قوات النظام تلجأ إلى تفجير هذه الأنفاق، أو نصب كمائن لكتائب الإمداد، فانعكس ذلك على

قطع الإمداد عن المنطقة. وعلى الرغم من أن هذه الممرات كانت نادرة الوجود وقليلة ومن أنها استُخدمت مرات متباعدة ولمدة محدودة، فإنها ساهمت في بقاء المنطقة المحاصرة والمحاصَرين على قيد الحياة.

على الرغم من ذلك، نجح الثوار نحو ست مرات خلال عامين من فتح ممرات للإمداد، كان أغلبها عن طريق شبكة المجاري والأنفاق، ولم تكن كميات الأسلحة والذخائر التي أُدخلت عبر هذه الممرات كبيرة، إذ لم تتجاوز في كل مرة بضعة آلاف من الطلقات لكل نوع من السلاح.

1 – الأنفاق وسيلة إمداد رئيسة

كانت حمص محاصرة من جميع الجهات، وكان المقاتلون يرون في كل يوم حياة أخرى في الجانب الآخر. فكان ثمة كهرباء، وكانت الطرقات العامة تشهد حركتها يومية. لقد كانت الأحياء المدنية الأخرى قريبة جدًا من المنطقة المحاصرة، ولا يكاد الفاصل بينهما يتجاوز عشرات الأمتار في بعض الحالات، مثل باب هود الذي كان في مقابله الميدان الذي كان فيه مدنيون، ولا يبعد عن الحي أكثر من مئة متر، وفيه أبنية سكنية تمترست فيها قوات من الجيش وثبتت فيها أسلحة ثقيلة وقناصين تمنع الوصول إليها. وكذلك الأمر في حي الوعر الذي لم يكن يبعد أكثر من كيلومتر واحد، والريف الشمالي الذي كان يبعد نحو خمسة كيلومترات، علاوة على أحياء كثيرة كانت قريبة للغاية.

كانت هناك وسيلتان للوصول إلى الأحياء القريبة، من أجل الحصول على الإمدادات:

– **الجو**: حاول الثوار إرسال المساعدات الإغاثية عبر الجو، متجاوزين قوات الجيش التي تحاصر منطقتهم، وذلك باستخدام طائرات الألعاب التي يمكن التحكم فيها عن بُعد، لكن هذه الطائرات كانت لا تقوى على التحليق مسافة طويلة، ولا على نقل حمولة ثقيلة، ناهيك عن احتمال تعرضها لنيران جنود النظام. كما جرّب الثوار استخدام «منجنيق» لإطلاق المواد التي يحتاج إليها المحاصرون، لكن هذه المحاولة باءت بالفشل بسبب انكسار الذراع الحاملة

تحت ثقل الحمولة. الوسيلة الوحيدة التي بقيت أمام الثوار كانت إطلاق حشوات هاون مفرغة من المادة المتفجرة، ومحشوة بالمواد اللازمة (منها التبغ في بعض الحالات بسبب خفة وزنه)، لكن تكلفة هذه الوسيلة كانت عالية، علاوة على البحث عن مكان سقوط الحشوة، واحتمال تعرض المدفع للتلف.

- الأرض: كانت المسافة التي تفصل بين المناطق المحاصرة والمناطق المقصودة قصيرة، فجرى حفر أنفاق مرت تحت الأماكن التي كانت تتمركز فيها قوات النظام. واستطاع الثوار في كثير من الحالات فتح ممرات إمداد تحت الأرض، لكن ذلك لم يكن يدوم كثيرًا لأسباب عدة، منها:

- اكتشاف الأنفاق وتخريبها بتفجيرها؛ إذ كانت الأنفاق تمر تحت مبانٍ تتمركز فيها قوات النظام، منها، مثلًا، نفق كان يمر تحت مبنى فرع الاستخبارات الجوية، فاكتُشف، فكمنت قوات النظام للثوار وقتلت عددًا منهم، وأسرت آخرين.

- لم يكن الطرف الآخر من النفق تحت سيطرة الثوار في حالات كثيرة، وكان في مقدور قوات الجيش الوصول إليه، الأمر الذي أدى إلى انهيار عملية الإمداد بعد اكتشاف فُتحتي الخروج والدخول.

- عدم انضباط الثوار، وخرقهم أصول أمان عمليات الإمداد، الأمر الذي نجم عنه اكتشاف قوات النظام أنفاقًا كثيرة، من خلال التنصت على هواتف الثوار أو من خلال مراقبة حساباتهم على الإنترنت وغير ذلك من الوسائل البسيطة.

2- مع بداية العمل المسلح

طالما شكّلت الحدود السورية - اللبنانية بيئة حاضنة لتهريب السلع بين أراضي سورية ولبنان. واعتمدت حمص في بداية عملها المسلح على تهريب السلاح والذخيرة والتقنيات الإلكترونية وما يتعلق بالاتصالات من المناطق اللبنانية. وكانت القصير أبرز نقاط عبور السلاح وتدفقه إلى حمص والقلمون وغوطة دمشق وغيرها من المناطق القريبة. وعلى الرغم من تدخّل حزب الله

بشكل كبير لمساعدة النظام السوري في ضبط الحدود، فإن كتائب القصير كانت محترفة في عمليات الإمداد، فلم تفلح محاولات منع تدفق السلاح إلى حمص بالكامل، لكن التهريب أصبح أكثر صعوبة.

شكلت بابا عمرو وجوبر والسلطانية والمباركية والبويضة مناطق لوجستية مهمة في محافظة حمص. وعندما أدرك النظام الأمر، شن حملات عسكرية واسعة على هذه المناطق، أكبرها الحملة على بابا عمرو في بداية عام 2012، حيث نجحت قواته في السيطرة على بابا عمرو وحاصرت جوبر والسلطانية، ثم اقتحمت المباركية وسوّتها بالأرض.

هكذا أغلقت قوات النظام الطريق نحو المدينة، وتوقف تدفق الإمدادات من خلال هذا المحور بشكل شبه كامل. ثم شنت حملتها المعروفة ضد القصير وسيطرت عليها، وأصبحت الطريق الشرقية إلى القريتين هي الطريق الرئيسة، لكن النظام سارع إلى السيطرة عليهما، وبذلك بقيت الطريق السالكة الوحيدة إلى شمال سورية عبر الريف الشمالي الذي كان شبه محاصر. وكانت الحواجز العسكرية وحواجز «الشبيحة» تعوّق تدفق السلاح. كما كان ناقلو الأسلحة يتعرضون لكمائن كثيرة، ما جعل تدفق الإمدادات صعبًا للغاية، حتى إن وصول شحنة من السلاح من شمال سورية إلى الريف الشمالي كان يستغرق عشرة أيام أو عشرين يومًا. وقد تبقى الطريق مقطوعة شهرًا بشكل متواصل، وقد لا تصل الشحنات أبدًا في أحيان أخرى، علاوة على أنه لم يكن في الإمكان نقل كميات كبيرة من الأسلحة، فضلًا عن التكلفة الباهظة التي كانت تدفع إلى الناقل لإيصال «البضاعة» إلى الريف الشمالي.

كانت الإمدادات المرسلة إلى حمص بسيطة من حيث الكميات وغير متنوعة. وكان الجميع يشعر بأن ثمة قرارًا دوليًا اتُّخذ بشأن عدم إرسال السلاح إلى حمص منعًا «لارتكاب مجازر بحق الأقلية العلوية الموجودة في حمص ومحيطها». ومع منتصف عام 2013 تقريبًا، أصبح لدى ثوار الغوطة الشرقية في ريف دمشق منظومة مضادة للطيران من طراز «أوسا»، كما امتلك ثوار بعض المناطق أسلحة مضادة للدروع وأخرى مضادة للطائرات ورشاشات

ثقيلة متطورة، في حين كانت حمص المحاصرة تبحث عن طلقات لبندقية كلاشنكوف فلا تكاد تجدها.

3 - تنظيم «الدولة الإسلامية في العراق والشام» وتدفق السلاح نحو حمص

بعد إغلاق الحدود السورية - اللبنانية، بدأ تدفق السلاح عبر الشمال السوري باتجاه حمص. وأصبحت الحواجز الأساسية على الطرقات حواجز النظام وحواجز تنظيم «داعش» الذي احتجز دفعات عدة من السلاح في الريف الشمالي، وعلى الطريق المؤدية إلى حمص في ريف حماة.

جرى اعتراض طريق أكثر من شحنة سلاح، كان أهمها ما جرى في منتصف تشرين الثاني/نوفمبر 2013، عندما صادر «داعش» شحنة تحتوي على صواريخ غراد وذخائر ورشاشات كانت مرسلة من شمال سورية لاستخدامها في الريف الشمالي، أو لإدخالها في أي وقت ممكن إلى المدينة. كما صادر الحاج حسن السلفي، وهو واحد من «أمراء» التنظيم، أسلحة خاصة بكتيبة خالد بن الوليد وكتائب هيئة حماية المدنيين في الريف الشمالي. وبعد تدخلات ووساطات عدة أُعيد جزء من الشحنة المصادرة، وتعهد التنظيم بعدم التعرض لأي سلاح مرسل إلى المنطقة المحاصرة. وكانت ألوية وكتائب حمص أصدرت بيانًا في هذا الشأن (انظر الملحق، بيان رقم: 12 - ش - 14).

4- إدارة المخازن في المنطقة المحاصرة

لم يكن الإمداد متواصلًا، الأمر الذي استدعى إدارة جيدة للمخزون والاستهلاك، فشُكلت لهذا الغرض إدارة للمخازن في المنطقة المحاصرة، لكن، للأسف، لم يكن الجميع على درجة واحدة من الوعي والإدراك لهذه المسألة، خصوصًا في بداية الحصار، إذ كان معظم المحاصرين يراهن على فك الحصار في فترة وجيزة، ولم يتوقع أحد استمراره عامين كاملين، في حين أدارت كتائب أخرى مخازنها بحرفية واهتمام، فكانت كتيبة الأنصار أفضل الكتائب تنظيمًا في هذا الشأن، إذ اتخذت إجراءات تبدأ بتدريب المقاتل على التعامل مع البندقية وإطلاق النار وتجنب الهدر، وتنتهي بدراسة معدل استهلاك كل جبهة بناءً على

دراسات غرف العمليات، مرورًا بإنشاء سجلات تضبط الاستهلاك اليومي. كما اشتُهرت كتيبة أحفاد خالد، وكتيبة أتباع الرسول، والفاروق، بإدارة مستودعاتها بشكل جيد، فيما لم تفرض كتائب أخرى أي رقابة على الاستهلاك، ما دفع بعض المقاتلين في بعض الحالات إلى ابتياع الذخيرة من كتائب أخرى.

5- شحّ السلاح والاعتماد على ما يخلّفه النظام في ساحة المعركة

سـلاح فردي خفيف، كلاشـنكوف، ورشاشـات متوسـطة، وقاذفات «آر بي جي»... كان هذه أسلحة مقاتلي حمص في مواجهة الدبابات والطائرات الحربية والسلاح الثقيل. كان السلاح ملائمًا في بعض الحالات للقتال الذي يجري في الأبنية والاشتباكات داخل الكتل السكنية. وكانت المشكلة التي برزت واستمرت طوال فترة الحصار هي شح الذخيرة؛ فقد كان المقاتلون يجمعون الذخيرة طلقة طلقة، وكانت غرف العمليات تعطي الجبهة المشتعلة خمسين طلقة أو مئة طلقة فقط. وفي بعض الحالات، شاهدت بأم عيني المقاتلين في جبهة باب هود يرشقون قوات الجيش بالحجارة، ليوهموها بأنها قنابل لم تنفجر، فإذا اقترب الجنود أكثر ألقوا عليهم القنبلة الوحيدة التي في حوزتهم! وقد جرت معارك كاملة هجومية أو دفاعية باستهلاك يراوح بين ألف وألفي طلقة. ويدرك المطلعون في الشأن العسكري أن هذا الرقم لا يكفي مجموعة مؤلفة من خمسة إلى عشرة مقاتلين.

كان المصدر الأساس للسلاح قوات النظام! أو بالأحرى القذائف التي تطلقها هذه القوات ولا تنفجر؛ فالبراميل التي كانت الطائرات تلقيها في بداية الحصار، والأسطوانات التي تُطلَق على الجبهات، وصواريخ الطائرات وقذائف الهاون، التي لا تنفجر كانت مصدرًا أساسًا لصنع القنابل اليدوية التي كانت عامل الدفاع الأساس الذي استخدمه المقاتلون في الدفاع عن الأحياء. فما إن تلقي طائرة حربية صاروخًا على أحد الأبنية ولا ينفجر، حتى يهرع إليه المحاصرون لانتشاله وفكه واستخدام مواده ضد من أطلقه.

نعرض في الجدول الآتي السلاح فوق المتوسط (الثقيل) في حمص المحاصرة.

الجدول (2-1)

السلاح الثقيل في حمص المحاصرة

السلاح الثقيل	العدد	ملاحظات
رشاشات دوشكا	7	أغلبها من دون طلقات. الذخّرة تحوي جنزيرًا واحدًا (مئة طلقة) إلى جنزيرين
رشاشات عيار 14.5	2	الطلقات متوافرة بكميات قليلة
مدافع هاون	5	تصنيع محلي، تعتمد الحشوات على إعادة تصنيع ما تطلقه قوات النظام
قاذف أن 29 (مضاد دروع)	1	من دون حشوات
مدفع بي 10	1	من دون حشوات
مدرعة بي إم بي	1	من دون حشوات
صواريخ مضادة للطائرات	2	من دون بطاريات (لا تعمل)

الفصل الثالث

المؤسسات في حمص المحاصرة
ومحاولات التنظيم

اعتمدت المجموعات المسلحة على شخصية القائد عند تأسيسها؛ إذ كانت الشخصية الكاريزمية والقدرة على التأثير تجعلان الشبان الراغبين في العمل في منطقة ما، يلتفون حوله. أمّا بالنسبة إلى الكتائب التي أُنشئت على منهج ما، فكانت الفكرة، إضافة إلى شخصية القائد، وسيلة التجميع والتكوين.

أولًا: الفصائل في مدينة حمص

بسبب تعدد الجماعات المسلحة في حمص المحاصرة، كان ثمة محاولات لتوحيد الجهد في كيان عسكري موحّد يقوم بتخطيط الأعمال العسكرية وتنسيقها في مدينة حمص. وكان من أبرز تلك المحاولات:

1- كتيبة الفاروق[1]

كانت هذه الكتيبة من أولى الكتائب التي تشكلت في سورية، وفي مدينة حمص بالتحديد. أسسها أمجد البيطار أبو أحمد[2] الذي كان أسلوبه تجميعيًا

---

(1) ورد الحديث عنها في الفصل الأول، وهنا أشير إلى تفصيلات أخرى بشأنها.

(2) أمجد بيطار: شاب من طلبة العلم الشرعي ذو توجه سلفي. دعم في البداية مجموعات متفرقة في حمص، أبرزها مجموعة أبو أسعد النمر (التدمري) الذي كان القائد الفعلي لمنطقة الخالدية، ومن ثم توجه بدعمه إلى مجموعات بابا عمرو. وكانت الخالدية وبابا عمرو أهم نقطتي تجمع للمقاتلين في مدينة حمص. وكان حي بابا عمرو يتميز بوجود شبان ملتزمين فيه، منهم من لديه خبرة قتالية، فبقي فيه بسبب طبيعته الجغرافية واتصاله بمناطق الإمداد. وكان فيه مقاتلون ممن شاركوا في القتال في العراق وضباط منشقون من الجيش النظامي، وقد ساعدت البساتين وامتدادها في وجود هؤلاء الأشخاص، وضمان تحركهم بسهولة. وأقيمت في بساتين الحي مراكز تدريب للمقاتلين ومعامل لإعداد المتفجرات من مواد بسيطة. في هذا الجو دعم أمجد البيطار مجموعات متعددة، والتحق بهم الملازم الشهير عبد الرزاق طلاس، الذي ساعد في تشكيل الفاروق على أساس عسكري بحت، وأعلن تشكليها بقيادته، وكانت القيادة الفعلية آنذاك لأمجد البيطار، والقيادة العسكرية لعبد الرزاق وقادة المجموعات. كما كان هناك قادة إداريون، مثل أبو السايح الذي أصبح نائبًا لقائد جبهة حمص عند تأسيسها.

في بداية الثورة، لكنه ما لبث أن اصطدم بتجارب تأسيس المجموعات خارج الفاروق، ولم يستطع تدارك إبقاء المجموعات العسكرية المؤسسة حديثًا في كتيبته.

بعد سقوط بابا عمرو وزيارة المراقبين الدوليين للخالدية، خفت بريق الفاروق بشكل كبير، وانتقل البيطار للعمل في منطقة الريف الشمالي بشكل علني، بوصفه قائدًا للفاروق. ثم غادر بعد أن أوكل الإدارة إلى أحد القادة الميدانيين، فحصلت تصدعات في الفاروق بين أصحاب التيار الديني وأصحاب التيار الشعبي، الأمر الذي أدى إلى انقسام الفاروق إلى فاروق إسلامية وفاروق حمص.

كانت في الفاروق شخصيات قيادية، مثل الحاج عبيد وأبو هلال الدروش وعمار القدر وأبو السايح وغيرهم.

انشقت مجموعات الخالدية القتالية عن الفاروق أيضًا بسبب خلافات، وشكّلت لواء الخير، ما رفع الحساسية «المناطقية» عند بعضها. وكان لبعض الثوار ردة فعل، مثل ثوار البياضة الذين شعروا بتهميشهم وبأنهم ملحقون بالكتيبة، فما كان منهم إلا أن شكّلوا لواء جديدًا سمّوه لواء أحرار البياضة. وبفضل جهد بعضهم، أُنهي هذا الخلاف وخفت الحدة «المناطقية» في تلك الفترة.

على الرغم من أن الفاروق جمعت أغلب المجموعات المسلحة في بداية الأمر، ووضعت اللبنة الأولى في بدء العمل المسلح وتنظيمه على أسس عسكرية وإدارية، فإن المشكلات التي برزت في ما بعد حالت دون بقائها كيانًا جامعًا، كما ساهمت شخصية البيطار الحادة وتفرده بالقرار في تشتت عناصر الفاروق.

2- هيئة حماية المدنيين

أنشأ رجال أعمال سوريون في الخارج هيئة حماية المدنيين في بداية الثورة السورية. ولم تكن هذه الهيئة تنتمي بشكل مباشر إلى جماعة الإخوان المسلمين، ولا علاقة رسمية لها بالجماعة، الأمر الذي أكده مسؤولو الجماعة

أكثر من مرة، إلا أن رجالها وقادتها كانوا في أغلبهم محسوبين على تيار الإخوان المسلمين. وقامت فكرة الهيئة في البداية على إنشاء تجمع مدني وعسكري يمارس مهمات الأمن والدفاع عن سكان المدينة، علاوة على مهمات الإسعاف والعمل الطبي والإغاثي في بعض الأحيان.

تشكلت الهيئة عمليًا في حمص بعد انتشار العمل المسلح، وبدء تحرير الحواجز في المدينة، ومع بداية الحملة العسكرية على بابا عمرو تقريبًا. ولم يكن مشروع الهيئة معلنًا بشكل كافٍ في ذلك الحين. لكن مع بدء الحملة العسكرية على بابا عمرو وبدء ثوار الخالدية وحمص القديمة بتوسيع دائرة عملهم، استُبدل مسؤول التنسيق في الهيئة، وأصبح عملها في المدينة أكثر ترابطًا.

في بداية نيسان/أبريل 2012، قدّم منسق الهيئة في حمص مشروعًا جامعًا يمكن من خلاله توحيد الصف في حمص كلها، من دون أن يحدد له مسمّى، وأكد أن كتائب الهيئة ستكون تابعة للمشروع، وأن الهيئة ستتكفل بالجميع. وتعهد بتقديم تمويل كامل للمقاتلين والإعلاميين وأعمال الإغاثة، غير أن أغلب الكتائب لم يقبل المشروع بسبب ارتباط الهيئة بطريقة غير مباشرة بالإخوان المسلمين، على الرغم من تأكيد المنسق أن المشروع لن تكون له أي صلة بالإخوان، وأن الهيئة كيان مستقل عنهم.

في ذلك الوقت كان ثمة ثلاث كتائب تابعة للهيئة:

- كتيبة عمر بن عبد العزيز بقيادة أبو وليد العزي؛ وهي كتيبة صغيرة أُسست في كرم الزيتون وجب الجندلي، وأغلب عناصرها من عرب العزي.

- كتيبة كعب الأحبار: كانت ناشطة في الدفاع عن حي باب الدريب في حمص القديمة، وكانت مكوّنة من أبناء الحي، وتتميز بسمعة جيدة تحت قيادة أبو صقار شلار[3].

---

(3) استُشهد في ما بعد في معركة جورة الشياح. ساعده في الإدارة شخص من آل عبارة كان حسن السمعة ومحبوبًا من الناس، وكان أبو صقار يتمتع بشخصية جيدة أهّلته لقيادة كتائب الهيئة كلها.

- كتيبة مصعب بن عمير: اقتصر نشاط هذه الكتيبة على باب الدريب والشرفة والصفصافة، وكانت تتكوّن من أبناء المنطقة بقيادة أبو الليل الأزهري[4].

- كتيبة الجهاد الإسلامي: أسسها أبو ثابت[5] وأبو حيدر حاكمي في حي الوعر وحمص القديمة. ورئس أبو ثابت القيادة في حمص القديمة وأبو حيدر في الوعر. وكانت الكتيبة أحدث الكتائب انضمامًا إلى الهيئة.

لم يكن لهذه الكتائب، إضافة إلى مجموعات صغيرة أخرى مثل كتيبة الإخلاص وكتيبة سيف الله، تمويل جيد، ما دفعها إلى الالتحاق بالهيئة التي قدمت إليها عروضًا مالية جيدة: نفقات شهرية وذخيرة.

اقتصر عمل الهيئة في حدود هذه الكتائب، وتبعتها كتائب أخرى لم يكن لها مصدر تمويل واضح ودائم، وانضمت إليها في ما بعد كتيبة عبد الله بن مسعود[6].

استطاعت هيئة حماية المدنيين جمع كثير من المقاتلين من ذوي الطابع الشعبي، وجمعت قيادات مؤثرة ونشطة في العمل العسكري في حمص، مثل مدثر النكدلي، القائد الميداني الذي استشهد في معركة الخالدية، وأبو دعاس الذي استشهد في الخالدية أيضًا، وبلال عوامة، وكلهم قادة ميدانيون أثبتوا كفاءاتهم وحضورهم.

---

(4) استُشهد هو وزوجته وابنته في منتصف الحصار في إثر غارة جوية. كان رجل عقارات قبل الثورة، ويتمتع بالحنكة والإدارة الجيدتين المستمدتين من عمله السابق.

(5) أبو ثابت حاكمي: شاب مثقف، خريج قسم الإدارة في الأكاديمية العربية للعلوم البحرية، يتمتع بالهدوء والتنظيم.

(6) كتيبة عبد الله بن مسعود المرابطة في باب هود بقيادة أبو جلال الطباع القائد الميداني. كانت هذه الكتيبة ترابط في كامل الحي تقريبًا، ثم تقلص عددها بسبب سقوط الشهداء في صفوفها إلى النصف. استشهد من هذه الكتيبة أكثر من ثمانين شهيدًا، ومن ثم تقلّص العدد إلى الثلث تقريبًا بسبب الإصابات وسقوط الجرحى، إذ انخفض العدد من 170 مقاتلًا في بداية الحصار إلى أقل من 60 مقاتلًا خلال الحصار. انتقلت أعداد من مقاتلي كتائب الفاروق بقيادة الحج عبيد، وسرية أبو النصر من كتائب أتباع الرسول، إضافة إلى مقاتلين من جبهة النصرة، وسرية من لواء الحق، في منتصف الحصار إلى حي باب هود للتعويض عن العجز الناتج من انخفاض عدد المقاتلين.

بعد وفاة أبو الليل الأزهري، تقلد أبو ثابت حاكمي قيادة كتائب الهيئة في حمص المحاصرة، وكان له أثر إيجابي في سلوك مقاتليها. وكانت أول خطوة اتخذها هي القيام بترتيب أوراق الكتيبة وتأهيل عناصرها، وإنجاز الملفات الإدارية العالقة. واستمر في محاولة تجميع المقاتلين في المدينة المحاصرة.

عمل أبو ثابت على تقوية الهيئة وتعزيز ولائها ودفع مستحقات الهيئة المالية، ولم يبخل في بذل المال خارج الهيئة وداخلها، وتميز بعلاقته الجيدة مع الجميع، واستطاع أن يثبت أنه كيان متميز بحق وقادر على تحقيق نتائج.

على الرغم من ذلك، لم تتمكن الهيئة من جمع الكتائب كافة في حمص المحاصرة تحت مظلتها، لكنها استطاعت في النهاية أن تتطور إلى كيان قوي له وجوده. وأثبتت جدارتها على الجبهات الساخنة وفي المعارك الهجومية والدفاعية.

حاول الشيخ أبو راتب دمج مشروع الهيئة في مشروع اتحاد ثوار حمص، غير أن الذكريات الأليمة المتعلقة بالإخوان والأفكار التي زرعها النظام طوال الفترة السابقة، وكذلك تجربة الحركة السابقة، حالت دون تقبّل الناس الأمر بسهولة، وإن كان الارتباط بالإخوان غير مباشر.

3- اتحاد ثوار حمص - المرابطون

ارتكزت فكرة اتحاد ثوار حمص على أن يكون لحمص اتحاد ثوري بكل ما للكلمة من معنى، يجمع العاملين في بوتقة ثورية. وكان المكتب السياسي لمجلس الثورة في حمص صاحب دور مهم في صوغ شكل الاتحاد. وكان مرشحًا لأن يكون الجناح السياسي للاتحاد، وقد برز آنذاك خالد أبو صلاح شخصية محورية («دينَمو») لجمع الأطراف كلها، بما فيها العسكري الذي اعتُبر محور الاتحاد. أمّا الشخصية التي جمعت العسكريين والمدنيين والتف الناس حولها في ذلك الوقت، فكانت الشيخ أبو راتب[7] الذي استطاع أن يرسي

(7) الشيخ أبو راتب: أتم دراسته اللغة العربية في الجامعة الأردنية بعد ترك دراسة الطب البيطري =

عند الشبان روحًا معنوية قوية وفكرًا عسكريًا متقدمًا. وكان له دور في حل كثير من الخلافات عبر قسم للشرطة والتحقيق كان له فضل إنشائه.

كان مقر الشيخ أبو راتب تجمعًا حقيقيًا لقيادات حمص السياسية، وللعاملين في الحقل الإغاثي والداعمين والوسطاء وأصحاب الأفكار. وكان الشيخ يحدّد دورًا لكل واحد منهم في المشروع المقبل، ويطلب منه أن يكون فاعلًا وصاحب مبادرة. وقد نظم اجتماعات يومية لجميع الشخصيات المشاركة في المشروع.

رافق هذه الاجتماعات قصف عنيف استهدف الأحياء المحاصرة في المدينة. وكان الثوار يحتاجون إلى من يوجههم ويدير شؤونهم، فتصدى الشيخ أبو راتب للأمر بعد أن كان مقاتلًا عاديًا في كتيبة الشيخ مخمود الفراتي. وبدأ بجمع الناس وتثبيتهم، وركز في تلك الفترة على إرسال سرايا للدفاع عن المدنيين، وإجلائهم عن الأماكن التي كانت تقع فيها مجازر، ومن ثم حماية الخطوط الدفاعية وتنظيم الصفوف.

في أثناء تراجع الثوار من حي البياضة، قررت كتائب الخالدية الانسحاب من الحي، إذ ارتأت قيادتها في ذلك الوقت أن حمص ليست ذات تأثير كبير في العمل العسكري. وقال عبد الرزاق طلاس[8] الذي كان في الحي حينئذٍ: «حمص لن تُسقط النظام سأذهب إلى دمشق». وبالفعل غادر أبو أسعد النمر قائد المنطقة، ومجموعة من القيادات معه، إلى دمشق، واستُشهد أغلبهم في حي الميدان في دمشق بعد مداهمة مقرهم.

سارع الشيخ أبو راتب إلى ترتيب جبهات الخالدية، فعقد اجتماعًا أمّن فيه الجبهة وساهم في صمودها. كما عمل على تأليف لجنة لتسريع استقبال بعثة المراقبين الدوليين لمساعدة المقاتلين المنهكين بسبب المعارك المتواصلة

= في باكستان. تمكن من الاطلاع على التجربة الأفغانية بسبب وجوده في باكستان إبان الحرب. جده لأمه هو الشيخ أحمد الكعكة، من كبار مشايخ حمص، وأبوه أديب معروف. تتلمذ على يد عدد من مشايخ سورية، وهو يتقن ثلاث لغات.

(8) الملازم أول عبد الرزاق طلاس: أول المنشقين عن النظام، في إثر مجزرة الصنمين حيث كان يخدم. عُيّن قائدًا عسكريًا لكتائب الفاروق، بعد انشقاقه، وأبلى بلاءً حسنًا في تنظيم الصفوف.

والقصف اليومي في التقاط أنفاسهم. ونجحت اللجنة في تسريع استقبال البعثة التي توقفت بعد مجيئها محاولات الاقتحام. رحبت اللجنة بالبعثة الدولية التي قامت بجولات عدة، منها التعرف إلى أعضاء المكتب السياسي لمجلس الثورة والقيادات العسكرية والمدنية للثوار. وعقدت الاجتماعات في صالة الأفراح التابعة لجمعية خالد بن الوليد، وبقيت أيامًا عدة استطاع خلالها الشيخ أبو راتب تنظيم صفوف الثوار ونقل الجرحى وإمداد المدنيين والثوار بالطعام والشراب، والتجهيز لمرحلة ما بعد مغادرة المراقبين التي كان يعلم الجميع أنها مرحلة عودة إلى الحرب.

أدرك النظام أن الثوار ينظمون صفوفهم ويُعدّون للمعارك المقبلة بشكل جيد، فأغلق الطريق الوحيدة إلى العالم الخارجي، أي جورة الشياح - الغوطة، على الرغم من وجود المراقبين الذين لم يستطيعوا فعل شيء، حتى إدخال الأطباء أو الأدوية.

في حزيران/ يونيو 2012 فرض النظام حصار شاملًا، ما جعل اللقاء بين العسكريين في الجبهات والوجهاء ومنظّري مشروع اتحاد ثوار حمص صعبًا. وبسبب انشغال العسكريين في الجبهات، تأخر إعلان المشروع. في هذه الأثناء تعجّل أبو قصي زعيب[9] والحاج خضر الحلواني في إعلان مشروع اتحاد ثوار حمص، بسبب الحوادث والأوضاع المتسارعة وحاجة الثورة في حمص إلى هذا الكيان الجامع. وكان الشيخ أبو راتب ارتأى التمهل والتريث لأخذ موافقة الجميع بشكل كامل من دون تردد وعن قناعة تامة. كما رأى أن انتظار حضور الشخصيات التي بقيت خارج حمص المحاصرة ضروري لإعلان الكيان، كي يصبح أكثر تأثيرًا وقوة.

أصدر اتحاد ثوار حمص بيانًا تأسيسيًا يوضح رؤيته، وترك البيان باب الانضمام مفتوحًا، وضم كتائب بابا عمرو التي سرعان ما انسحبت منه، إضافة إلى الكتيبة الخضراء التي يقودها خضر الحلواني. لكن القيادات التي كان

(9) الشهيد أبو قصي زعيب: ابن غازي زعيب، أمين حزب البعث في حمص الذي قتله «الشبيحة». خريج كلية إدارة الأعمال، وهو من بابا عمرو.

متوقعًا انضمامها لم تحضر الإعلان بسبب الحصار، ما جعل تماسكها ضعيفًا، وواجه المشروع في ما بعد مسألة ضعف الإمكانات المادية والكفاءات، ولم يتمكن اتحاد ثوار حمص من تطبيق مشروعه، واقتصر التطبيق على بعض المناطق والكتائب. لذا لم تكن أعداد المنضمين إلى الاتحاد كبيرة، واستلم قيادة العمل العسكري في المشروع الوليد الحاج خضر الحلواني[10].

كان مشروع اتحاد ثوار حمص، ثم اتحاد ثوار سورية، مشروع الشيخ أبو راتب في الأساس، لكن بعد إعلان المشروع وتأخر كثيرين عن الانضمام إلى لوائه، فضّل الشيخ ألّا يكون ضمن المشروع حفاظًا على سمعة الشخصية الجامعة والمساعدة في تجميع الثوار وحل مشكلاتهم.

في هذه الأثناء، كانت كتائب أخرى في طور التأسيس، أبرزها كتيبة الأنصار التي قامت على فكرة تجميع الشباب الملتزم في كتيبة مقاتلة تؤسس تأسيسًا عمليًا. وكانت نواة كتيبة الأنصار مجموعة من شبان المنهج السلفي الواضح، مثل أبو عزام[11] وأبو هاجر وأبو بكر وراجي وأبو عثمان وغيرهم. وبدأت هذه الكتيبة تتسع شيئًا فشيئًا بسبب حسن أخلاق شبانها وتدريبهم الجيد وحسن إدارتها. ولم يكن أحد قد سبقهم إلى مثل هذا التنظيم لكتيبة عسكرية سوى الشيخ محمود الفراتي، الذي أسس كتيبته (الفراتي) على أساس علمي وعملي متميز.

4- لواء الحق

كانت كتيبة الشيخ محمود الفراتي نواة لواء الحق. وقد شكّلها في باب السباع الشاب محمود الذي لُقب بالفراتي[12]. توسعت هذه المجموعة

---

(10) اشتهر الحاج خضر بحسن إدارته للأمور، واتصف بقيادة عسكرية متميزة، إذ كان يسبق مقاتليه إلى المعركة، وما من معركة اندلعت إلا كان أول الموجودين فيها.

(11) أبو عزام، مهندس اتصالات، خريج إحدى جامعات أوروبا.

(12) محمود الفراتي: شاب (من مواليد 1986) متحمس وملتزم دينيًا ومثقف. كان والده عقيدًا في الجيش السوري، وهو خريج كلية إدارة الأعمال، وكانت له علاقات طيبة مع الشبان الثائرين. استطاع أن يجمع حوله ثلة من المقاتلين الجيدين. حاز دعم وجهاء مدينة حمص ومباركتهم منذ بداية عمله.

واتخذت مقرًّا لها في مدرسة إشبيلية في حي الصفصافة، واجتمع فيها عدد كبير من الشبان الواعين.

نتيجة عدم نجاح مشروع اتحاد ثوار حمص في جمع الثوار بكاملهم في حمص، حاول الشيخ أبو راتب أن يجمع حوله مجموعات خفيفة الحركة وبسيطة التكاليف وتعتمد على الشبان النشطين، مثل كتيبة الفراتي وكتيبة الهدى (التي كان أغلب وجودها في الريف) وكتيبة الناصر، وغيرها من الكتائب الصغيرة التي اجتمعت قياداتها حوله. وشكل لواء الفتح المبين، وفي هذه الأثناء، أُسست:

- كتيبة أتباع الرسول التي تشكلت من مجموعات شبان في حمص القديمة، ودعمها طلاب العلم الشرعي بشكل كبير، وانضم إليها عدد كبير من طلاب المعاهد الشرعية وتلاميذ مشايخ البلد. وكان قائد الكتيبة الفعلي الشهيد أبو محمد بحلاق. وتميزت هذه الكتيبة بتصنيعها السلاح يدويًا، مثل تصنيع القنابل وحشوات الهاون والمدافع والألغام، وحتى صيانة السلاح.

- كتيبة الأنصار التي أسسها طلاب العلم الشرعي ممن يميل أغلبهم إلى الفكر السلفي الجهادي. اتخذت مقرًّا لها في أول الأمر في حي باب هود. وسارع أتباع المنهج السلفي من الشبان إلى الانضمام إليها. تميزت الكتيبة بتنظيمها واشتمالها على كفاءات إدارية، وبأخلاقيات شبانها المقاتلين. وكان أبو عزام القائد الفعلي لهذه الكتيبة.

- على هذه التشكيلات الثلاث (الفتح المبين، الأنصار، أتباع الرسول) أُسست فكرة لواء الحق، وانضم إليها في مرحلة التأسيس الشيخ رائد الجوري (كتيبة ثوار بابا عمرو) المعروفة، وكتيبة الصدّيق التي تمتلك سمعة جيدة بين كتائب حمص. وأُعلن تأسيس اللواء بمباركة طلاب العلم الشرعي في مدينة حمص وإشرافهم، وبمساعدة كادر إداري جيد. وكانت الشخصية الجامعة هي شخصية الشيخ أبو راتب الذي انتُخب قائدًا للواء. كان طموحه أن يستوعب اللواء الجميع، وأن يكون الجميع يدًا واحدة. أصبح اللواء الأول في حمص من حيث عدد مقاتليه وعدد النقاط القتالية وتخطيط المعارك، واستطاع في فترة بسيطة القيام بعدد من العمليات المتميزة في مناطق مختلفة.

بسبب وضع شروط معيّنة تتعلق بالالتزام الديني والأخلاقي لانضمام الكتيبة إلى لواء الحق[13]، لم تنضم إليه جميع الكتائب العاملة في حمص. وعلى الرغم من انضمام مجموعات أخرى إلى اللواء في وقت لاحق، فإنه لم يستوعب الجميع. وكان للصراع السلفي - الصوفي داخل اللواء دور في الحد من فاعلية القرارات فيه أحيانًا. وعلى الرغم من أن شخصية قائد اللواء كانت وسطية وجامعة، فإن كتيبة أتباع الرسول خرجت من اللواء، ثم انضم اللواء إلى الجبهة الإسلامية السورية، وأصبح الشيخ أبو راتب أمينًا عامًا للجبهة.

5- كتيبة أحفاد خالد ولواء شهداء حمص

كان عبد القادر جمعة أحد أنشط القادة الميدانيين في المدينة. وقد جمع حوله مجموعة من أبناء حارته (الصفصافة والأحياء المجاورة)، وشكّل كتيبة أحفاد خالد التي كانت كتيبة فاعلة وكفوءة، واشتُهرت بتصنيع الصواريخ المحلية، وبشجاعتها في عمليات الاقتحام.

جمع عبد القادر حوله عددًا من التشكيلات، مثل كتيبة أحرار الشياح بقيادة أبو راكان المهباني[14]، وكتيبة أحرار باب السباع، وغيرها من الكتائب الصغيرة، تحت مسمّى لواء شهداء حمص.

تحمّل عبد القادر العبء الأكبر في تمويل اللواء وإدارته كونه الفصيل الأقوى، لكن هذا حمّله عبئًا إضافيًا من دون أي مزايا، ما دفعه بعد نحو خمسة شهور إلى الخروج من اللواء. كما خرجت مجموعات أخرى من اللواء أيضًا، ما قلّل من ثقله وأضعفه. ولم تكن كتيبة أحفاد خالد محاولة تجميع أكثر من كونها محاولة جمع جهد الكتائب التي بقيت من دون تنظيم.

---

(13) كان اللواء يفرض على المقاتلين المتسببين شَرطي الصلاة وطاعة القائد، وغيرهما من الشروط.

(14) رجل ستيني من أبناء جورة الشياح، تميزت كتيبته بوجود كبار السن أصحاب الهمة العالية.

6- لواء حمص القديمة

في منطقة باب الدريب وما حولها، كانت هناك مجموعات من الشبان المتحمسين من أبناء المنطقة، في أغلبهم أبناء الأحياء الشعبية ممن يتمتعون بطابع ثوري بسيط. وكان محمود سلامة أبو خالد[15] في عقده الرابع، يعمل قبل الثورة في مجال العقارات والتجارة العامة وصرافة العملات الأجنبية، ويعيش حياته برفاهية من دون قيود، وكان يتمتع بالنخوة والشجاعة التي جعلته ينخرط في الثورة، وجمع أبناء المنطقة حوله في لواء حمص القديمة.

7- لواء الخير

أُسّس لواء الخير من ثوار الخالدية المنشقين عن لواء الفاروق، والراغبين في الاستقلال، وكانوا مجموعات كثيرة، تقاتل في حي الخالدية. أسسوا مجلس شورى من قيادات الحي كأبو زيد مشارقة[16] وأبو هلال الدروش[17]. وتسببت كثرة المجموعات في اللواء في جعل قدرة مجلس الشورى على الضبط صعبة وغير فاعلة. يضاف إلى هذا أن تمويل اللواء لم يكن كبيرًا، ما حال دون قدرته على الاستمرار، وحاول مجلس الشورى تعديل الأمور إداريًا، فاستلم قيادة اللواء شخص اسمه فاروق أبو أحمد[18]، ابتكر كثيرًا من الأدوات العسكرية،

---

(15) ساهم أبو خالد في تأمين السجائر للمقاتلين في أثناء الحصار، واستطاع اختراق الحواجز الأمنية مرات عدة بالمال. وكان شخصية قيادية تتمتع بالهيبة والقبول. ثم إنه غادر المنطقة المحاصرة عندما كان لدى الثوار طريق إمداد باتجاه البساتين، في إثر نوبة قلبية أصابته، ثم غادر سورية إلى تركيا بعد نحو 11 شهرًا من الحصار. خلّف وراءه مجموعات صعبة الانضباط والانقياد.

(16) أبو زيد رجل ملتزم ومخلص وصاحب أخلاق عالية. أخوه هو الشيخ الشهيد صفوان مشارقة الذي كان مدير أوقاف حمص في بداية الثورة. وأبو زيد سجين سابق في سجون النظام على خلفية مقتل ضابط علوي اعتدى على حلقة تعليم قرآن وداس المصحف في جامع أبو ذر الغفاري قبل اندلاع الثورة بأعوام عدة. وأحدثت هذه القضية ضجة في حمص. واستطاع معظم المتهمين الهرب إلى خارج سورية إلا أن النظام احتجز أمهاتهم وأخواتهم وأقاربهم لإجبارهم على العودة.

(17) أبو هلال: شاب ذكي، من عشيرة الفواعرة في الخالدية، كان يعمل في التجارة العامة ويجيد اللغة الروسية.

(18) فاروق أبو أحمد: مهندس ميكانيك عبقري، له الفضل في التغلب على كثير من المشكلات في الحصار.

وكانت لديه أفكار متطورة، لكنه لم يكن إداريًا جيدًا. وبعد عدة شهور تقلص دور اللواء وتراجع عدد أفراده، واستقل بعض أعضائه عنه كما انضم آخرون إلى مجموعات أخرى.

8- الفاروق الإسلامي

بعد حدوث انقسامات في قيادات الفاروق، شكّل أمجد البيطار كتائب الفاروق الإسلامية، وشاركه في ذلك الشيخ أبو سيف الذي عمل معه في حمص. كما شاركه كل من الملازم أول أبو النور المجتهد وقائد غرفة عمليات القصور، والشاب الناشط فراس عودة الذي تحمّل عبئًا وجهدًا كبيرين في القتال الميداني وأصيب مرات عدة.

9- جبهة النصرة

تأخر ظهور جبهة النصرة في مدينة حمص بسبب الحصار. وتشكلت نواة جبهة النصرة من بعض الشبان الذين كانوا أعضاء في مجموعتي أسود السنّة وسرايا الشام. ولم يكن عددهم كبيرًا في البداية، غير أنهم لاقوا إقبالًا كبيرًا في ما بعد بسبب صدقهم والتزامهم بوعودهم.

استلمت جبهة النصرة نقاطًا دفاعية كانت أخطر نقاط مدينة حمص. واستشهد عدد كبير من مقاتليها في عمليات الدفاع والهجوم. وأبلت الجبهة بلاءً حسنًا في العمل العسكري وتمتعت بعلاقات حميدة مع الجميع.

كان النظام دائم التكلم على أجانب يقاتلون في مدينة حمص، في جبهة النصرة وغيرها، إلا أن حمص لم يكن فيها منذ الأيام الأولى لاندلاع الثورة أي أجنبي. بل كان معظم المقاتلين من أبناء المناطق المحاصرة، وكانوا يسكنون بيوتهم ويخرجون صباحًا للحراسة ثم يعودون مساءً للمبيت فيها.

10- كتيبة شهداء البياضة

أسس حارس مرمى المنتخب السوري للشباب، عبد الباسط الساروت، كتيبة شهداء البياضة، وكان عدد عناصرها قليلًا. قاتلت الكتيبة في البياضة،

ثم في الخالدية وجورة الشياح. تمتع أفرادها بالشجاعة والجرأة. وقد استشهد معظم أفراد هذه الكتيبة التي كان يطلق عليها «اسم على مسمّى»؛ إذ فقد عبد الباسط وحده أربعة من أخوته وثلاثة من أخواله، كانوا أفرادًا في هذه الكتيبة.

ثانيًا: محاولات توحيد الجهد في حمص المحاصرة

جرت في فترة الحصار محاولات عدة لتوحيد الجهد في المنطقة المحاصرة، منها مشروع مجلس مدينة حمص ومجلس التنسيق العسكري الذي اعتمد على أسس إدارية وابتعد عن شخصية القائد.

بعد محاصرة حمص المدينة وتضييق الخناق عليها، وجد الثوار أنفسهم أمام وضع صعب للغاية في ما يتعلق بالموارد؛ فقد قُطعت الكهرباء وإمدادات المياه، وقلّ الطحين ولم تكن المواد الإغاثية كافية لمدة طويلة. لذا أدرك المحاصرون بعد مرور شهرين على الحصار أنه ربما يدوم أكثر من ذلك، فتبلورت فكرة جمع الكفاءات في المنطقة المحاصرة، رهن شروط العمل بالخبرة والكفاءة، لا بالقوة والأقدمية في الثورة. وبعد سلسلة اجتماعات بين مجموعات قليلة، وُجّهت الدعوة إلى عقد اجتماع موسع في جامع النخلة بالصفصافة، حضره مهندسون وأطباء وحقوقيون ومحاسبون ومدرّسون وفنيون وطلاب علم شرعي وإداريون... إلخ. وبدأ النقاش في شأن تأسيس «مجلس علمي» لإدارة موارد المدينة المحاصرة. وبالفعل كانت الخطوة الأولى تجميع كل أهل اختصاص ضمن اختصاصهم. وبعد اجتماعات عدة وُضعت هيكلية نظرية شملت مكتبًا للخدمات ضم مهندسين وفنيين ومحاسبين ومدرّسين، كانت مهمته صيانة خطوط المياه والكهرباء، وتنظيف الطرقات من أنقاض القصف، وتأمين الطحين وإحصاء المحاصرين وإرشادهم، ومكتبًا طبيًا ضم عاملين في الحقل الطبي، ومكتبًا شرعيًا لطلاب العلم الشرعي، ومكتبًا حقوقيًا للتوثيق والمحاسبة والقانون، ومكتبًا إعلاميًا للعمل الإعلامي والثقافي. وكانت هذه المكاتب مهددة بالفشل في حال عدم موافقة العسكريين الذين كانوا أصحاب الصوت الأعلى بسبب طبيعة المعركة، فكان لا بد من تجميعهم في

مكتب أو مجلس واحد أيضًا، وكانوا كتائب متفرقة حتى إن عددهم كاد يزيد على أربعين مجموعة صغيرة وكبيرة.

تشكلت لجنة تأسيسية من كلٍّ من الشيخ عبد العليم هلال[19] ووليد الفارس (كان لهما دور كبير في تجميع الثوار في مراحل مختلفة). وبدأت اللجنة بتطبيق هيكليات المكاتب الفرعية وتنظيمها، ثم بدأت اللجنة بالمكتب العسكري، وحاولت القيام بخطوات عدة في البداية، قبل جمع الكيانات الكبيرة التي سبق ذكرها. وتلخصت خطة العمل في الآتي:

- اعتماد التقسيمات الكبيرة الراهنة (لواء الحق، الفاروق، المرابطون، لواء حمص القديمة، هيئة حماية المدنيين) كتشكيلات رئيسة مسلَّم بها، كونها أثبتت حضورها بقوة وفاعلية وبسبب عدد أفرادها.

- دمج المجموعات الصغيرة (السرايا) في كتائب أو ألوية (المعتمدة سابقًا). وفعلًا بدأ العمل بهذه الخطوة وتطبيقها على سلسلة طويلة من المجموعات. واستغلت اللجنة حينئذٍ تضايق الناس من الوضع ورغبتهم في الاتحاد لتشجيع المجموعات على الانضمام.

- جمع التقسيمات الكبيرة، التي اعتُمدت سابقًا، في مجلس واحد.

- إنشاء جهاز إداري موحد للمجلس المزمع والتدرج نحو إعلان المجلس وإشهاره.

- ضبط جميع القرارات العسكرية عن طريق المجلس حصرًا، وإعطاؤه هيبة شرعية وصفة قانونية.

بعد شهرين من العمل المتواصل، تمكنت اللجنة من دمج مجموعات متعددة في التشكيلات الأكبر. وانتهت التقسيمات الكبيرة كالآتي: لواء الحق، تجمع كتائب الفاروق، لواء المرابطون (اتحاد ثوار حمص)، لواء حمص القديمة، هيئة حماية المدنيين، لواء شهداء حمص.

---

(19) عبد العليم هلال: شيخ وشاب ناشط وصاحب تفكير علمي منفتح. حائز ماجستير في أصول الفقه.

بعد ذلك وُجهت دعوة إلى ممثّل عن كل تشكيل للاتفاق على هيكلية موحدة لمجلس عسكري أُطلق عليه «مجلس التنسيق العسكري لمدينة حمص»، وكانت الجلسة الأولى بحضور كل من: الشيخ أبو راتب عن لواء الحق؛ عبيدة وحود عن الفاروق؛ الحاج خضر الحلواني عن لواء المرابطون؛ أبو الليل الأزهري عن الهيئة؛ عبد القادر جمعة عن شهداء حمص؛ أبو خالد سلامة عن لواء حمص القديمة.

في الوقت نفسه كانت المكاتب الأخرى تنظّم، وكان أكثرها تعقيدًا المكتب الطبي الذي وجد فيه مشكلات كثيرة بسبب اختلاف المستوى الثقافي للعاملين فيه. فكان هناك أطباء وطلاب طب ومتطوعون امتهنوا الطب حتى صار الناس ينادونهم «دكتور فلان»، وهم أصحاب حرف بسيطة وكان من الصعب أن يتخلوا عن مهماتهم لمصلحة أطباء وممرضين درسوا العلوم الصحية وغيرهم. وطاول تشكيل هذا المكتب أكثر مما توقع بعضهم، حتى أكثر من العسكريين أنفسهم الذين كانوا المشكلة الأكبر.

أُسّس جهاز لضبط الأمن رئسه الشاب الناشط المحامي أبو أحمد، الذي ترك الجهاز في ما بعد وأصبح محكّمًا. وشُكّلت مؤسسة قضائية لشؤون التحكيم في الخلافات، شارك فيها طلاب العلم الشرعي وطلاب الحقوق، وأدارها المحامي أبو الزهراء، الذي كان الأكثر خبرة بينهم في هذا الميدان.

كما وُحّد الجهد الإعلامي بين أغلب العاملين في الإعلام في مكتب إعلامي موحد، وكان الأمر صعبًا أيضًا، إذ كان الإعلاميون من مشارب مختلفة ومناطق ومستويات ثقافية مختلفة.

كان أداء المكتب الخدمي جيدًا، وكان من أنشط المكاتب، وأكثرها حضورًا، لكنه لم ينجز جميع الأعمال التي رُسمت له، واقتصر أغلب أعماله على إغاثة الناس وتأمين لقمة عيشهم، وكان يقوم أحيانًا بأعمال الصيانة وفتح الطرقات.

بعد مرور نحو ثلاثة شهور على انعقاد الاجتماع الأول، تشكّلت المكاتب واستقام أمرها، وبدأت بعقد اجتماعاتها. ومن ثم بدأت الخطوة التالية المتمثلة

في جمع الثوار لتكوين إدارة هذه المكاتب، مكوّنة من عضو عن كل مكتب بمسمّى «مجلس مدينة حمص المحاصرة»، وانتُخب غزوان السقا رئيسًا للمجلس[20]. وواجهت المؤسسة الجديدة صعوبة إيجاد كفاءات للعمل، إضافة إلى صعوبة العمل تحت القصف اليومي وعدم القدرة الواسعة على الإنجاز. على الرغم من ذلك، استقام أمر المؤسسة القضائية والتوثيق والمجلس الشرعي والدعوة، وكذلك المجلس العسكري باجتماعاته وتنسيقه، وصار للإعلاميين اجتماعهم الخاص بهم أيضًا، وكذلك للخدميين. وكان أعضاء المجلس حينئذ هم:

جميع أعضاء المجلس العسكري الآنفي الذكر.

- أبو محمد شبكة شام، ممثل المكتب الإعلامي.
- الدكتور أبو عمر عن الأطباء، وينوب عنه الدكتور أبو الخير.
- أبو خالد النجار، وهو مدرس رياضيات عن مكتب الخدمات.
- الشيخ غزوان السقا عن المجلس الشرعي.
- أبو الزهراء عن المؤسسة القضائية، بصفة مراقب.

كانت الاجتماعات جيدة ومثمرة، وتعنى بإدارة شؤون الجبهات والمدنيين في المنطقة المحاصرة وتقديم الخدمات ضمن الإمكانات البسيطة والمتواضعة إلى الجميع.

في الحقيقة، استطاع مجلس المدينة والمجلس العسكري تطوير دوريهما في ما بعد بدرجة جيدة، وتمتعا بالقبول لدى الناس، ونسّقا بشكل واسع بين الثوار والمدنيين. واستقرت أغلب الأمور الإدارية في المدينة لفترة طويلة بعد هذا التشكيل. وقد أُنشئت مكاتب إدارية فرعية لهذه المجالس. وتمثّلت المشكلة الأساسية في العمل في تأمين الكوادر المؤهلة. وأخذت اللجنة

---

(20) غزوان السقا: إمام مسجد في الصفصافة، عمل في الجانب الإغاثي في الثورة.

المؤسسة على عاتقها ملء الأماكن الأساسية الشاغرة، حتى صارت للجنة التأسيسية مهمات عدة، ويعمل أفرادها أكثر من ثماني عشرة ساعة في اليوم.

تعرضت المكاتب لهزات عدة بسبب الأوضاع، خصوصًا مكتب المؤسسة القضائية التي كان عملها روتينيًا للغاية، ما دفع الشيخ عبد العليم إلى إعادة تشكيليها وإلحاقها بالمجلس الشرعي، وأطلق عليها اسم المكتب القضائي، ونظم وضعها بشكل جيد بإجراءات أقل تعقيدًا، تعتمد على المصالحة والتوثيق في الدرجة الأولى، وذلك لصعوبة تحصيل الحقوق في تلك الفترة الصعبة.

بعد مرور أكثر من خمسة عشر شهرًا على الحصار، استطاع مجلس المدينة خلالها تسيير الشؤون، توقف، نتيجة الأوضاع الصعبة، عمل مكتب الخدمات، وعُلّقت الاجتماعات في مجلس المدينة، وأصبح مجلس التنسيق العسكري المجلس الإداري الوحيد في المنطقة المحاصرة.

تمتع مجلس التنسيق العسكري بنظام داخلي متميز، فكانت ولاية رئيس المجلس تتم بناء على انتخابات دورية تجرى كل ثلاثة شهور. وتعاقب على رئاسة المجلس أبو هلال الدروش (لواء الخير) لمدة شهر؛ الشيخ أبو راتب (لواء الحق) لمدة شهرين؛ الحاج خضر الحلواني (المرابطون) لمدة ثلاثة أشهر؛ أبو قصي زعيب (المرابطون) لمدة ثلاثة أشهر؛ عبد القادر جمعة (أحفاد خالد) لمدة ثلاثة أشهر؛ الشيخ أبو راتب (لواء الحق) لمدة أربعة أشهر.

استطاع المجلس أن ينسق العمل العسكري في مختلف الجبهات في حالات الدفاع والهجوم، وكذلك تنسيق عمليات الإمداد والدعم، علاوة على حل المشكلات والخلافات المدنية والعسكرية في المنطقة المحاصرة. كما أُنشئ مكتب مالي ملحق بالمجلس قدم مصروفات لمدة عام كامل إلى جميع مقاتلي حمص المحاصرة (كل شهرين مرة، أي ست مرات في العام). كذلك سمح النظام المالي لرئيس المجلس بتوزيع مبلغ دوري وفق تقديره ورؤيته. كما تضمنت إدارة المجلس العسكري مسؤولًا عسكريًا، ومسؤولًا للذخيرة، ومسؤول متابعة ومراقبة الجبهات، وغيرها من المهمات التي قدمت بالحد الأدنى مستوى جيدًا من التنسيق.

كان لمتابعي محاولات التوحيد عدد من المآخذ يمكن أن نجملها بما يأتي:

- على الرغم من محاولات التنسيق والوصول إلى هذه المرحلة، فإن الاندماج لم يتحقق بين الكتائب، ولا حتى توحيد القيادة أو توحيد مصدر القرار.

- لم تحل هذه المحاولات جميع المشكلات والقضايا التي واجهتها المنطقة المحاصرة حلًا شاملًا. وكانت إمكاناتها ضعيفة، ولا سيما إمكاناتها المادية، الأمر الذي أدى إلى إلغاء بعضها كما جرى لمجلس المدينة.

- لم تكن لهذه المكاتب أو المجالس كوادر إدارية كافية تنهض بها، وتجعلها تؤدي الدور المطلوب.

- على الرغم من ترشيح عدد من القادة الأكفاء لتولّي إدارة هذه المجالس، فإن نظام التصويت جعل اختيار القائد/ المدير حكرًا على التشكيلات الكبيرة.

علاوة على ذلك، فإن انقلاب الثوار على النظام وخروجهم عليه لم يمكناهم من منح الطاعة لهذه الكيانات. لكن على الرغم من هذا، كان مجلس التنسيق العسكري ضامن تنسيق الجهد وتوحيد الكلمة حتى في أوقات الفتن. ولعل حوادث الاقتتال التي اشتعلت في شمال سورية بين الفصائل المختلفة خير دليل على أنه كان صمام أمان لمثل هذه الأوضاع، إذ كاد الأمر يصل بين الكتائب في حمص المحاصرة - والتي لها امتدادات في شمال سورية - إلى درجة الخلاف والقطيعة، لكن المجلس اجتمع لتوحيد الصف ورأب الصدع، وأصدر في إثر الاجتماع بيانًا دعا فيه إلى توحيد الصف من أجل مقاتلة العدو الواحد[21].

(21) انظر الملحق: بيان رقم 4/ 11/ 12 ص 187 من هذا الكتاب.

الفصل الرابع

المعارك في المنطقة المحاصرة

لم تهدأ جبهات حمص المحاصرة يومًا واحدًا، بل استمرت في أخذ وردّ واشتباكات ومحاولات تقدم وتراجع بشكل يومي تقريبًا، لكننا سنحاول في هذه الصفحات التركيز على أهم الحوادث والمعارك التي دارت في المنطقة المحاصرة.

أولًا: المعارك الدفاعية والهجومية في الحصار

1- معركة جورة الشياح (معركة البتر)

عندما بدأ الحصار، كان منفذ جورة الشياح باتجاه الغوطة المنفذ الأخير الذي أُغلق، فأُحكم الطوق على المنطقة المحاصرة كلها. وظن الجيش أن جورة الشياح هي النقطة الأضعف في المنطقة كلها، ذلك أنها لم تكن جبهة مفتوحة، إنما ممر للمدنيين والإمدادات إلى المناطق الأخرى. لذا شنّت قوات الجيش مع بداية الحصار حملة عسكرية ضخمة على حي جورة الشياح. وتمكنت قوات النظام من ضرب طوق حول الحي والتقدم فيه في اليومين الأولين، لكن الثوار سرعان ما استعادوا توازنهم وصدوا الهجوم. وكانت ردة فعل قوات النظام عنيفة، فأمطرت المنطقة بوابل من القذائف والصواريخ، وكان الثوار يحصون سقوط ألف قذيفة يوميًا على المنطقة الواحدة. وكانت الدبابات تقصف جميع الأبنية في الخط الأول على نحو جعلها تهوي بالكامل. واستمرت المعركة على هذا المنوال أكثر من شهر من الزمن، زجّ المجاهدون فيها بإمكاناتهم كلها لصد الهجوم. وشاركت جميع المجموعات في هذه المعركة، فكانت المجموعة المكوّنة من عشرة أفراد تذهب إلى جورة الشياح وتعود محملة بشهيد أو شهيدين، وبمصاب أو بمصابين يوميًا. وارتفعت نسبة

الإصابات في الأطراف، ما اضطر الأطباء إلى بترها في كثير من الحالات، حتى وصلت حالات البتر اليومية إلى أربع، ما حدا بالشبان إلى تسمية هذه المعركة «معركة البتر». أمّا المقاتلون الذين دُفنوا تحت الأنقاض في هذه المعركة، فكان عددهم يفوق عدد الذين دُفنوا تحت التراب، لثباتهم وعدم تزحزحهم. وتُعدّ هذه المعركة أول اختبار حقيقي لجهد المقاتلين وثباتهم في الجبهات. وعلى الرغم من أنها لم تكن المعركة الأولى، فإنها كانت الأعنف مطلقًا. كما كانت نسبة تهدُّم البيوت عالية للغاية. ونذكر من شهداء هذه المعركة بلال الرفاعي وصالح عرش ومنذر الهاشمي، وهؤلاء ممن لم يغادروا نقاطهم القتالية حتى سقط فوقهم مبنى من سبع طبقات.

2- معارك القصور (الصمود في جزيرة معزولة)

كانت القصور أول معركة «حرب أبنية» خاضها الثوار في مدينة حمص. بدأت هذه المعركة قبل الحصار بثلاثة أشهر، وأُنشئت لها غرفة عمليات، وشارك أغلب الفصائل فيها. بدأت المعركة عندما حاول الملازم المنشق عبد الرزاق طلاس تطويق فرع الاستخبارات الجوية قبل الحصار (ثم تخلى عن المحاولة وأكملها غيره)، لكن المعركة سرعان ما انقلبت من هجومية إلى دفاعية، حين حاولت قوات من الجيش والأجهزة الأمنية دفع المقاتلين بعيدًا عن الفرع لتأمين محيطه وتأمين الطرقات المؤدية إليه. فانقسمت القصور قسمين: الأول من جهة الاستخبارات الجوية يمين شارع «عالي واطي»، الذي غالبًا ما كان تحت سيطرة قوات من الجيش، والثاني على يسار الشارع وكان الثوار يسيطرون عليه. وكانت أغلب الاشتباكات تدور بداية في القسم الأول، لكن المعركة انتقلت في ما بعد إلى القسم الثاني. وقد لحقت بالحي أضرار كبيرة جراء القصف بمدافع الدبابات التي أكثرت قوات النظام من استخدامها، علاوة على مضادات الطائرات من طراز «شيلكا». ولم يتبقَّ مبنى متقدم إلا وأطبقت جُدُره بعضها على بعض. وتُعدّ القصور من المناطق التي لم تهدأ الاشتباكات فيها قط، وكانت من أخطر المناطق في حمص المحاصرة.

من أهم المعارك التي دارت في حي القصور تحرير برج «العضم» عند زاوية مفرق سوق الهال[1]. وتُعدّ السيطرة عليه إنجازًا عظيمًا غير متوقع. وكذلك معركة كتلة «النحاس»[2]، حيث دارت اشتباكات عنيفة جدًا لإحباط محاولة قوات الجيش السيطرة على الحي، وقد قُتل فيها عشرون شخصًا على الأقل من عناصر حزب الله اللبناني، ودُفن سبعة منهم على الأقل تحت الأنقاض، وتمكن الثوار من تدمير آليات كثيرة. وقد أبلى مقاتلو جبهة النصرة بقيادة أبو العباس بلاءً حسنًا في هذه المعركة.

تكمن أهمية حي القصور بأنه المنطقة الأكثر قربًا باتجاه الريف الشمالي الذي كان يُعدّ المنفذ المأمول للثوار لتلقّي الإمدادات، فقاوم الثوار ببسالة للاحتفاظ به، كما حاولوا أكثر من خمس مرات السيطرة على الحي بأكمله من أجل السيطرة على المنطقة الصناعية، ثم فتح الطريق نحو الريف الشمالي. وفقدت حمص ثلة كبيرة من أبنائها في الدفاع عن هذه المنطقة، ونذكر من أوائل الشهداء عبد الناصر قمحية[3] وآمر أسران[4] وعبد العزيز المصري[5].

برز في معركة القصور قادة ميدانيون مؤثرون وجديرون بالاعتماد عليهم؛ وكان منهم قبل الحصار أبو هاجر الخليل وأبو عدي عرابي. وكانت غرفة العمليات في البداية بقيادة الشيخ أبو راتب ثم انتقلت إلى أبو النور. وبرز في فترة الحصار من قيادات الفاروق فراس عودة والملازم الطبيب أبو النور وبلال أبو عبد الله وأبو سعيد الأنصاري.

---

(1) وقعت في بداية أيار/ مايو 2013.

(2) وقعت في 10/ 10/ 2013.

(3) عبد الناصر قمحية: من شبان المعهد المصرفي. كان يؤمن بسلمية الثورة، لكن الحوادث دفعته إلى حمل السلاح للدفاع عن حيه بعد موجات الاقتحام التي تعرضت لها المنطقة.

(4) آمر: شاب شركسي، كان طالبًا جامعيًا تخصص بالهندسة في ألمانيا. ترك الدراسة والتحق بالقتال على جبهات حمص.

(5) عبد العزيز المصري: من الشبان الذين نجحوا في الهروب من سجن رومية في لبنان، بعد اتهامه بالانتماء إلى فتح الإسلام. سوري من حي القصور في حمص. كان في بابا عمرو في المعركة الكبرى في الحي. انتقل إلى حمص القديمة وانضم إلى كتيبة الأنصار.

3- معارك القرابيص (البحث عن طرق الإمداد)

لم تكن القرابيص منطقة اشتباك حتى حُرّر المشفى الوطني على الطريق العام (الكورنيش) الفاصل بين القصور وجورة الشياح. وقد حاول الجيش استعادتها، فقصف المنطقة قصفًا عنيفًا، واصطفت قواته في معمل الصباغ ومطعم ديك الجن المعروف المطل على نهر العاصي. فأُغلقت بذلك طريق الميماس باتجاه الوعر، مانعة الثوار من التقدم باتجاه المعمل والمشفى العسكري والكليات العسكرية في نهاية الطريق.

جرت اشتباكات بالأسلحة الثقيلة والدبابات نتيجة وجود فاصل جغرافي طبيعي - بساتين الغوطة المحيطة بشارع نزار قباني - بين المنطقة التي تتمركز فيها قوات الجيش ومنطقة القرابيص التي كان الثوار يتمركزون فيها.

كانت القرابيص نقطة اشتباك متقدمة، وكانت معاركها عنيفة للغاية. وتمكنت قوات من الجيش بعد عملية ضخمة استمرت أكثر من شهر واحد من السيطرة عليها في بداية تموز/ يوليو 2012. وبالسيطرة على حي القرابيص، أُحكم الحصار بشكل تام وكامل على المنطقة التي كانت تحت سيطرة الثوار، ففُقدت منطقة البساتين التي كانت تشكل منفذًا مهمًا لوصول الإمدادات. ومن شهداء هذه المعركة الشيخ أبو عمار، إمام جامع الزاوية. لكن الثوار تمكنوا من تحرير الحي مرة أخرى في نهاية آذار/ مارس 2013، حين استخدموا أول مرة أنفاقًا تحت الأرض لدخول الحي. وقد خُطط للمعركة تخطيطًا جيدًا بحيث لم يسقط في المعركة أي شهيد بشكل مباشر. واستطاع الثوار السيطرة على الحي أربعة وعشرين ساعة فقط[6]! وتمكنوا من قتل أو أسر كل من كانوا فيه من قوات أمن و«شبيحة»، وعددهم تسعون عنصرًا.

4- معارك حمص القديمة (معارك الصمود حتى الرمق الأخير)

بعد سيطرة قوات الجيش على حي بابا عمرو، اتجهت نحو المدينة التي كانت حواجزها العسكرية التي أقيمت في بداية الثورة قد أزالها الثوار في أثناء

(6) بينما استمرت معركة السيطرة عليه من جانب الجيش في المرة الأولى ثلاثة شهور.

انشغال جيش النظام في بابا عمرو، وبذلك سيطر الثوار على معظم المدينة. وحاولت قوات من الجيش تأمين طريق الدخول إلى فرع الأمن العسكري والخروج منه في منطقة الميدان؛ إذ كان مدخل الفرع ضمن مدى بنادق القناصة الثوار في باب هود وباب التركمان، حيث سقط بسبب القنص عدد كبير من قادة الفرع وعناصره. وكانت الاشتباكات الأولى في المدينة القديمة جرت عند الباب المسدود (بين باب هود وباب التركمان)، واستطاعت قوة من الجيش السيطرة على مدرسة خالد بن الوليد الثانوية وحولّتها إلى ثكنة عسكرية، وكذلك فعلت بمدرسة سعيد العاص الإعدادية. وأصبحت منطقة الاشتباك الرئيسة شارع الخندق في مقابل باب هود. وبقيت قوات من الجيش عامين كاملين تحاول السيطرة على منطقة باب هود الاستراتيجية لفرض السيطرة على معظم مركز المدينة وطريق الشام الرئيسة ومبنى المحافظة والبلدية ومجمع الأربعين، وغيرها من المباني الحكومية.

كانت معارك باب هود يومية، ونادرًا ما كانت هذه الجبهة تهدأ. وقد استخدمت قوات النظام الأسطوانات المتفجرة لتدمير الأبنية الأثرية في الحي الذي يُعَدّ تحفة أحياء حمص القديمة من حيث العمارة والتاريخ، فكانت الأسطوانة المتفجرة تدمّر المنزل بأكمله، وربما تدمّر معه منازل أخرى. ومن أهم المعارك التي دارت في باب هود معركة تحرير بناء المهندسين، ومعركة تحرير مدرسة خالد بن الوليد التي برز فيها الشهيد فراس سيد سليمان الحائز بطولة العالم في كمال الأجسام. ومن شهداء منطقة باب هود خالد خسرف وجاسم النكدلي ورهام شاهين. ووصل عدد شهداء باب هود خلال عامين إلى أكثر من مئتي شهيد نتيجة المعارك اليومية.

كان في باب التركمان قلعة حمص[7] التي تشرف على المنطقة، ما جعلها هدفًا مستمرًا لوابل من القذائف. وتمكن الثوار في 14 آذار/مارس 2013 من تحرير القلعة وقتل أو أسر من فيها. وكانت العملية من تخطيط الشهيد

(7) كانت القلعة تقع على تلة مرتفعة عن حمص القديمة، ما مكن القوات المتمركزة فيها من رصد جميع التحركات داخل المدينة القديمة، وقنص المارة، وقصف المناطق بسهولة.

عبد القادر جمعة، قائد كتيبة أحفاد خالد، لكن سيطرتهم عليها لم تدم طويلًا بسبب انعزال المنطقة عن المدينة القديمة، وبالتالي صعوبة وصول الإمدادات إليها.

أمّا منطقة الصفصافة، فكان يفصل بينها وبين حي باب السباع شارع عريض، ما جعل تقدم قوات الجيش صعبًا للغاية، وكانت تفقد عددًا كبيرًا من مشاتها كلما حاولت ذلك. وحاول الثوار العبور إلى باب السباع أكثر من مرة، وتمكنوا من دخول الحي مرتين على الأقل خلال الحصار.

دارت معارك واسعة في شارع الحميدية الرئيس، حيث شن الثوار حملة واسعة للسيطرة على مؤسسة المياه، لكنهم لم يستطيعوا ذلك - على الرغم من تقدمهم إلى الأبنية الملاصقة للمؤسسة - بسبب تحصينات الجيش فيها.

5- معركة كرم شمشم (وجهًا لوجه مع «الشبيحة»)

سيطر الثوار في بداية لجوئهم إلى العمل المسلح على منطق كرم شمشم التي تقع شرق حي الخالدية، باتجاه مناطق التماس مع «شبيحة» النظام والموالين له. ودافع أبناء المنطقة عنها، فبرز منهم أبو حسان الأورفلي ومجموعته، وأبو أحمد عودة ومجموعته وغيرهم، وكانت مجموعة أبو عرب أبرز المجموعات.

بدأ الهجوم على كرم شمشم من منطقة شارع التدامرة أو منطقة البوابات، بين شارع القاهرة وشارع التدامرة. وكانت المعارك عنيفة وشرسة، استشهد أو أصيب أغلب من شارك في القتال هناك بسبب صعوبة المعارك وشدتها.

استطاعت قوات النظام السيطرة على منطقة البوابات وشارع التدامرة وصولًا إلى صيدلية دار الدواء، بعد شهور عدة من القتال. وأراد الثوار استعادته، لكنهم لم يتمكنوا بسبب ضعف الإمكانات. ومع منتصف حزيران/ يونيو 2013، بدأ النظام حملة عسكرية واسعة على باقي أجزاء كرم شمشم من محاور عدة، بقيادة حزب الله لأول مرة. ووقعت المعركة بعد ارتفاع الروح المعنوية لقوات الأسد التي انتصرت في معركة القصير. وكان أبو عرب حينئذ

قائد المنطقة بأكملها، فاستطاع الثبات في الجبهة أكثر من يوم، على الرغم من الحملة الشرسة. وبوصول نبإِ استشهاده، فقد الثوار أهم معْلم في المنطقةِ: برج شدوان المرتفع والمطل على أغلب المناطق الأخرى. وفي اليوم نفسه أُصيب عبد الحكيم، مساعد أبو عرب - الذي استُشهد في اليوم التالي إثر إصابته. وبذلك أصبحت المنطقة من دون قيادة، ما أدى إلى فقدان باقي أجزاء كَرم شمشم تباعًا.

سارعت الكتائب الأخرى إلى دعم الجبهات وتعزيزها، لكن أحدًا لم يفطن إلى مسألة فقدان القيادة، فتحرك الشيخ أبو راتب، قائد لواء الحق، إلى المنطقة وأقام في غرفة العمليات أيامًا عدة. وكان وجوده يمنح ثقة للمقاتلين، لكن ذلك لم يوقف تقدم قوات الأسد وحزب الله. وسقط في المعركة عدد كبير من الشهداء والجرحى.

بعد فترة وجيزة، استطاع الجيش السيطرة على منطقة كَرم شمشم بأكملها، ما مهّد السبيل إلى التقدم نحو حي الخالدية ومنطقة وادي السايح.

6- معركة وادي السايح (محاولة فصل المنطقة)

في هذه الأثناء، كانت قوات الجيش تسيطر على جزء من منطقة وادي السايح. وبعد سيطرتها على منطقة كرم شمشم، أصبحت منطقة وادي السايح محاصرة من جهتين، فبدأت هذه القوات التقدم عبر محور كرم شمشم نحو وادي السايح، فخسر الثوار كتلًا عدة. فأقام الشيخ أبو راتب أكثر من شهر في غرفة عمليات وادي السايح، ما ساعد في تثبيت الجبهة عند مستوى معين وفي توقف التقدم. وقد شاركت معظم كتائب حمص في عمليات وادي السايح، وكان لقائد تلك الجبهة الحاج خضر الحلواني دور كبير في تلك المعركة التي استُشهد فيها، فتأثرت بوفاته معنويات المقاتلين بشكل كبير، الأمر الذي دفع قوات الجيش إلى التقدم مرة أخرى على الأرض، لكن تقدمها لم يكن واسعًا. وكان الهدف من هذه العملية تقسيم المنطقة المحاصرة إلى منطقتين: حمص القديمة - جورة الشياح والقرابيص والقصور، لكن ذلك لم يتحقق.

7- معركة الخالدية (معركة «كسر عظم»)

هكذا أصبح الجزء من وادي السايح المقابل لمنطقة مسجد خالد بن الوليد ومنطقة كرم شمشم المواجهة لمنطقة الخالدية تحت سيطرة القوات الحكومية، ما منحها زخمًا ومحفزًا لدخول حي الخالدية، ولا سيما بعد اقتحامها أكثر من مرة وخسارتها عشرات القتلى والأسرى من دون تحقيق أي تقدم.

في هذه الأثناء، كان لواء الخير القوة الأكبر في حي الخالدية، لكنه كان قائمًا على مجموعات متفرقة، وكان ترابطه ضعيفًا.

أمّا الجبهات الأخرى في الحي، فكانت في شارع القاهرة، وكانت بقيادة أبو حديد زعرور[8]، في حين كانت جبهة التأمينات بقيادة أبو باسل الأحمد[9]، وجبهة المطاحن بقيادة أبو خالد وأبو عمار.

في الوسط، كانت ورش الحي التي أسسها أبو أحمد تعمل بكفاءة وفاعلية، وكان أبو زيد في غرفة العمليات المركزية. لكن تلك المجموعات كانت متفرقة ومتمردة ولا تنقاد لأحد فعليًا، فأُجريت في هذا المشهد محاولات عدة لتنظيم الوضع وتوحيد الجهد في الحي، لكن تلك المجموعات أبت الانصياع وكانت تتجمع في وقت المعركة وتقاتل ببسالة وتتعاون في ما بينها.

بدأت معركة الخالدية بعد تعزيزات كبيرة استمر استقدامها أكثر من عشرة أيام، وعرف الثوار أن المعركة لن تكون سهلة، فزار قادة عدة تلك الجبهة وقدموا نصائح واستشارات وملاحظات لتدعيمها. لكن المشكلة الأخرى تمثّلت في قلة عدد المقاتلين الذي بقوا في الحي، فحاول قادة النقاط التغلب على هذا العجز برفع عدد ساعات الحراسة، ونجح ذلك التدبير في اليوم الأول من المعركة، وثبتت الجبهة. لكن الأيام التي تلت كانت صعبة للغاية؛ إذ استطاعت قوات من الجيش دخول بعض الكتل السكنية داخل الحي، ولكن عندما تصدى لها الثوار وبادروا إلى تحرير الكتل السكنية، أُطلقت عليهم

---

(8) محام ذو شخصية قوية.

(9) عسكّري منضبط يتمتع بقدرة على التخطيط.

قذائف دبابة يعتقد أنها كانت تحوي نوعًا من المواد الكيماوية، فأصيب كل من كان في دائرتها بحروق واسعة، واستُشهد في إثر ذلك ثمانية ثوار. كما أن الأسطوانات التي كانت تستخدمها قوات الجيش تدمر كل شيء في مرماها. وقد استشهد بهذين السلاحين قادة ميدانيون عدة وبضعة شبان.

كانت الهجمة شرسة للغاية، فبادر الشيخ أبو راتب إلى المساعدة في إدارة غرفة العمليات، جنبًا إلى جنب مع أبي هلال الدروش. واستطاع تثبيت الوضع لأيام فقط، كانت الكتل السكنية خلالها تتهاوى. ولم يتمكن الثوار من الثبات بسبب قلة الإمكانات وكثافة استخدام الأسلحة الفتاكة ضدهم.

في 19 تموز/يوليو 2013، خسر الثوار حي الخالدية بالكامل بعد شهر من المقاومة. وكانت أبنية الحي قد سُوّيت في معظمها بالأرض. وسقط في معارك الدفاع عن الحي أكثر من أربعين شهيدًا وستين جريحًا.

كان من أسباب خسارة الحي ما يلي:

- طول فترة الحصار التي أرهقت الناس معنويًا وماديًا من حيث العتاد والذخيرة والبنية الجسدية، حتى صار الشاب يسقط من علو نصف متر فتتكسر عظامه بسبب قلة الكالسيوم في جسمه، أو يمرض فلا يشفى إلا بعد مضي وقت طويل، وكانت المضادات الحيوية غير ذات نفع أحيانًا في معالجة الالتهابات والجروح.

- استشهاد وإصابة عدد كبير من القادة الميدانيين، أبرزهم: أبو أسامة الأنصاري وأبو زياد الفراتي ومدثر النكدلي وأبو دعاس وفراس سيد سليمان وخالد أبو سليمان والحاج خضر الحلواني، إضافة إلى أكثر من ثلاثين شابًا من خيرة شباب حمص وأشجعهم.

- استشهاد عدد من الشبان المؤثرين في الجبهات قبل المعركة بشهور قليلة، مثل أبو عرب مندو وعبد الحكيم مشارقة.

- إصابة عدد من القادة الفاعلين في هذه المعركة، مثل عبد الباسط الساروت وأبو حيدر وعبد القادر جمعة.

- عدم وجود قيادة واحدة في الحي وتعدد مراكز القرار.

- الضغط الكبير على المنطقة بأسرها وعلى الحي بشكل خاص، واستخدام أسلحة فتاكة بكثافة، وتهدم معظم الكتل السكنية، ما نجم عنه ضعف الدفاعات.

- الاختراق الذي حصل نتيجة قدوم مؤازرة من إحدى طرق الإمداد[10]، حيث دخل عدد من الشبان، بينهم مخبرون للنظام افتُضح أمرهم في ما بعد، وكان لهم دور فاعل في إرشاد الجيش إلى التقدم والتراجع.

ثانيًا: محاولات فك الحصار عن المنطقة من الداخل

1- معارك القصور لفك الحصار

نظرًا إلى أهمية القصور واتصالها بالمنطقة الصناعية، ومن ثم الريف الشمالي، حاول الثوار أكثر من مرة اختراق الجزء الذي تسيطر عليه قوات النظام من القصور، وصولًا إلى المنطقة الصناعية.

في منتصف تشرين الأول/ أكتوبر 2013، خطط الثوار في المنطقة المحاصرة عملية عسكرية تنطلق من ثلاثة محاور: الوعر والقرابيص ومنطقة القصور باتجاه المنطقة الصناعية. ونُفِّذت العملية بعد تخطيط وإعداد كبيرين، وتمكن ثوار محور القرابيص من التحرك نحو الهدف المطلوب، في حين لم يتحرك أحد من محور الوعر بسبب ضعف التنسيق. وانطلق شبان محور القصور إلى المنطقة الهدف، فسقط سبعة شهداء دفعة واحدة في أثناء عبورهم، ما دفع الشبان إلى التراجع، وانتهت العملية بسقوط تسعة شهداء، منهم أبو سعيد قائد عمليات الأنصار في القصور.

---

(10) كان طريق الإمداد حينذاك باتجاه الوعر سالكًا، وكانت النداءات تطالب بوجوب قدوم تعزيزات، فجرى إدخال عدد من الشبان.

2- معركة المطاحن (معركة رغيف الخبز)

في بداية كانون الثاني/ يناير 2014، بعد أن كاد الجوع يفتك بالمحاصرين، بدأت استعدادات الثوار لدخول منطقة التأمينات ومنطقة القصور لتحقيق هدفين: الأول، السيطرة على المطاحن التي تحوي على الأقل مئة طن من الدقيق، وذلك بعد فترة من الجوع والحصار الخانقين، والثاني، التقدم نحو دوار الجوية ومحاصرة فرع الاستخبارات الجوية، الأمر لذي كان سيجعل الثوار على مرمى حجر من موقع الالتقاء بثوار الريف الشمالي.

استغرق التحضير للعملية كثيرًا من الوقت والترتيب والرصد. وكان مخططًا أن تنفّذ العملية من محورين: الأول، باتجاه التأمينات بقيادة عبد الباسط الساروت، والثاني، باتجاه القصور بقيادة أبو محمد الأنصاري. ونجحت العملية في المحور الأول، لكن الاقتحام في المحور الثاني فشل بسبب اكتشاف المكان الذي كان محدَّدًا لخروج الثوار منه. وعاد الثوار أدراجهم، وأُصدر أمر بالانسحاب لثوار المحور الأول بسبب فشل المحور الثاني الذي كان داعمًا لهم. علاوة على ذلك، كان ثمة تشويش في الاتصالات وضعف في التواصل بين المحورين، ما جعل إصدار أمر الانسحاب كيفيًا غير مدروس. ولم يقتنع بعض الثوار بالانسحاب أصلًا، واكتُشف مكان الثوار داخل المنطقة، ووقع اشتباك أُغلق في إثره ممر الانسحاب، وحوصر نحو 60 شابًا من شبان الكتائب المشاركة، واستشهد منهم نحو 50 من خيرة الشباب وأكثرهم خبرة وكفاءة، بعد حصارهم في منطقة صغيرة. فساد اليأس والإحباط في المنطقة المحاصرة بعد فشل العملية، وبدأ الثوار يتحدثون عن الانسحاب من المنطقة المحاصرة في حمص، وبدأ التفكير جديًا في إخلاء المنطقة.

3- معركة البياضة (الكيماوي)

لم تكن معركة البياضة التي استخدمت فيها قوات النظام السلاح الكيماوي المحاولة الأولى لدخول هذا الحي، لكنها كانت الأخيرة للثوار؛ فقد سجل الثوار استخدام قوات النظام الأسلحة الكيماوية ضد المحاصرين في

حمص، مرتين على الأقل، كانت المرة الأولى في 23 كانون الأول/ ديسمبر 2012، عندما تمكن الثوار من اختراق صفوف قوات النظام والتقدم في عمق حي البياضة بغية فكّ الحصار. واستخدمت قوات النظام آنذاك قذائف أطلقتها دبابة صدرت منها سحب دخانية، توفي في إثرها تسعة أشخاص على الأقل، وأصيب عشرات.

وقعت هذه الحادثة بعد إعداد الثوار في المنطقة المحاصرة اقتحام حي البياضة، في محاولة للوصول إلى حي دير بعلبة. وبعد بدء المعركة بساعات، نجح الثوار في التقدم في عمق الحي، ما دفع قوات النظام إلى تحريك الدبابات وإطلاق ثماني قنابل لم تنفجر، بل أصدرت موجات دخانية كثيفة، أُصيب في إثرها الثوار بالاختناق، فتراجعوا إلى حي الخالدية فورًا، واستُشهد تسعة منهم، بينهم القائد الميداني أبو أسعد الشركسي[11]. وقد نُقلت تفصيلات هذه الحادثة إلى العالم، وكانت أول مرة يُستخدم فيها الغاز الكيماوي ضد الثوار، لكن الحادث جرى تجاهله مثل غيره من الحوادث.

كذلك سُجل استخدام الأسلحة الكيماوية عندما استعاد المقاتلون كتلًا سكنية في حي الخالدية كانت قوات الجيش قد سيطرت عليها، فأطلقت دبابة قذائف عدة لم تنفجر، خلّفت سبعة شهداء على الأقل، وأصيب خمسة أشخاص آخرين.

بين فترة وأخرى، كانت حيوانات نافقة (عصافير، فئران، قطط) تنتشر بين فترة وأخرى في المنطقة المحاصرة، وكانت تظهر على بعض الأفراد أعراض ضيق تنفس أو تشنجات وغيرها، لكن لم تكن هناك إمكانية لاختبار هذه الحالات[12].

---

(11) أبو أسعد الشركسي، من حارة الشراكس في منطقة البياضة، كان قائدًا ميدانيًا شجاعًا ومحبوبًا في كتائب الرحمن.

(12) انظر الملحق: التقرير الطبي عن مؤشرات استخدام السلاح الكيماوي، ص 188 من هذا الكتاب وأيضًا رسالة المؤلف الإلكترونية التي أرسلها إلى جهات مختلفة في شأن توقع استخدام الأسلحة الكيماوية قبل استخدامه أول مرة بنحو ستة شهور، ص 189 من هذا الكتاب

على الرغم من أن استنتاجات الثوار باستخدام قوات النظام السلاح الكيماوي أرسلت إلى شخصيات من المعارضة وإلى حكومات عدد كبير من الدول، فإن هذه الحكومات اكتفت باستنكار ذلك وتحذير النظام من معاودة الكرة.

4- معارك أخرى لفك الحصار

لم تكن معركة المطاحن المعركة الأولى في محاولة فك الحصار، ولم تكن الأخيرة؛ ففي بداية شباط/ فبراير 2014، حاول الثوار دخول منطقة باب السباع. وكان هدف العملية رفع الروح المعنوية للمقاتلين بعد معركة المطاحن، وإيجاد وسيلة لإحضار الطعام للمحاصرين في حمص. ونجح الثوار في بداية المعركة من اقتحام الخط الأول لقوات الجيش، إلا أن وجود قلعة حمص كمرتفع أساس يكشف طريق الإمداد للقوات كان من أبرز المعوّقات، إضافة إلى أن عدم مشاركة كتائب أخرى كان معوَّلًا عليها المشاركة، حال دون التقدم نحو الهدف. علاوة على ذلك، لم يكن ثمة خطة بديلة في حال حدوث إخفاق في الخطة العسكرية الأساسية.

جرى بعد ذلك التحضير لأكثر من عملية، لكن ضعف الإمكانات العسكرية، من ذخيرة وعتاد وغيرها، حال دون تنفيذها. ثم برزت فكرة استخدام سيارة مفخخة يقودها استشهادي ويتجه بها نحو مبنى قيادة الشرطة ويتبعها عدد من المقتحمين. وقد تم تأمين مواد التفخيخ بصعوبة نظرًا إلى حالة الحصار، وجرى إعداد السيارة في أوضاع صعبة، كما جرى الإعداد للمعركة.

في يوم التنفيذ، قبل انطلاق السيارة بدقائق، انفجرت السيارة المفخخة بسبب عطل فني، فاستشهد أكثر من 25 شابًا، من أبرزهم عبد القادر جمعة، قائد كتيبة أحفاد خالد، وأبو قصي زعيب، قائد كتيبة المرابطون، وأبو أحمد دبابة قائد ميداني في كتيبة الأنصار، وعبد المنان مساعد الشيخ أبو راتب، وثلة من المجاهدين.

مع هذا، جرى التحضير مرة أخرى لعملية مشابهة في الجهة الشرقية هي عملية جب الجندلي، حيث قامت جبهة النصرة برصد المنطقة وتجهيز

سيارة مفخخة يقودها استشهادي، وتمكن أفراد من جبهة النصرة وأفراد من أغلب كتائب حمص من دخول منطقة جب الجندلي وقتل عدد كبير من «الشبيحة». واستمرت المعركة خمسة أيام، حقق المقاتلون فيها أهدافًا على مستوى إحضار الطعام من المنطقة - وإن بكميات قليلة - ووقف حملة عسكرية واسعة كانت تهدف إلى السيطرة على حمص المحاصرة. كما استطاع الثوار بهذه العملية النوعية إحداث اختراق في جبهات متعددة أربكت صفوف قوات النظام، ومكنتهم من استعادة السيطرة على الوضع، ونشر الهلع بين الموالين للنظام. كما أنها أرّقت «الشبيحة» في مناطق قريبة من مكان تدفقهم، بحيث أصبحوا على مسافة قريبة جدًا من منطقة الزهراء الموالية للنظام. وتبرز أهمية هذه المعركة في كونها بمنزلة «قلب الطاولة» على النظام الذي كان يظن أن المقاتلين في حمص المحاصرة منهكين ومتعبين، وأنهم غير قادرين على التقدم والمبادرة بالهجوم، لكن المقاتلين فاجأوا الجميع بقدرتهم على اختراق صفوف قواته، فلجأت قوات النظام إلى قصف المنطقة المحاصرة بجميع أنواع الأسلحة لوقف هذا التقدم الجارف الذي قام به شبان الحصار.

ثالثًا: محاولات فك الحصار من الخارج

1- معركة حاجز ملّوك

بعد بضعة شهور من حصار مدينة حمص، بدأ العسكريون والناشطون يتوجسون خيفة من استمرار الحصار فترة أطول؛ إذ رأوا فيه خطر سقوط المدينة في وقت لاحق في أيدي قوات النظام. فبدأ الإعداد لمعركة «فتح طريق باتجاه مدينة حمص»، تقوم الكتائب على أساسه بمهاجمة حاجز ملّوك، أكبر حاجز على طريق حماة حمص من جهة شمال المدينة، وتدميره، ومن ثم مهاجمة فرع الاستخبارات الجوية والوصول إلى حي القصور، المدخل الشمالي للمدينة.

جرى التجهيز للمعركة بتحضير الذخائر اللازمة، وكان للناشط خالد أبو صلاح هنا دور كبير في تشجيع الكتائب في الريف على توفير المعدات

اللازمة لها. وبدأت المعركة بالتقدم نحو الحاجز الهدف، لكن بعد أيام خفتت حماسة القوات الريفية المتقدمة نحو الحاجز بسبب صمود الحاجز أمام الهجوم بفضل تحصيناته وعدد الجنود المرابطين فيه، علاوة على الآليات الكثيرة فيه وامتداده على مساحة واسعة وتعدد الأبنية التي تتحصن فيها القوات النظامية. بعد هذه العملية ظهرت أول مرة تلك الهالة الكبيرة التي أُحيط بها حاجز ملّوك، الذي يعدّ الفاصل الرئيس بين الريف الشمالي والمدينة.

جدير بالذكر أن المعركة أديرت بطريقة بدائية، فكان الهجوم مباشرة على الحاجز التكتيك الذي اتبع، ولم تكن ثمة حلول للتعامل مع الآليات المتحصنة فيه، كما أن التنظيم العسكري للكتائب المهاجمة لم يكن مؤهلًا بما يكفي لاقتحام ذلك الحاجز.

حاولت بعض الكتائب تنظيم أمورها بشكل أفضل، فاستعانت بضباط منشقين من أجل التخطيط للمعركة. وبالفعل، وضع عدد من الضباط خططًا لاقتحام الحاجز، لكن العيب الوحيد في ذلك كان افتراض الضابط أن لديه إمكانات قوة منظّمة ومنضبطة، كحال قوات الجيش، وحتى وجود ذخيرة ومعدات. كما أن موقع الحاجز حال دون التمكن من إمداد القوات المهاجمة بالسلاح والعتاد.

بقي حاجز ملّوك هاجس جميع القوات التي كانت تفكّر في اختراق حصار المدينة عبر الريف الشمالي. وعلى الرغم من وصول معدات مضادة للدروع ورشاشات ثقيلة إلى قوات كثيرة في الريف الشمالي، فإن التفكير في إزالة هذا الحاجز انحسر وتراجع في العام الأخير، واكتفت القوات المرابطة قريبًا من الحاجز بقنص الجنود أو إعطاب أو تفجير آلية بين آونة وأخرى. وكان لواء الإيمان بقيادة أبو حاتم الضحيك تعهد أكثر من مرة بإزالة هذا الحاجز، وكان يطلب تجهيزات لتنفيذ مثل هذه العملية، إلا أن ذلك لم يتحقق لأسباب عدة، على الرغم من حصول الضحيك على كميات كبيرة من العتاد والمال في مقابل تعهداته.

2- معركة قادمون يا حمص

منذ بداية عام 2013، عمل أحد أعضاء المكتب السياسي لكتائب أهل الأثر[13] على عقد سلسلة اجتماعات تهدف إلى فك حصار حمص. فعقد أول اجتماع لهذه الغاية في 22 شباط/ فبراير 2013 تحت شعار «مشروع إنقاذ حمص». وجمع تأييد شبان حمص في تركيا ودعمهم، وبذل في سبيل إنجاح هذه الاجتماعات جهدًا كبيرًا. وحضر هذه الاجتماعات عدد كبير من القادة العسكريين والميدانيين والثوريين والسياسيين، وأجرى المجتمعون اتصالات بخبراء في حرب العصابات وحرب المدن، وبمخططين استراتيجيين. وعقد لهذه الغاية 12 اجتماعًا[14]، تمخّض عنها في النهاية التجهيز والإعداد لمعركة أُطلق عليها في ما بعد «الجسد الواحد».

كان هدف هذه المعركة السيطرة على الطرق الرئيسة لقطع التواصل بين وسط سورية وشمالها. وكان محور العملية يدور في حماة وريفها. وشاركت في هذه العملية كتائب وألوية متعددة، أبرزها الفاروق الإسلامية بقيادة أمجد البيطار الذي بذل جهدًا مضنيًا لإنجاح المعركة. واستطاعت عملية «الجسد الواحد» أن تحقق نتائج مبهرة في بدايتها، إلا أنها انتكست بعد شهرين أو ثلاثة شهور من بدئها، بسبب نقص التمويل وتراجع الهمم وتشعب الأهداف وتعددها.

عُقدت في وقت لاحق اجتماعات عدة، في محاولة لإعادة تشغيل آلية المعركة. ونجحت هذه المحاولة بعد شهور عدة من توقف العملية، في بدء المرحلة الثانية من المعركة، إلا أن الكتائب المرابطة تناقص عددها، فخبت الهمم، وكان الجيش يتوقع أماكن الهجوم، فتمترس فيها بشكل جيد واتخذ تدابير مسبقة، ولم تحقق المرحلة الثالثة من العملية نتائج تُذكر، وسرعان ما توقفت مجددًا.

---

(13) أبو مهند من جبهة الأصالة والتنمية (المكتب السياسي لكتائب أهل الأثر في تركيا).

(14) انظر: الملحق، محضر اجتماع 26 شباط/ فبراير 2013 ص 189-190 من هذا الكتاب.

في هذه الأثناء، كان العقيد فاتح حسون، قائد المجلس العسكري في محافظة حمص، في منطقة الريف الشمالي من حمص. وكان ينظر إلى معركة الجسد الواحد نظرة إيجابية من ناحية التخطيط العسكري، فحاول دعم انطلاقة المعركة من جديد، فتوجه إلى الشمال السوري للمساعدة، إلا أنه لم يفلح، فبدأ تحضيراته من الصفر، وتمكن في غضون شهرين من حشد قوات عسكرية بمساعدة الشيخ سهل جنيد والشيخ محمود الدالاتي، بغرض فك الحصار عن حمص، وأُطلق على الحملة هذه المرة «قادمون يا حمص».

تلاقت رغبة الشيخين مع همة العقيد، وحظيت الفكرة بدعم كبير من هيئة حماية المدنيين. تقدمت القوات المحتشدة للمعركة من محور شرق حماة باتجاه مدينة السلمية، واستطاعت تحرير أكثر من خمس عشرة قرية في وقت قصير، ثم توقفت عند قرية بري الشرقي التي كانت ترابط فيها كتيبة للدفاع الجوي، وتتمتع بتحصين قوي، وكانت تُعدّ المعبر الأساس إلى الريف الشمالي في حمص، وبتحريرها يتحقق كسر الحصار عن ريف حمص الشرقي، ويمكن حينئذٍ إمداد الكتائب المتقدمة نحو مدينة حمص ودعمها.

واجه الحملةَ عددٌ من المشكلات الأساسية، أبرزها عدم وجود مضادات للطائرات الحربية، إذ كانت الغارات الجوية في أثناء الحملة تجبر القوات على وقف تقدمها، كما واجهت الحملة مشكلة المرابطة والحفاظ على المواقع التي سيطرت عليها، فكان أغلب الكتائب المشاركة تتململ من المكوث في المواقع فترات طويلة. أمّا في المرحلة الثانية، فواجهت الحملة مسألة قتال قوات تنظيم «داعش»؛ إذ تبين أن عددًا كبيرًا من قوات كتائب الفاروق الإسلامية - التي كانت تشارك في الحملة - بايعت تنظيم «داعش» لأسباب غير معروفة، وأخذت السلاح والعتاد الخاص بالمعركة وانسحبت إلى شرق البلاد، ومن ثم عادت إلى أرض المعركة برفقة قوات أخرى من التنظيم، للاستيلاء على باقي العتاد الخاص بالحملة، فحوصرت قوات الحملة بين قوات «داعش» التي كانت تقاتلها من الخلف وقوات النظام التي كانت تقاتلها من الأمام. واستعين في المعركة بقوات من جبهة النصرة، لكن قوات «داعش» حاصرت

هذه القوات وأسرت أكثر من 250 شابًا، واستولت على ثلاثين سيارة محمّلة بالسلاح والذخائر.

على الرغم من الإمكانات الضخمة التي رُصدت لحملة «قادمون يا حمص»، فإن انتقادات عديدة وجِّهت إليها، أبرزها:

- انطلقت الحملة من موقع يبعد عن المنطقة المحاصرة أكثر من 250 كم، إذ رأى المخططون لها أن البدء من هذا الموقع كان مهمًا لضمان خط الإمدادات في ما بعد، وضمان كسر الأطواق بالكامل حول المحافظة.

- كان أسلوب المعركة بمنزلة قتال جيش لجيش، وهذا يتطلب كثيرًا من الذخائر والعتاد الثقيل، كما يتطلب توافر مضادات للدروع والطائرات... إلخ. وكان هذا رأي بعض القادة العسكريين المطلعين على الخطة.

- اقتصار المعركة في بدايتها على محور عمل واحد مكشوف الهدف.

- الاهتمام بالجانب الإعلامي على حساب العمل.

حاولت قيادة الحملة تجاوز هذه النقاط، فبدأت بدعم محاور قتالية أخرى. وأدخلت تكتيكات التسلل والمباغتة والالتفاف، وأدخلت قوات إلى مناطق أقرب، إلا أن معوّقات جديدة نشأت في تلك المحاور، لكن الضربة القاضية التي أنهت الحملة تقريبًا هي حشد تنظيم «داعش» مئات من أفراده في مناطق المعركة وقطعهم طرق الإمداد ومصادرة العتاد وأسر المقاتلين. وقد أبلغني بعض من كانوا في غرفة عمليات «قادمون يا حمص» أنهم كانوا يقاتلون على جبهتين، فكانوا كلما تقدموا على الجبهة الأمامية ضد قوات النظام، ازداد الضغط عليهم من قوات «داعش» في الجبهة الخلفية. كما علمت أن قوات «داعش» صادرت الأسلحة والذخائر التي أُرسلت تعزيزات إليهم في الفترة الأخيرة، وكان أفرادها يكمنون للقوات القادمة مؤازرة للمعركة، فكانوا يقتلون من يأسرونه أو يبايعهم فيقاتل معهم!

جدير بالذكر أن جبهة النصرة قامت بالتحضير لحملة واسعة النطاق تنطلق من شمال سورية وشرقها إلى حمص، لكن قبل أيام من بدء الحملة اغتال أفراد

من «داعش» قائدها العسكري، ومن ثم قُتل أمير الحملة! بعد ذلك بشهور تقرر بدء عملية واسعة لجبهة النصرة من ريف حمص الشرقي. لكن عند بدء تدفق القوات، حشد تنظيم «داعش» قوات كبيرة في الطرقات الرئيسة لمنعها من التقدم إلى نقطة الانطلاق! وتكرر هذا أكثر من مرة في أوقات متفرقة.

3- معارك الدوير والحصوية

بعد ظهور هالة حاجز ملّوك، قررت القوات الموجودة في الريف تغيير استراتيجيتها في التقدم، فغيرت محور العمل باتجاه المدينة، وذلك من خلال تجاوز حاجز ملّوك والبدء من قرية الدار الكبيرة، مرورًا بقرية الدوير والحصوية. وبالفعل جرت أكثر من خمس محاولات للتقدم عبر هذه المحاور خلال عامين، لكن كل منها توقف لأسباب واهية لا مبرر لها، مثل تراجع القوات بعد يومين من انطلاق العملية، أو نفاد الذخيرة... إلخ.

كان أعنف المحاولات للتقدم عبر هذا المحور تفجير جبهة النصرة حاجزين على الطريق الرئيسة، وكانت الطريق نحو مدينة حمص هذه المرة خالية من العوائق، لكن عزيمة القوات المهاجمة كانت أضعف من أن تحقق أي تقدم.

غالبًا ما كانت القوات الموجودة في ريف حمص الشمالي والراغبة في العمل على فك الحصار تطلب كميات من الذخيرة والسلاح. لكن كان صعبًا، بل مستحيلًا، في أغلب تلك الحالات توفير تلك الأموال أو الذخائر. وعلى الرغم من تأمين جزء كبير من الذخائر والمبالغ المطلوبة في بعض الحالات، كانت العمليات سرعان ما تتوقف بعد البدء بها بوقت قصير من دون أن تحقّق أهدافها، على أمل أن تنطلق مرة أخرى خلال فترة وجيزة... إلخ؛ فعلى سبيل المثال، في بداية الربع الأخير من عام 2013، بدأ التحضير لعملية عسكرية في ريف حمص الشمالي في وقت حرج، وكانت تلك العملية بمنزلة الفرصة الأخيرة لإنقاذ الوضع المتردي في المدينة، فكان لا بد من رصد جميع الإمكانات المتوافرة لدى الكتائب المقاتلة. وجرى وضع إمكانات غرفة

عمليات دير بعلبة (ذخيرة وسلاح) من أجل المعركة المزمعة. كما جرى شراء كميات كبيرة أخرى من الذخائر والعتاد. وانتظر الثوار شهورًا ريثما ينتهي تجهيز القوات المشاركة في المعركة، وكان التأخر بسبب معوّقات طريق الإمداد تارة، وبسبب قيام قوات «داعش» بقطع الطريق والاستيلاء على الذخائر والعتاد تارة أخرى. عمل الجميع بدأب ووضعوا إمكاناتهم تحت تصرف المنفذين. وبعد مرور أكثر من ستة شهور، وبالتحديد في منتصف آذار/ مارس 2014، بدأت معركة على جبهة «الكمب» لساعات فقط.

4- كتيبة ثوار بابا عمرو، الورقة «الجوكر»

كان لكتيبة ثوار بابا عمرو دور مميز في معارك ريف حمص الجنوبي، أي معارك بابا عمرو وجوبر والسلطانية وريف القصير والقلمون، ومعارك أخرى. وكان قائدها ناصر النهار شخصية محبوبة وقيادية، كما كان يتمتع بعلاقة طيبة بمشايخ حمص، وكانت كتيبته تقوم بعمليات في الوقت الضائع، ما دفع الجميع إلى تسميته «الورقة الجوكر».

على سبيل المثال، عندما ازداد الضغط على أحياء حمص المحاصرة، استطاعت الكتيبة في 10 آذار/ مارس 2013 وكتيبة مغاوير بابا عمرو، بالتعاون مع كتائب أخرى في منطقة الوعر، التقدم إلى بابا عمرو وتحريره، مجبرة قوات النظام على وقف حملتها العسكرية على أحياء حمص المحاصرة. كما قطعت الكتيبة طرقات رئيسة أكثر من مرة، في سبيل تخفيف الضغط عن حمص.

شاركت هذه الكتيبة أيضًا في معارك تحرير مستودعات مهين الاستراتيجية، وشاركت في ما بعد في حملة «قادمون يا حمص»، واستطاعت تحرير عدد من القرى. كما خاضت معركتين على الأقل في ريف حمص الشمالي لتخفيف الضغط عن حمص المحاصرة، إلا أن البيئة التي كانت تعمل فيها كانت صعبة. فعلى سبيل المثال، في تموز/ يوليو 2013، قررت الكتيبة القيام بعملية نوعية في ريف حمص الجنوبي، وأُرسلت الأموال اللازمة للمعركة، إلا أن «شبيحة طرقات محسوبين على الثورة»، قطعوا الطريق على مستلم المبلغ وسلبوه،

ولم تتمكن الكتيبة من استعادته. كما واجهت الكتيبة مشكلات مع بيئة الريف الشمالي في أثناء مهاجمتها «كتيبة الهجانة» في الدار الكبيرة، فقطع مجهولون طريق الإمداد.

5- معركة مستودعات مهين الاستراتيجية

مع حلول تشرين الثاني/ نوفمبر 2013، تقدمت قوات من الجيش الحر[15] وجبهة النصرة بقيادة قوات المغاوير السورية، من الريف الشرقي لحمص، وحررت عددًا كبيرًا من القرى، فسيطرت بذلك على طريق إمدادات جبهة القلمون باتجاه شمال سورية، وحررت نتيجة هذه العملية مستودعات مهين الاستراتيجية التي تُعدّ ثاني أكبر مستودع ذخيرة في سورية. واستولت القوات المشاركة على ما فيها من ذخائر، وتقاسمتها، وقفلت راجعة من حيث أتت، فلم تتمكن القوات الباقية من المحافظة على وتيرة تقدمها القديم أو القرى المحررة، فاستعادت قوات النظام مهين وصدد وقرى أخرى.

كان متوقعًا أن تتجه هذه القوات إلى حمص، وكان منسق عام قوات المغاوير أبو حسن السوري قد أطلق على هذه المعركة اسم «أبواب الله لا تغلق»، بعد أن واجه مشكلة كبيرة في تمويلها وتأمين الدعم لها، ولكن يبدو أن حمص المدينة لم تكن في أهمية الذخائر والعتاد التي غُنمت.

6- معارك الوعر وتخفيف الضغط

لم يكن وضع الوعر يسمح باندلاع معارك قتالية بالمعنى الحقيقي، فالبُعد البشري الكبير (أكثر من أربعمئة ألف نسمة) كان يحتم على الثوار تجنيب المنطقة القصف والمعارك. وكانت كتائب الوعر في الأساس كتائب إمداد ودعم لوجستي، لا كتائب قتال وحرب. لكنها قامت أكثر من مرة بعمليات لتخفيف الضغط عن المدينة، ولم تفلح إلا في تقديم الدعم والإمداد، وأخفقت

(15) كانت غرفة العمليات بقيادة مغاوير حمص، بالإضافة إلى كتائب من القلمون والقصير.

في إحداث أي اختراق. وتمكنت فقط من إمداد منطقة بابا عمرو بالذخيرة والمواد الطبية ومن تقديم الدعم إلى حمص المحاصرة في أكثر من مناسبة.

على الرغم من اتّباع كتائب الوعر هذا النهج، لم تسلم المنطقة من القصف والحصار، بل مُنع عنها الطعام والشراب إلا تقطيرًا، وقُطعت عنها الخدمات شهورًا طويلة، وانتشرت الاعتقالات على الطرقات العامة المؤدية إليها، وكان «شبيحة» القرى القريبة منها، الزرزورية والمزرعة والرقة، يخطفون الموظفين والطلاب ما سنحت لهم الفرصة. وكانوا كلما قُتل منهم فرد يبادلون المخطوفين بجثث مقاتليهم الذين ربما سقطوا في الأبنية التي يشتبكون فيها مع ثوار الوعر في الجزيرة السابعة المتاخمة للطرفين، وهو ما دفع ثوار الوعر إلى الاستيلاء على قرية الرقة المتاخمة لإبعادهم عن الحي.

الفصل الخامس

الاستخبارات والاختراقات في حمص المحاصرة

أولًا: الحملات الاستخباراتية على حمص المحاصرة

قبل بداية الثورة، يمكن المرء أن يتخيل وهو يسير في الشارع أن عنصر الاستخبارات قد يكون في أي مكان؛ قد يكون سائق سيارة الأجرة المتذمر من أوضاع البلاد، أو عامل النظافة الذي يستمع إلى مكالمتك بصمت، أو البائع المتجول الودود، أو حتى سمسار المكتب العقاري الذي تذهب إليه لاستئجار بيت.

كان للاستخبارات السورية منذ بداية الثورة برنامج عمل استراتيجي نابع من معرفة وتنسيق مع جهات دولية مختلفة ملمّة بردات الفعل ومختبرة لها. وكانت أجهزة الاستخبارات السورية تتميز بكثير من الخبرة، فهي من قَمع ثورات الأكراد أكثر من مرة، وتحركات شباب سورية طوال الأعوام السابقة، حتى صارت سورية دولة استخبارات بامتياز.

في بداية الثورة، أفرج النظام عن عدد كبير من المجرمين واستغلهم لإثارة الفوضى في التظاهرات الشعبية. كما دس عناصر استخباراته بين المتظاهرين لإطلاق شعارات والقيام بأفعال لم تكن من مبادئ الثورة، وكوّن مجموعات مسلحة لتنفيذ أعمال سلب ونهب واختطاف. لا يعني هذا أن الثورة كانت معصومة من ارتكاب الأخطاء، وأن عيوبها كلها يتحملها النظام، غير أن أجهزة الاستخبارات لا تُعفى من جريرة اختراق الثورة.

قام الثوار منذ بداية الثورة بحملات واسعة للتخلص من المخبرين وعناصر الاستخبارات المندسّين في صفوفهم بسبب خطورتهم على الثورة ومسارها، فتقلص عدد المخبرين بشكل كبير في المناطق الثائرة حتى كاد ينعدم، لكن التجنيد الاستخباراتي لم يتوقف، كما لم تتوقف أجهزة الاستخبارات السورية

عن التنافس في اختراق الثورة. وتبيّن في ما بعد أن خطط اختراق الثورة والانقلاب عليها كانت منهجية وُضعت في مستوى أعلى من مستوى الفروع الأمنية. واتّبع النظام في حمص المحاصرة سلسلة محاولات لاختراق الصف الثوري، يمكن تلخيصها في الآتي:

1 - المخبرون

على الرغم من محاولات الثوار «تنظيف» الصف ومراجعة ملف كل من كان له علاقة بالنظام، خصوصًا المتنفعين منه قبل الثورة، وأصحاب العلاقات المباشرة بالمسؤولين أو الفروع الأمنية، فإن عددًا من المخبرين تمكنوا من البقاء بين الثوار بغرض التشويش عليهم والإبلاغ عن تحركاتهم. وربما كان من أبرز إيجابيات الحصار انحسار عددهم، بسبب ارتفاع وتيرة الخطر اليومي الذي كان يمر به المرء، كما أن صعوبة العيش في المنطقة المحاصرة كان بيئة طاردة للمخبرين، فما كان يقدر على العيش في مكان كان يُستشهد فيه كل يوم شخصين تقريبًا إلا من يتمسك بأهداف الثورة ويلتزم بها.

كان في أغلب الكتائب وحدة متابعة ورصد وتحقيق كانت تُجرى التحقيقات مع المشتبه فيهم، بأريحية متناهية وتعامل جيد أحيانًا. لكن في أحيان أخرى كان المشتبه فيهم يتعرضون لأكثر مما يستحقون؛ فعلى سبيل المثال، أجرى الشهيد أبو قصي زعيب (بصفته قائد المجلس العسكري في تلك الفترة) بعد سقوط الخالدية تحقيقات مع عدد من الأشخاص كانت قوات الجيش اخترقت نقاط حراستهم. واستمرت التحقيقات معهم نحو شهر كامل، لم يتعرضوا فيها لأي نوع من التعذيب، وجرت تبرئتهم بعد اتهامهم بالإهمال فحسب، ولم يكن ثمة قانون يعاقب على هذه التهمة.

كان لكتائب الفاروق فرع تحقيق يتعامل مع المتهمين بعنف وشدة كبيرين، وغالبًا ما ظُلم أشخاص في ذلك الفرع. وسُجلت حالات تجاوز كثيرة، على الرغم من فاعلية الفرع في محاربة المخبرين.

عندما أُسس المجلس الشرعي والدائرة القضائية، خُفّض حجم هذه

المراكز في الكتائب، وبدأت التحقيقات تُجرى بشفافية ومركزية، إذ كان يحق للجميع الاطلاع عليها، وبناء عليه قلّت التجاوزات بشكل كبير وملحوظ.

من أبرز قضايا المخبرين التي جرى التعامل معها اكتشاف شبكة مخبرين كانت لها اليد الطولى في سقوط حي الخالدية؛ إذ دخلت هذه الشبكة إلى المنطقة المحاصرة من منفذ إمداد كان مفتوحًا إبان المعركة. وكان رئيس الشبكة تلقى تدريبات في إيران ودمشق، تعاونه شبكة متعددة الأهداف، فكان مكلفًا بالإبلاغ عن نقاط الحرس وإمكانات حي الخالدية، إضافة إلى اغتيال عدد من الشخصيات لإثارة البلبلة، وكان الشيخ أبو راتب أول المستهدفين، وكذلك الأب فرانس (الذي اغتيل في ما بعد)[1].

اكتُشفت الشبكة بعد الاشتباه في شخص كان يرغب في الخروج من المنطقة المحاصرة بالعبور إلى منطقة البساتين. وأدلى في أثناء التحقيق معه بمعلومات عن وجود آخرين في المنطقة المحاصرة. وبعد ربط المعلومات في مركز التحقيق التابع للمجلس العسكري الذي كان قائده الشيخ أبو راتب في تلك الفترة، وإجراء سلسلة من التحقيقات، جرى التعرف إلى جميع أفراد الشبكة التي ثبت أن لها ارتباطات خارج المنطقة المحاصرة وداخلها.

2- الاستخبارات من خلال الاتصالات

كان من المستغرب قطع جميع الخدمات عن المنطقة المحاصرة، ومنها مياه الشرب، والإبقاء على الاتصالات الخلوية! وقد اصطلح كثيرون على تسمية ذلك الجهاز الذي يدسه المقاتلون في جيوبهم «المخبر الصغير»؛ فقد كان لدى معظم المقاتلين أجهزة هواتف خلوية بشرائح اتصال تشغّلها شركة «سيرياتل» وشركة «أم تي أن» الخاضعتان لمراقبة الفروع الأمنية. وكان التنصت على الاتصالات التي تُجرى بوساطة هذه الهواتف يتم بمراقبة الهواتف الموجودة في المنطقة المحاصرة، أو بمراقبة أرقام بحد ذاتها، فضلًا عن مراقبة

(1) وليد الفارس، «استشهاد الأب فرانس في حمص المحاصرة،» رابطة أدباء الشام، 12/ 4/ 2014، على الرابط: <http://www.odabasham.net/show.php?sid=74146>.

حركة تجمع هذه الأجهزة في نقاط معيّنة، فكانت قوات النظام تُحلل حركة مرور الاتصالات في اليوم الواحد ومقدار ارتفاعها أو انخفاضها، وكانت تدرك عند ارتفاع معدلات الاتصالات اليومية عن المعتاد أن شيئًا ما على وشك الحدوث.

كان التنصت على مكالمات أجهزة الهاتف الخلوي وسيلة جمع معلومات مهمة للفروع الأمنية، فبفضله اكتشفت ممرات وعمليات عسكرية. كما تأثر سكان المناطق الأخرى خارج المنطقة المحاصرة بالأمر، حتى إن اعتقالات كثيرة حدثت على الحواجز لأشخاص كانت لهم اتصالات بالمنطقة المحاصرة، منها أهالي بعض المحاصرين. واعتقل نساء وأطفال وشيوخ وشباب بتهمة الاتصال بالمحاصرين، ما شكّل في ما بعد عامل ضغط كبير على المحاصرين خوفًا على أُسرهم.

كانت الفروع الأمنية تتواصل مع المقاتلين أيضًا، فترسل إليهم رسائل تهديد ووعيد، ورسائل ترغيب أحيانًا. وكانت الاتصالات تنقطع في أوقات معيّنة، وفي ذلك دلالة على أن الأمر كان مدروسًا ومبرمجًا للإفادة منه.

كذلك استخدمت أجهزة النظام الإنترنت للاطلاع على أخبار الثوار من خلال متابعة حسابات كانت تنشر معلومات استباقية عن طرق الإمداد أو المعارك أو الحوادث التي تجري في المنطقة المحاصرة. فأنشأت الأجهزة الأمنية مئات الحسابات الوهمية لمحاربة المحاصرين، ونشر الفتنة بينهم. وشارك بعض أصحاب الحسابات الحقيقة في الأمر بسوء نية أو عن جهل، فنشروا تحركات الثوار وأخبارهم، ونشروا الفتنة بينهم أحيانًا، وافتروا عليهم مرات عدة. كما نُظّمت حملات مركزة ذات أهداف عبر مواقع التواصل الاجتماعي لبث الفتنة بين الإعلاميين أنفسهم، وبين المقاتلين وقادتهم، وبين المقاتلين ومناصريهم، وبين شخصيات محددة بالذات[2].

(2) شارك حساب باسم «أبو الحكم الشاطر» في الأمر حتى بت ترى أنه لا ينشر إلا ضد شخصيات محددة ويحرض الناس عليها. وكان يستثمر كل خطأ أو هفوة في المنطقة المحاصرة لدرجة تشعرك أنه منظم ومتفرغ. كما شارك حساب آخر باسم «محمد حمص» في بث الفتنة بين الكتائب بشكل=

انتشرت حسابات كثيرة وصفحات استغلت أخطاء الثوار وهفواتهم، كان بعضها ينشر معلومات صحيحة، لكن توقيت ذلك وظروفه كان يفيد النظام فحسب. وقد تبنّى بعضهم فكرة «تنظيف الثورة من الداخل» وفكرة «محاسبة الخونة»، فأنشأ حسابات وهمية، ونشر معلومات حقيقية وخاطئة في حالات أخرى. ولم تكن لديه معايير علمية تحكم ما يكتبه، فما ثمة معيار لمفردة «الخيانة» مثلًا، أو «التقصير»... إلخ. كما انتشر فكر «عدم السكوت عن الخطأ» حتى امتلأت صفحات الـ «فيسبوك» بالتُّهم التي لم يكن أغلبها يخضع لمنطق أو تحكيم سليم أو دليل، ما جعلها ساحة لبث الفتنة والشائعات، حتى إننا قرأنا فيها اتهام شخصيات معروفة بتضحياتها الثورية بتعاملها مع النظام أو مع قوى خارجية لقلب الثورة! وبذلك تحوّلت نعمة مواقع التواصل الاجتماعية التي طُوّعت في بداية الثورة لخدمة أهدافها، إلى نقمة وسوق للشتم وكيل التُّهم والتهرب من المسؤوليات، حتى إن بعض الناشطين توقف عن استخدام الـ «فيس بوك»، ولجأ إلى وسيلة غيره.

3- التسويات الأمنية

كان مجرد الحديث عن حدوث «تسوية أمنية»، أو أي اتصال مع النظام مهما يكن نوعه، يوازي الكفر عند الثوار. لذا، كانت مبادرة الأمم المتحدة التي نصت على إخراج المدنيين من المنطقة المحاصرة وإدخال مساعدات غذائية إليها، بمنزلة «حصان طروادة» أُدخل إلى قلعة حصينة نُقّيت من التسويات الأمنية. فمن شروط المبادرة أن يقوم الراغبون (البالغون من العمر 14 - 55 عامًا) في الخروج بتسوية أوضاعهم في مركز احتجاز[3] يخضع لرقابة الأمم المتحدة قبل الإفراج عنهم.

= منظم ومدروس. وكان بين من شاركوا في نشر الفتنة أشخاص في المنطقة المحاصرة، دفعهم إلى القيام بذلك كراهيتهم للثوار وتصرفاتهم، أو بسبب عدم تأييدهم للثورة في الأساس، وآخرون خارج المنطقة المحاصرة كانوا حانقين على الثوار.

(3) مركز الاحتجاز هذا كان مدرسة الأندلس الثانوية للبنات في منطقة الدبلان.

قبِل الثوار المحاصرون المبادرة للسبب نفسه الذي جعل أهل طروادة يقبلون هدية اليونانيين، فهم كانوا يرغبون في العيش بسلام. وكانت مبادرة الأمم المتحدة التي تمخضت عن مؤتمر جنيف 2 بمنزلة حل في ظل انسداد الأفق، فرأى بعضهم في هذه المبادرة فرصة لخروج المصابين وأصحاب الروح المعنوية المتدنية، وللذين باتوا أكثر اقتناعًا بأن بقاءهم في المنطقة المحاصرة لا جدوى منه، فكان هؤلاء جميعًا أول من خرجوا، وتبعهم آخرون بعد إعلان الأمم المتحدة انتهاء مدة تنفيذ المبادرة.

بعد مبادرة الأمم المتحدة، بدأت أفواج من الشبان تسوية أوضاعها في ظل وجود رقيب دولي. ولم يكن هؤلاء مخبرين أو متعاونين مع قوات الأمن والجيش، بل كان أغلبهم ممن ضحى وقدم وعمل في الثورة لأعوام ثلاثة، لكن أوضاع الحصار وتوالي الحوادث في المنطقة المحاصرة أزمت الأمور وقتلت الأمل. وجرى بفعل التسويات هذه إخراج أكثر من 500 شخص، بعد اشتراط تسليم قطعة سلاح، وأحيانًا قطعة سلاح وذخائر. وفي أغلب الحالات أجرت الفروع الأمنية تحقيقات مع الخارجين فحصلت على كنز من المعلومات مكّنها من اكتشاف أنفاق كانت معدّة للقيام بأعمال عسكرية كان يمكن أن تنقذ المنطقة من السقوط. واستمرت التسويات الأمنية فترة من الزمن، وكانت الفروع الأمنية تشجع المترددين من خلال اتصال معارفهم بهم وإبلاغهم أن الأمر إجرائي بحت.

استطاع أغلب الخارجين من الحصار بفعل تسويات أمنية أن يُفلتوا من قبضة النظام في وقت قصير، فيما احتجز النظام آخرين في فروعه ولم يُعرف مصيرهم في ما بعد. كما قامت قوات «الشبيحة» باعتقال آخرين من داخل مركز المراقب الخاص بالأمم المتحدة، ويُعتقد أن أغلب المعتقلين تعرضوا للاختطاف على أيدي «الشبيحة».

ثانيًا: اختراق صفوف النظام للحصول على الإمدادات

استطاعت كتائب في حالات نادرة اختراق صفوف الجيش و«الشبيحة» في مقابل المال، إذ كان «الشبيحة» يقدمون كل شيء لقاء مكسب مادي، وكان

بعضهم يفعل ذلك بدافع من نيات غامضة. لكن كان من يُكتشف أمره يتعرض للقتل، كما حدث عندما ألقيت جثث بعض الجنود الذين اكتُشف أمر تعاملهم مع الثوار بتقديم بعض المواد الغذائية إليهم. كما جرت موضعة عناصر انضباط من حزب الله في جبهات عدة لمراقبة عناصر الجيش و«الشبيحة» كي لا يقوموا بتهريب مواد غذائية إلى المحاصرين.

وكان حي جب الجندلي الحي الأقرب إلى مناطق «الشبيحة»، فقبِل كثيرون منهم إدخال مواد إلى المنطقة المحاصرة في مقابل المال. واقتصر التعامل في البداية مع «الشبيحة» في هذه المنطقة على تزويد المقاتلين بالسجائر. وكان الأمر يجري عن طريق تجار خاطروا بالتعامل مع «الشبيحة» من أجل الربح المالي، إذ كان بعضهم يذهب إلى الطرف الآخر من أجل إحضار «كروز» أو «كرتونة» سجائر. وكانت المواد المهربة تباع بمبالغ باهظة جدًا، إذ وصل ثمن كيلوغرام التبغ إلى أكثر من 500 ألف ليرة سورية، أو مليون ليرة سورية في بعض الحالات، على الرغم من أن ثمنه في الأوضاع العادية لا يتجاوز 10 آلاف ليرة سورية.

حاول المجلس العسكري مرارًا تنظيم إدخال السجائر، فأصدر ذات مرة أمرًا بحظر بيع السجائر أو شرائها، فاحتج المدخنون وطالبوا بإلغاء القرار، وهدد بعضهم بترك الجبهات، ما دفع المجلس الشرعي والعسكري إلى الاستجابة لهم. كما حاول المجلس العسكري، استنادًا إلى قضايا تتعلق بالمصلحة العامة، شراء جميع كميات السجائر المهربة إلى المنطقة المحاصرة بأسعار مقبولة وتوزيعها بالتساوي بين المدخنين، لكن التجار لم يسلّموا الكميات بالكامل، على الرغم من أن المجلس أرسل أكثر من مرة موفدين لضبط المنافذ التي تهرَّب منها المواد. وحاول قائد المجلس العسكري أن يكون المشتري الوحيد للسجائر، وأصدر قرارًا يقضي بأن أي عملية تهريب تجري من دون إذن مسبق سيعرّض القائمين بها لخطر إطلاق النار عليهم. واستطاع عبد القادر جمعة (بوصفه رئيسًا للمجلس العسكري في تلك الفترة) ضبط الأمر مدة قصيرة، ووزع الكميات على المدخنين، إلا أن التجار واجهوه باحتجاجاتهم، ضده وجرى تناول الأمر عبر صفحات التواصل الاجتماعي وعلى الطرقات. كما تصدى للأمر من كانوا يرون أن هذه أموال عامة ولا يجوز صرفها في هذا

الاتجاه، خصوصًا أن الأمر يكلّف مبالغ طائلة، فغادر بعض المتضررين من تنظيم الأمر مواقعهم في الجبهات، وارتفعت أصوات الوسطاء والمنتفعين، ما جعل الأمر يعود إلى نقطة الصفر.

حاول بعض المحاصرين شراء كميات من الطعام والذخائر من خلال «الشبيحة»، ونجحوا في ذلك، وجرى إدخال كميات لا بأس بها، لكن سرعان ما اكتُشف الأمر. وفي إحدى المرات اشتُريت كميات من الطحين واللحوم والمعلبات والمواد الطبية، ودُفعت في مقابلها مبالغ كبيرة، لكن اتضح أن العملية من تدبير فرع الاستخبارات العسكرية الذي سمم معظم المواد، لكن لم تسجل حالات وفاة بسبب تناول تلك المواد وإن أدت إلى حدوث حالات تسمم واسعة النطاق.

كان بعض «الشبيحة» لا يتردد في فعل أي شيء في مقابل المال، واستفيد من هذا الواقع في معظم الحالات. لكن الأمر كان في بعض الأحيان من تدبير القوى الأمنية بهدف اختراق الصفوف وإثارة البلبلة بين المقاتلين، كان يجري إدخال مواد سامة، أو قبض أثمان باهظة، أو إرسال كميات من الحبوب المخدرة في صناديق السجائر أو الطعام.

ثالثًا: الاستخبارات الدولية والتدخلات لضبط السلاح

كان تدفق السلاح إلى حمص في حدود تكاد تلامس الصفر دائمًا، علمًا بأن دول «أصدقاء سورية» كانت تَعِد بتقديم مساعدات عسكرية ونادرًا ما تفي. كان كل ما يجري في حمص المحاصرة يؤشر إلى أن على الثوار أن يصمدوا، لا أن يتمتعوا بقوة تجعلهم قادرين على تحرير المدينة. وقد تناقلت شخصيات معارضة قولًا على لسان وزير الخارجية الأميركي جون كيري: «إذا تحررت حمص فهذا يعني أن النظام انتهى»[4]. ويبدو أن أيًا من تلك الدول لم تشأ

(4) مقابلة أجراها الكاتب عبر الـ «سكايب» مع عبد الإله فهد، ممثل مجلس المحافظة في الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة، 4/ 8/ 2013.

أن يسقط النظام. ولم تكن الإرادة الدولية راغبة في أن يحكم الثوار سورية، فقد صرح وزير خارجية روسيا آنذاك سيرغي لافروف أنه لا يريد «نظام حكم سنّي»[5]. وكان العالم كله متفقًا على ضرورة التوصل إلى حل سلمي للمشكلة السورية من دون غلبة فئة على فئة، وكان لا يرغب في أن يلم بالطائفة العلوية التي أعلنت ولاءها المطلق لسياسات الأسد أي مكروه، ويخشى من ارتكاب الثوار مجازر ضد هذه الأقلية.

لقد كُفّت أيدي الدول الداعمة للثورة السورية عن تقديم عون بشكل كافٍ، وخف دعمها في منتصف العام الثاني للثورة بشكل كبير، في حين كانت دول أخرى ترغب في تقديم الدعم من خلال «مؤسسة الأركان» إلى الذين لا يتسمون بتوجهات دينية منهجية، وضمن شروط أخرى نادرًا ما كانت تتحقق؛ إذ كانت كتائب حمص المحاصرة معتدلة وتسعى لإسقاط النظام، ومنها الكتائب الإسلامية، لكن على الرغم من هذا لم يكن ثمة دعم يذكر.

في منتصف تموز/ يوليو 2013، الموافق لشهر رمضان، جمع أحد الداعمين مليون دولار لمدينة حمص المحاصرة، وسلّمها إلى لجنة في لواء الحق، إضافة إلى قائد المجلس العسكري في ذلك الوقت (أبو قصي زعيب). ورتّب مندوب اللواء صفقة ذخيرة وسلاح نوعي مميز بأسعار ممتازة لإدخالها إلى ريف حمص. وجرت الصفقة عن طريق وسيط أجنبي اختفى فجأة بعد بدء العملية بصورة اعتيادية. حدث ذلك في وقت حشد فيه النظام في المدينة قوات كبيرة من حزب الله كانت تشارك في المعركة بالجنود والعتاد والتخطيط، فأيقن الثوار ضرورة حصولهم على أسلحة جديدة متطورة، وكانوا يعوّلون كثيرًا على هذه الشحنة لفك الحصار عن المدينة.

في نهاية أيلول/ سبتمبر أبلغ مندوب لواء الحق قادة الكتائب والألوية في المنطقة المحاصرة أن شحنة السلاح لن تصل، بدليل أن الوسيط لا يرد على اتصالاته، وأنه يظن أن الأمر برمّته عملية احتيال. لكن عرف بعد مزيد من

---

(5) طارق الحميد، «الملا لافروف،» الحياة، 22/ 3/ 2012.

التنقيب أن الشحنة أوقفتها دولة أجنبية، بناءً على طلب دولة أخرى، فاستفسر كثيرون عن الأمر ولم يتمكنوا من معرفة السبب الحقيقي لذلك، أو التحقق من المعلومات الواردة، في حين رأى بعض المطلعين أنه لن يسمح لذلك النوع من السلاح بالوصول إلى حمص.

في 25 أيلول/ سبتمبر 2013 سُرّبت محادثة عبر الـ «سكايب» على صفحات التواصل الاجتماعي بين آنسة حمصية تسمى رزان شلب الشام وضابط استخبارات أميركي يُطلق على نفسه اسمًا مستعارًا هو أبو رامي الإدلبي. وكان ملخص المحادثة أن الاستخبارات الأميركية لا تريد أن تصل شحنة السلاح إلى حمص من أجل عدم الإخلال بالتوازن في المنطقة، ولأنهم «لا يرغبون في حدوث مجازر بحق الأقلية». وبدا من خلال المحادثة أن رزان تتواصل مع الضابط الأميركي نيابة عن هيئة الأركان بحسب المحادثة، فحدثت في حمص جلبة كبيرة، وأدرك الجميع أن شكوكهم في شأن اعتراض استخبارات أجنبية شحنة السلاح كانت حقيقية. فاستوضح الثوار حقيقة الأمر من اللواء سليم إدريس، من خلال العقيد فاتح حسون قائد جبهة حمص، فاتصل اللواء سليم إدريس[6] بالثوار - وكان برفقته جميع قادة الجبهات ليؤكدوا كلامه - وأكد عدم معرفته بالأمر، كما أكد أن رزان لا تعمل معه، ولم يقابلها سوى مرة واحدة، وكان مما أخبر به الثوار أنه أرسل في مرات عدة شحنات سلاح إلى حمص، لكن كان السلاح يُسرق أحيانًا أو تحصل عليه جهة أخرى بسبب وعورة الطريق. ثم تعهد بإرسال شحنة سلاح صغيرة إلى حمص و100 ألف دولار أميركي من خلال قائد الجبهة المنشغل في معركة «قادمون يا حمص» في ريف حماة الشرقي. اتصل الثوار بالمتابعين المسؤولين عن الشحنة (أسامة الحمصي وأبو عبد الله)، فقدموا ملخصًا لما حدث، وأكدوا شكوكهم في ما ورد في المحادثة قد يكون حقيقة وواقعًا، لكن ما من إثبات على ذلك!

---

(6) مقابلة أجراها الكاتب عبر الـ «سكايب» مع اللواء سليم إدريس، قائد هيئة أركان الجيش الحر، 29/ 9/ 2013.

حاول الثوار طرق باقي الأبواب في الأركان، لمعرفة صدق النيات هناك تجاه حمص وثوارها، فأُجريت اتصالات برئيس المجلس العسكري العقيد بشار سعد الدين، فأكد الأخير أن ذخائر كانت مخصصة لحمص أُرسلت أكثر من مرة، لكنها لم تصل، ولا سيما الكميات الكبيرة منها، وحمّل ناقليها مسؤولية عدم وصولها، وتذرع بصعوبة الطريق في أحايين أخرى، وبعدم وفاء الدول بوعودها في أغلب الأوقات.

أمّا رزان شلب الشام، فنفت وجود أي علاقة لها بالموضوع، وأصدرت بيانًا أوضحت فيه الأمر، وأعلنت استعدادها للخضوع للمساءلة. كما أصدرت هيئة الأركان بيانًا[7] بعنوان «الرد على الأكاذيب»، ورد فيه رد على المحادثة المسربة، لكنه لم يقدم أي تفسير لعدم وصول شحنة السلاح. وبقي كثير من الأسئلة من دون إجابات.

(7) انظر الملحق: «رد المكتب الإعلامي لرئيس الأركان على حملة الأكاذيب والافتراءات»، ص 191 من هذا الكتاب

الفصل السادس

العنصر البشري في المنطقة المحاصرة

أولًا: القيادات، المقاتلون، المدنيون

ابتلع العمل العسكري في حمص المحاصرة أغلب أشكال النشاط الأخرى. وبسبب عدد المدنيين المنخفض في المنطقة، كان الثقل الأكبر لصنع القرار في يد الكتائب المقاتلة التي تكوّنت، من حيث التركيب البنيوي، من ثلاث طبقات رئيسة:

- **القادة:** هم رؤساء الألوية أو الكتائب الكبيرة، ويرجع إليهم القرار السياسي والتعبير عن المواقف ورسم السياسة العامة للكتيبة، علاوة على المشاركة في الاجتماعات لاتخاذ القرارات التي تتعلق بالمنطقة المحاصرة، ولهم علاقات بمؤسسات دعم مالي وأصحاب القرار في مناطق أخرى.

- **التنفيذيون والإداريون:** التنفيذيون هم قادة الجبهات والفصائل، وهم مقاتلون يتمتعون بشخصيات قيادية، ويعملون على وضع الخطط والإشراف على تنفيذها، ويعدّون من قيادة الصف الأول. أمّا الإداريون، فمهماتهم تنفيذية إدارية كإدارة المخازن، أو الأموال، أو الإعلام، أو التنظيم.

- **المقاتلون والفنيون:** هم الشبان المرابطون في الجبهات، يقومون بأعمال الحراسة الدفاعية، وأعمال الاقتحام الهجومية، وكذلك الحفر وتعزيز الدفاعات والأعمال اللوجستية والفنية.

واجهت المنطقة المحاصرة مشكلة في عدد كل واحدة من هذه الفئات الموجودة ونوعيتها، فطوال عامين كاملين، وعلى الرغم من أن عدد الموجودين أقل من المطلوب، فقد تناقصوا بشكل كبير لأسباب، منها:

- سقوط 1200 شهيد، أكثرهم من العسكريين من مختلف الطبقات.

تحتاج إلى عقليات دينامية تتفاعل مع الحوادث اليومية. وغالبًا ما وُجدت هذه العقليات بين شبابها، إلا أن انخفاض الأعداد طوال الفترة الماضية جعل القيام بالمهمات أمرًا صعبًا للغاية. يضاف إلى ذلك التأثير الشديد الناجم عن عدم تجدد طاقة المقاتلين الذين بقوا في المكان نفسه عامين في ظل الأوضاع الصعبة.

ربما كان أبرز المشكلات في حمص المحاصرة مشكلة الكفاءات العلمية وقلة وجودها مع شدة الحاجة إليها؛ فإجراء التجارب في حمص المحاصرة أو ارتكاب خطأ ما قد يكلّف أرواحًا. وكان لا بد من التطلع إلى استقبال مثل هؤلاء.

كان بين الشباب المحاصرين أفراد أكفاء ذوو تأهيل علمي، وآخرون من أصحاب الحرف وفنيون أثبتوا أنهم قادرون على صنع الكثير إذا ما توافر لهم الوضع الملائم للإبداع والعمل.

كان أغلب الأشياء في حمص المحاصرة مبتكرًا وجديدًا كليًا، ويدل على عقليات المحاصرين الدينامية والراغبة في التأقلم مع الوضع. لكن على الرغم من ذلك، افتقدت حمص كثيرًا من الاحتياجات العلمية ومن الفنيين والمقاتلين.

قدّم إحصاء أُجري في منتصف الحصار[1] (آذار/مارس 2013) مؤشرات مؤلمة إلى عزوف الكفاءات العلمية عن المشاركة في العمل، ما جعل عددًا من الناشطين يطلقون صيحاتهم تجاه الشباب الحمصي للمشاركة. ونُظمت حملات اشتهرت كثيرًا، كحملة عائدون وحملات التدريب ومعسكر حمص، وغيرها.

ربما كانت المنطقة المحاصرة بيئة طاردة لكفاءات وخبرات، بسبب أوضاع الحرب اليومية التي كانت تعيشها، ولكن كيف للمنطقة أن تعيش

(1) أُجري الإحصاء لأغراض عسكرية شمل المقاتلين ونقاطهم وتعليمهم وأمورًا أخرى، وهذه هي المرة الأولى التي يُنشر جانب منه.

من دون شرايين ودماء؟ وكيف لها أن تستمر وتصمد أكثر من دون أبنائها المؤهلين للعمل في الشؤون العسكرية والطبية والشرعية والإدارية والهندسية وغيرها؟ أحاول في هذه الصفحات أن أتناول الفجوة التي أحدثها من غادروا من أبناء حمص. وكنت أجريت إحصاء بعد عام على مرور الحصار تقريبًا (أي في منتصف الحصار)، وها أنا أنشر هذه الأرقام أول مرة:

- كان في المنطقة المحاصرة كتائب وغرف عمليات وجبهات، ومؤسسات إعلامية وشرعية وطبية، لكن كان لا بد من توفير الأشخاص المطلوبين للعمل في هذه الاختصاصات؛ ففي بداية الحصار توفي أكثر من ستة أشخاص بسبب عدم وجود طبيب جراحة عامة. كما فقد عدد كبير من الأشخاص قدراتهم على الرؤية بسبب عدم وجود طبيب عيون، كما اضطر الأطباء العامون إلى القيام بعمليات توليد لنساء وضعن أطفالهن في أثناء الحصار.

- في الحقل العسكري، كان ثمة عدد قليل جدًا من الضباط في حمص متوزعين في مختلف المناطق، بل كان أغلبهم لا ينتمي إلى كتيبة أو لواء، ولم تكن بقية الحقول العلمية أحسن حالًا.

ناشد ثوار حمص أبناء المدينة بالعودة إليها للعمل فيها والمساهمة في حمايتها، لكن الاستجابة كانت ضعيفة للغاية، وكانت الكفاءات العلمية بالكاد تكفي تغطية جزء يسير من العمل الملقى على عاتق الجميع، ما اضطر الشخص الواحد إلى القيام بأعمال أربعة أو خمسة أفراد، وقد ينهكه التعب والجهد فيصبح مستهلكًا غير قادر على التفكير أو الإبداع، ولا سيما في ظل الأوضاع التي سادت المنطقة، حتى أن الحِمل أصبح يُلقى على غير صاحب الاختصاص.

نورد في الأشكال التالية عدد الشهادات الثانوية والجامعية وما فوقها، والتخصصات بحسب الحقل المطلوب في المدينة المحاصرة:

كما سبق أن ذكرنا مرارًا، كانت تكلفة التجريب أرواحًا في معظم الأوقات، أكان ممارسو التجريب وجهاء أم قيادة غير متخصصة أم طلاب العلم الشرعي أم عاملين في الحقل الطبي أو الإداري. وكان معظم المشاركين في الثورة من مواليد التسعينيات، ما يعني أنهم كانوا حديثي عهد بالحياة يفتقرون هم أنفسهم إلى الموجّه والمنبّه والمرشد.

رابعًا: أصحاب الخبرة العسكرية

مع بداية العمل العسكري، كان أصحاب الخبرة العسكرية من الضباط والعسكريين المنشقين عن النظام، أو من متدربين سوريين شاركوا في حرب العراق أو لبنان أو أفغانستان أو غيرها.

كان عدد الضباط المنشقين في حمص ممن بقوا فيها قليلًا للغاية، وخشي المقاتلون التعامل معهم في البداية لأسباب أمنية، ومع أن منهم من أثبت صدقه وحسن نياته، فإنه لم يُستفد منهم بالشكل المطلوب. وكانت ذريعة المقاتلين أن هؤلاء لا يجيدون حرب الشوارع والأبنية، وأنهم يطلبون إمكانات تسليح غير متوافرة لدى الثوار.

أثبت بعض الضباط أنه قادر على تحمل المسؤولية ويمكن الاعتماد عليه؛ فقد قام الملازم أول عبد الرزاق طلاس بدور بارز في تأهيل الثوار عسكريًا في بداية العمل العسكري في كلٍّ من بابا عمرو والخالدية، كما كان للملازم أسامة العلاوي دور رائد في تكوين مجموعات عسكرية على أسس علمية، وقد استشهد في جبهة جورة الشياح في بداية الحصار.

كما شكّل ضباط آخرون مجموعات عسكرية، لكن ضعف التمويل وعدم وجود جهة مركزية تعوّد الضابط على وجودها، جعلا أداءهم ضعيفًا، وجعلاهم يحارون في أغلب المواقف. وقد غادر معظم الضباط المنشقين إلى خارج سورية، كما أراد أغلب الضباط أصحاب الرتب الكبيرة أن تكون لهم مهمات إدارية بعيدًا عن الميادين والحرب، ما جعل الاستفادة من خبراتهم أمرًا صعبًا.

من ناحية أخرى، شارك عدد من السوريين في الدفاع عن العراق إبان الاحتلال الأميركي، واكتسبوا خبرة من دورات تدريبية نظرية وأخرى عملية. كما شاركت قلة من أهل حمص في حروب متعددة في لبنان وأفغانستان، وأغلبها من الإسلاميين الجهاديين الذين كان لهم دور كبير في تدريب المقاتلين على استخدام السلاح والألغام والتكتيكات العسكرية.

كان يعاب على الجهاديين المدربين - من وجهة نظر المحاصرين - أنهم لا يحبون الحصار، وأنهم غالبًا ما تبنوا نظرية حرب العصابات لأن التمترس والصمود في المدن مهلكة للأموال والأبدان، لذا غادر معظمهم المدينة، فيما بقيت أعداد قليلة للغاية يمكن حصرها في أصابع اليد الواحدة[2]، منهم من استشهد في الجبهات، ومنهم من منعته إصاباته المتكررة من المشاركة الفاعلة.

خامسًا: المدنيون بيئة حاضنة

دفع الجميع ثمنًا للثورة، وضحى المدنيون بالكثير في سبيلها، فما من منزل إلا وأحد أفراده معتقل أو شهيد أو جريح أو نازح. لقد شكّل المدنيون بيئة كاملة عاشت الثورة داخلها. واتصفت هذه البيئة بالترحيب والتأهيل والتضحية والعطاء في بداية الثورة، لكنها سرعان ما انخفضت فيها تلك الروح الباعثة والمشجعة والمعطاء، ما ساهم في انخفاض معدل الزخم الحماسي الذي بدا واضحًا في بداية الثورة. وربما كان للمعركة نفسها أثر في ذلك؛ فقلة الإنجازات في حمص، وخيبات الأمل المتكررة بخسارة المناطق جعلتا من المدنيين أصحاب نظرة غير متفائلة تجاه الحوادث، وكان لهذا دلالات، إذ كانت هذه البيئة تموج وترتفع في زمن الأخبار الجيدة وتنخفض وتركد في زمن الأخبار السيئة.

ربما كان للثوار المسلحين دور في إضعاف هذه البيئة، بسبب ممارسات خاطئة لم يحسبوها، وبسبب ضعف جهازهم المستجيب لردات فعل تلك البيئة الحاضنة. فقد قام بعض المحسوبين على الثورة بسرقة المنازل، وتخريب

(2) من أصحاب الخبرة في العمل العسكري، الشاب عبد العزيز المصري (استُشهد) الذي كان حافظًا للقرآن وكتب الحديث. قاتل في العراق ومناطق أخرى، وهناك أيضًا أبو بكر السعدي.

الممتلكات الخاصة، وبتصرفات سلوكية لا تتلاءم مع المجتمع الحاضن، مثل معاكسة الفتيات والشتم في الأماكن العامة، وأحيانًا القيام بعمليات استعراضية تدل على سلوك مَرَضي.

لم يكن هؤلاء كثرًا، بحسب الثوار وقياداتهم، لكنهم أضروا بالثورة وكانوا عامل تململ من الثوار في ظل الأوضاع الصعبة، بحسب المدنيين والبيئة الحاضنة. لكن على الرغم من ذلك، ظهرت صور مشرقة لبعض المقاتلين تدل على قمة الإخلاص والعطاء في تعاملهم مع المدنيين، منها، على سبيل المثال لا الحصر، عشرة شهداء في منطقة جورة الشياح كانوا مرابطين في الشوارع المقابلة لحي الغوطة الذي يعج بالمدنيين، فكانت تظهر الدبابة من حي الغوطة فلا يتحرك المرابطون لتدميرها بسبب وجود منازل مدنيين خلفها، حتى إنها كانت تقصفهم فتُرديهم قتلى أو جرحى ولا يتحركون حفاظًا على أرواح المدنيين.

ولنا في هذا الشأن رأي هو أن الثورة تقوم على جملة تفاعلات وعناصر تتمازج في ما بينها لتشكيل نظام ثوري تختلف معالمه تبعًا للمنطقة الثائرة، وإن كانت خصائصه الأساسية تتشابه في ما بينها، وتبقى هذه العناصر سابحة في بيئة تتفاعل معها وتتأثر بها وتؤثر فيها.

بغضّ النظر عن جملة هذه العناصر ومكوّنات هذا النظام الثوري، ومؤسساته الفرعية (سياسية أو شرعية أو عسكرية أو مؤسسات دعم أو مؤسسات أيديولوجية... إلخ)، فإن هذه العناصر تتفاعل في ما بينها لتظهر بصورة إجمالية كلية في شكل نظام ثوري توجّه إليه مجموعة انتقادات ويتسم بمجموعة مزايا وخصائص. فهذه العناصر لا تعيش في فراغ بكل تأكيد، بل تحتضنها بيئة ما بحسب المكان. ولهذه البيئة ردات فعل وملاحظات.

تتأثر النُظم بشكل عام بالبيئة الحاضنة، وتُعدّ التغذية الراجعة (ردات الفعل) تجاه تصرفات هذه النظم وسلوكها مؤشرات ذات قيم دلالية على طريقة عمل النظام. فإذا توجهنا بأنظارنا نحو النظام الثوري منذ بداية الثورة حتى اليوم، نجد أنه استجاب لردات فعل البيئة الحاضنة في مرات معينة، لكنه لم يعطِ أي أهمية لردات فعل أخرى كان من الضرورة أن يوليها مستوى عاليًا من الأهمية.

لقد استجابت العناصر الثورية لتراجع المستوى الاقتصادي الناتج عن الثورة، وحاجة البيئة الحاضنة إلى الغذاء والكساء والمنازل، وأحيانًا النقود، فتوسع النشاط الإغاثي، بل إن بعض الكتائب والمجالس العسكرية والثورية بدأت تستجيب بإنشاء فرع إغاثي تابع لها، أو توزيع مرتبات شهرية أو شبه شهرية بين أسر المقاتلين أو المدنيين. كما استجابت العناصر الثورية بإنشاء أجهزة لحل النزاعات في بعض المناطق بناءً على طلب الجمهور، وقامت في بعض الأحيان بإنشاء مؤسسات ذات طابع مدني على أساس ردات فعل الجمهور الحاضن للنظام الثوري، لا على أساس استراتيجيا ثورية تهدف إلى إيجاد بديل للنظام المراد إسقاطه. لكنها بقيت في كثير من الحالات ساكنة أمام ردات فعل الجمهور على التصرفات الطائشة لبعض الثوار، فلم تنشئ مؤسسة أو كيانًا للمحاسبة الثورية، ما جعل هذه المشكلة تتفاقم بشكل كبير، وأصبحت الحاضنة - أحيانًا في بعض المناطق - تتمنى عودة مؤسسات النظام أو مؤسسات تنظيم «داعش» التي استجابت للجمهور في هذه الناحية. كما لم تستجب لردات فعل الجمهور تجاه معالجة الآثار الطويلة الأمد الناجمة عن الثورة، مثل قضايا الضغط النفسي الممارس على الناس، أو تعويض فقدان أحد أفراد الأسرى؛ فقد جرت في بعض الأحيان محاولات خجولة من الجهاز الشرعي (المكوّن الشرعي) لمعالجة هذه القضايا، لكنه لم يكن صاحب استراتيجيا طويلة الأمد تتعلق بالتربية الإيمانية مثلًا لدرء ردات الفعل في هذا الجانب.

ملخص الأمر أنه لا بد للعناصر الثورية الراغبة في الاستمرار في العمل الثوري أن تدرس الآثار الراجعة (ردات الفعل) الناشئة عن البيئة التي تعمل فيها هذه العناصر، وأن تحاول الاستجابة لهذه الردات، سواء على مستوى الخطاب الإعلامي، أو على مستوى السلوك، أو على مستوى العلاقة.

سادسًا: الفجوة بين الكتائب على اختلاف المناطق

انشغلت الكتائب العسكرية في المناطق المختلفة في سورية بالأعمال القتالية في مناطقها، ونادرًا ما عاش المقاتلون أيام بحبوحة واستراحات؛

فالنظام كان يقصف مناطق الثوار يوميًا، أو يشن حملات عسكرية يومية، ما جعل الكتائب تنشغل في مناطقها بشكل دائم.

كانت كل كتيبة تشعر بأنها تقدم أقصى ما لديها في مقابل عدم تقدير عمل الكتائب الأخرى التي ترى أنها مقصرة في عمل ما، فالظروف أكبر من أن تعبّر عنها الكلمات. ويكاد وضع أفضل كتيبة عيشًا لا يطاق، فالجميع يبذل ويقدم الروح والدم، لذا شكلت هذه المشاعر بين الكتائب منافسة محمودة في أوقات كثيرة، لكنها انقلبت في أحيان أخرى إلى نفور وخلافات وتفرقة.

كانت أوضاع جميع الكتائب في مناطق حمص كلها أصعب من أن توصف، لكن المحاصرين كانوا يرون أن أوضاعهم خاصة جدًا؛ ففي حين أنهم كانوا يبحثون عن طلقات عشر أو عشرين، فلا يكاد المقاتل يجدها، كانت كتائب في مناطق أخرى تتكلم على طلقات بالآلاف، بل إن بعض الكتائب ما عادت تحسب لطلقات الكلاشنكوف حسابًا، وصارت مشكلاتها في كيفية الحصول على طلقات لرشاشات من عيار 23 التي لا يعرفها ثوار حمص المحاصرة إلا من خلال شاشات التلفزيون، ومن خلال ما يستخدمه الجيش ضدهم. على سبيل المثال، كانت المعركة الهجومية في المنطقة المحاصرة لتحرير منطقة كاملة تكلفهم بين خمسة آلاف إلى عشرة آلاف طلقة من نوعين فقط، بينما كان التجهيز لمعارك فك الحصار عن حمص يتطلب من الكتائب التي تريد المشاركة أرقامًا تصل إلى نصف مليون طلقة من مختلف الأنواع في المتوسط! إضافة إلى أسلحة نوعية نادرة.

سابعًا: ظروف العمل

إنها الحرب، لكنها ليست أي حرب. إنها حرب استُخدم فيها ضد المحاصرين جميع أنواع الأسلحة، من رشاشات ثقيلة ودبابات ومدرعات وصواريخ وطائرات حربية في بقعة جغرافية ذات مساحة صغيرة نسبيًا.

أمّا المحاصَرون، فكانوا في أغلبيتهم من فئات عمرية (عشرينية) لا تمتلك كثيرًا من خبرات الحياة، وكانوا يواجهون تجربتهم الأولى التي تدول على الأمم

كل مئة عام، وربما لا تدول، في ظل شح الموارد العسكرية والغذاء وانقطاع الخدمات.

علاوة على هذه المشكلات كلها، هناك هموم العائلة التي ربما اعتُقل من يعيلها، ولم يبقَ لها سوى هذا المقاتل في جبهة في حمص المحاصرة. وربما نزحت إلى بلد آخر وتشرّدت في المخيمات، وربما استُشهد أخ للمقاتل أو أب أو أم. في معظم الحالات، كانت تلك أوضاعًا لا تطمئن المقاتل إلى مصير أسرته.

في هذه الأوضاع كان على المقاتل الناشط التنفيذي القائد المدني العمل في سبيل تحقيق الهدف ضمن ظروفه وإمكاناته.

ثامنًا: الروح المعنوية

تعرض الثوار في المنطقة المحاصرة لخيبات أمل متتابعة؛ خيبات أمل نتجت من سقوط مناطق في محافظة حمص، مثل بابا عمرو والقصير وقرى القصير وغيرها، وخيبات أمل تتعلق بضعف الإنجازات المقدمة من جانب كتائب حمص. كما أنهم كانوا بسبب شعورهم الضمني بأنهم وحيدون في معركة ضخمة، وبإمكانات بسيطة، ينتظرون مؤازرتهم في كل يوم لفك الحصار عنهم، إلا أن ذلك لم يحدث، وزاد من خيبة أملهم الخلافات التي وقعت في شمال سورية، بعد أن عولّوا على ثوار الشمال كثيرًا.

يضاف إلى تلك العوامل كلها تشتت ذهن الثائر في الحصار وتفكيره في أهله وأسرته الذين تركهم قبل أكثر من عامين، وربما ما عاد يسمع عنهم شيئًا أو ربما فقدهم، أو فقد أحدهم نتيجة تعرضه لاعتقال أو قتل.

تضافرت تلك الأوضاع مع الجوع الذي شكّل شعورًا يوميًا ودائمًا، فلا يستطيع أحد إسكاته، كما لا يستطيع أن يسكت أي سبب آخر يجعل المنطقة المحاصرة بالنسبة إليه مكانًا غير قابل للعيش، وأنه لا بد من التغيير والتفكير في الخروج من المنطقة التي بات من المستحيل العيش فيها.

الفصل السابع

العلاقات الخارجية في حمص المحاصرة

لا نقصد هنا تناول حمص المحاصرة بوصفها كيانًا أو جغرافيا مستقلة، لكن نود تناول ما كان خارج الحصار، حيث أجبرت أوضاع الحصار المنطقة على العيش في عزلة، ومنحتها طابعًا وخصائص مميزة. لكن على الرغم من هذا، كان التواصل مع المناطق والمؤسسات خارج المنطقة المحاصرة متاحًا من خلال وسائل الاتصالات.

كان لأغلب الكتائب مراكز خدمات أو امتدادات في الريف الحمصي أو في مناطق أخرى. وكانت حمص المحاصرة تشكل نواة هذه الامتدادات وإدارة لها. فعلى سبيل المثال، كانت إدارات لواء الحق وكتائب أحفاد خالد والمرابطون وغيرها موجودة في المنطقة المحاصرة. وكان التواصل اليومي في ما بينها يتطلب ساعات. وكانت مجموعات الاتصال عبر الـ «سكايب» أبرز وسائل الاتصال تلك. كما كان للناشطين اتصالات يومية بالإعلام ومؤسسات التوثيق، وكانت هذه الاتصالات تُجرى عن طريق هواتف الثريا أو البيغان أو أجهزة الإنترنت الفضائية.

نتناول هنا علاقة المنطقة المحاصرة بكل من الجهات الآتية:

أولًا: الداعمون

كان أبناء حمص في الخارج أساس دعم الكتائب والمؤسسات التي كانت في حمص المحاصرة، والتي كانت تتلقى دعمها من أبنائها في المقام الأول. كما كان لطلاب العلم الشرعي في الخارج الدور الأبرز في توفير الدعم، ولا سيما طلاب العلم الشرعي المقيمين في دول الخليج؛ إذ أسّس هؤلاء مؤسسات عدة لدعم المحاصرين، وكان الدعم يخضع لتقويمهم للأمور كما كانت تجري على الأرض، وكان المصدر الأبرز والأكبر. وعلى الرغم من أن

جزءًا كبيرًا منه كان يصل بشكل فردي إلى كل كتيبة أو مؤسسة على حدة، فإن مؤسسة الأركان والمجلس العسكري في المحافظة وجبهة حمص، حاولا - وفق إمكاناتهما - تقديم الدعم وتوجيهه بما يتلاءم وأهداف الثورة. كما كان ثمة مؤسسات أخرى قدمت الدعم في المجال الإغاثي والطبي والعسكري، مثل صندوق إنقاذ حمص، ومؤسسة وطن، ورابطة حمص في المهجر، والمنتدى السوري الاقتصادي الذي ساهم في دعم كتائب مختلفة في المحافظة، وجمعية الرحمة، وهيئة أهل الشام، وكذلك هيئة حماية المدنيين التي قدمت دعم عسكريًا كبيرًا إلى الكتائب المقاتلة في حمص.

كانت عمليات الدعم منذ بداية الحصار تجري بشكل منفصل، وكانت كل مجموعة تدعم كتيبة أو مؤسسة ما؛ فعلى الرغم من تأسيس صندوق مشترك بإشراف مجلس التنسيق العسكري في حمص المحاصرة، فإن هذا الصندوق لم يتمكن من توحيد الدعم كما هو مطلوب، فلم تسلّم الكتائب إليه مدّخراتها المالية أو مواردها، كما لم يتعاون مقدمو الدعم معه، فبقيت موارده شحيحة.

مع بداية عام 2014 (وقت متأخر جدًا)، استجاب بعض طلاب العلم الشرعي ورجال الأعمال في الخارج لدعوات عدة بتوحيد جهد الدعم، وقرروا إنشاء هيئة عليا لتوحيد الدعم. واجتمعت الهيئة في منتصف نيسان/أبريل من العام نفسه لانتخاب أمانة عامة وهيئة رئاسية، كان أبرز من فيها الشيخ ممدوح جنيد، الدكتور الشيخ عبد الكريم بكار، والدكتور الشيخ ياسر المسدي وغيرهم. غير أن تكلفة العمل العسكري كانت أكبر من أن تتحملها هذه المؤسسات مجتمعة، علاوة على أن أعداد المتضررين بلغت مئات الآلاف في المحافظة، ما جعل العمل الإغاثي والطبي يتطلب الكثير من الأموال. وعلى الرغم من وصول مبالغ كبيرة من المال إلى شخصيات عامة، كان أغلبها من طلاب العلم الشرعي، فإن تلك الشخصيات التي كان يعوّل على أمانتها لم تكن تتمتع بالقدرة على إدارة الأموال، ولم تكن لديها الكفاءة والرؤية لصرفها، لذا كانت مخرجات الصرف ضعيفة، فكانت نفقات أكثر من كونها استثمارات في دعم الثورة.

علاوة على ذلك، كان الدعم يقدم في كثير من الحالات إلى الكتائب لتبنّي منهج معيّن، كالمنهج السلفي طمعًا في الدعم الخليجي، فشاعت المزايدات للحصول على مزيد من الدعم. ولا نبالغ في القول بأن الدعم فرّق الصفوف في كثير من الحالات ولم يجمعها.

ثانيًا: المجلس الوطني والائتلاف الوطني

أُلِّف المجلس الوطني ليكون جسمًا سياسيًا للثورة السورية، لكنه بقي متواضع الإنجازات لأسباب عدة. وكان السوريون أطلقوا على جمعة من أيام الجمعات عبارة «المجلس الوطني يمثلني»، تعبيرًا منهم عن تقبلهم له في بداية الثورة، وأغلب الظن هو أن سبب ذلك التقبّل يعود إلى عدم بروز أيديولوجيات بعض العاملين في الثورة في تلك المرحلة. وكان المجلس الوطني سعى لاستيعاب عناصر كثيرة من أهل حمص، ولا سيما الشباب، فضم إليه عددًا كبيرًا منهم، مثل نجاتي طيارة وسهير الأتاسي وبرهان غليون (الرئيس الأول للمجلس) وديمة موسى وعمار المسدي وعمر إدلبي وواصل الشمالي، وغيرهم. وبقيت هذه العناصر في المجلس الوطني من دون أن يكون لأغلبها تأثير أو فاعلية. وانحسرت مساعدة الأفراد لحمص ضمن مستوى دائرتهم وتأثيرهم، ولم تتأتَ من وجودهم في المجلس. وكانت مساهمة المجلس الوطني في دعم حمص بسيطة وقليلة الفاعلية، وكان من أسباب ذلك تخاذل الدول التي وعدت بتقديم الدعم ولم تفعل.

في نهاية عام 2013، جرى عبر الـ «سكايب» لقاء بين قادة الكتائب والألوية في حمص المحاصرة وجورج صبرا، رئيس المجلس الوطني السوري آنذاك، وكان صاحب نَفَس ثوري ومتمسكًا بالمبادئ؛ لكن لم تكن لديه قدرة على التحرك في مسألة حمص. وقد صرح لهم بالأمر، وأوضح لهم أن المجتمع الدولي لا يفي بوعوده والتزاماته تجاه سورية، وبالتالي فإن المجلس الوطني لا يملك القدرة على تقديم الدعم المادي أو السياسي إلى المحاصرين في حمص في هذه المرحلة، وأن جل ما يمكنه القيام به متابعة نهج الثورة والتمسك بمبادئها.

أمّا الائتلاف الوطني، فكان له دور أكبر في تقديم الدعم إلى المحاصرين في حمص، وكان له جهد سياسي ومادي وإعلامي في مؤازرة المحاصرين، ومن ذلك، على سبيل المثال:

- تقديم تقارير عن أوضاع حمص إلى حكومات دول عدة. كما أنه أثار مسألة حمص في مجلس الأمن أكثر من مرة، وأدرجها في قائمة التفاوض في مؤتمر جنيف 2، وناقشت وفوده وضع المدينة والمحاصرين فيها في الزيارات التي قامت بها إلى الدول ومع المؤسسات، إلا أن نتائج ذلك كانت محدودة، وكان الفيتو الروسي بالمرصاد، فحال دون تحقيق أي اختراق في المواقف.

- ألّف الائتلاف أكثر من لجنة لدراسة وضع حمص. ومن هذه اللجان خلية الأزمة التي شكّلت لفك الحصار عن حمص، ضمت أبو سارية وأسامة العائد وواصل الشمالي وسهير الأتاسي وأبو سليم... إلخ، ووُضعت في تصرفهم إمكانات مادية. لكن دور اللجنة تحوّل من إدارة خلية أزمة إلى مراقبة توزيع الموارد. ولم تحقق هذه اللجان أهدافها، ولو جزئيًا في أغلب الأوقات. ويمكن ردّ أبرز أسباب فشل هذه اللجان إلى أن معظم أعضائها كانوا يخشون من اتهامهم بالسرقة أو الفساد في توزيع الأموال، أو اتهامهم بالتقصير والخيانة في حال اتخاذ قرارات (كانت هذه التُّهم شائعة في صفوف الناشطين والخصوم السياسيين). وكان معظمهم حريصًا على سمعته أكثر من حرصه على الوضع في حمص، ويخشى تحمّل المسؤولية، ربما لحسابات مستقبلية.

- شكلت وحدة الدعم والتنسيق موردًا إغاثيًا مهمًا لمناطق مختلفة في حمص. وكانت تجري اتصالات بمؤسسات على الأرض، مثل المجلس المحلي والجمعيات الإغاثية، ولم يكن لها اتصال رسمي بالمنطقة المحاصرة، لعدم قدرتها على إدخال المواد الإغاثية.

- وحدة المجالس المحلية: كانت وحدة المجالس المحلية كتلة ممثَّلة في الائتلاف الوطني، وكان لها مصادر تمويل تحولت إلى تمويل مشروعات خدمية في معظم الأوقات من خلال المجلس المحلي لمحافظة حمص الذي ساهم في دعم المنطقة المحاصرة أكثر من مرة.

كان لممثّل حمص في الائتلاف، عبد الإله فهد، دور في دعم ملف حمص المحاصرة، وقد أجرى اتصالات بدول عدة. وعلى الرغم من أنه تمكن من توضيح صورة الأوضاع لهذه الدول، فإن أي اختراق في الموقف لمصلحة فك الحصار أو تحسين الأوضاع لم يتحقق.

جدير بالذكر أنه لم يكن للمنطقة المحاصرة اتصال رسمي بالائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة، بل كان الاتصال يجري غالبًا من خلال شخصيات موجودة في الائتلاف، مثل عبد الإله فهد وصفوان الجندلي، وغيرهما.

ذات مرة تكلم قادة الكتائب والألوية مع أحمد الجربا، رئيس الائتلاف، عبر الـ «سكايب»، وأبلغوه مجموعة من المطالب تصب في مصلحة فك الحصار عن حمص. ولبّى الجربا جزءًا منها كان له صلة بشراء صواريخ غراد صادرها تنظيم «داعش» في ما بعد، ثم أعاد جزءًا منها، لكنه لم يحرز أي تقدم في مسألة فك الحصار أو تحسين الأوضاع المعيشية.

لم تكن علاقة الكتائب والمؤسسات بالائتلاف الوطني جيدة منذ إنشائه، فلم يصدر أغلب الكتائب بيانات ترحيب به أو دعم له، بل أصدر بعضها بيانات قصر فيها علاقته به على علاقة الأمر الواقع من دون الاعتراف به ممثلًا له، وذلك إمّا لأسباب أيديولوجية وإمّا لضعف نتائج نشاطه. وكان بعض المؤسسات يعدّه كيانًا مرحليًا لا بدّ منه، في حين رأى آخرون أن دعمه واجب وطني. إلا أن قلة إنجازاته واختلاف أعضائه منعا المؤسسات الداعمة من المجاهرة بدعمها له، ما حال دون تقدم الائتلاف بثقة - بحسب رأي أعضاء فيه - لاختراق المواقف الدولية وتحقيق مكاسب.

كان المحاصَرون يرون أن أعضاء الائتلاف مقصرون جدًا، وأنهم بعيدون عن الواقع الذي تعيشه المنطقة المحاصرة؛ فعلى سبيل المثال، في 2 و 3 أيار/ مايو 2014، أي قبل أيام من مغادرة المقاتلين حمص المحاصرة (بعد إطلاقهم سلسلة نداءات وطلبات مساندة ومؤازرة على مدى شهور عدة، كانت فيها المنطقة المحاصرة آيلة إلى الانهيار)، كانت الهيئة السياسية للائتلاف الوطني

تناقش في اجتماعها خمسة بنود، أربعة منها إدارية تتعلق ببنية الائتلاف نفسه، والخامس يتعلق بتشكيل لجنة إغاثة الأسر النازحة من حمص! لقد كانت الفجوة كبيرة جدًا بين الحوادث التي تجري وردات فعل الائتلاف.

ثالثًا: هيئة الأركان وقيادة جبهة حمص والمجلس العسكري في محافظة حمص

كان المجلس العسكري لمحافظة حمص أول كيان عسكري جامع أنشأته كتائب حمص. وقد جرى التشاور في شأنه، واختير العقيد فاتح حسون رئيسًا له. ولم يكن في ذلك الوقت ثمة تنظيم هرمي للكتائب المقاتلة. ثم أنشئت في ما بعد هيئة أركان سورية التي دُعي قادة الكتائب والألوية العاملة إلى حضور مؤتمرها التأسيسي في تركيا، وقد حضره بعض ممثلي الكتائب في حمص. واختير اللواء سليم إدريس رئيسًا لهيئة الأركان، وهو من حمص من قرية المباركية التي اشتُهرت في الثورة السورية، ويُعرف بأنه صاحب تخصصات عالية في العلوم العسكرية، وكان قد انشق عن الجيش السوري في مرحلة مبكرة.

أنشئت في ما بعد جبهة حمص، وعُيّن العقيد فاتح حسون - الذي كان يعيش في الريف الشمالي، وانتقل آنذاك أول مرة إلى خارج البلاد ثم عاد ليقود حملة «قادمون يا حمص» - قائدًا لجبهة حمص. كما عُيّن العقيد بشار سعد الدين رئيسًا للمجلس العسكري في حمص. ولم تكن ثمة علاقة رسمية أو ترابط هيكلي بين الكتائب العاملة في حمص المحاصرة وهذه الهيئات الجديدة؛ فعلى سبيل المثال، أعلن لواء الحق أنه لا يعترف بهيئة الأركان مظلة جامعة وممثلة، وذلك لعدم تقديم هذه الهيئات حلولًا عملية لمشكلات الكتائب في المقام الأول، ولأسباب أيديولوجية في المقام الثاني. كما أن موارد هذه الهيئات كانت محدودة. وكانت جبهة حمص اعتمدت على دعم أفراد وهيئة حماية المدنيين أكثر من اعتمادها على دعم حكومات أجنبية.

قدمت هيئة الأركان دعمًا إلى كتائب حمص (كتائب الفاروق، وكتائب الفاروق الإسلامي، ولواء الحق، وغيرها من الكتائب) بشكل منفرد مرات عدة،

كما قدمت دعمًا متواضعًا إلى معارك فك الحصار عن حمص، علاوة على ذخائر وأسلحة للجبهات الدفاعية، غير أن الحصار حال دون وصول أي سلاح منها إلى المنطقة المحاصرة.

لم تكن الشخصيات العاملة في هذه الهيئات مقتنعة بأهمية عمل الكتائب ضمن نهج أو خطة جامعة. وفي المقابل كانت الكتائب - التي قدمت الدماء والأنفس - ترى في الدعم التي تقدمه هذه الهيئات جزءًا يسيرًا من حقها تجاه متطلبات العمل العسكري الضخمة، في حين كانت الهيئات العسكرية ترى أن الكتائب تتلقى الدعم وتنكره في عدم الاستجابة لأوامرها أو خططها.

نذكر أن الكتائب اعتقلت قائد الجبهة، العقيد فاتح حسون، أكثر من مرة، وطالبته بتقديم الدعم الدائم إليها. فعلى سبيل المثال، اعتقل أبو حاتم الضحيك، قائد لواء الإيمان، العقيدَ فاتح مرتين على الأقل، وسطا لواؤه على أسلحة خاصة بالجبهة. وكذلك فعل عاصم صويص في الريف الشمالي أيضًا، وقامت مجموعات أخرى في الريف بالسطو على مخزون المجلس العسكري لمحافظة حمص، والاستيلاء على ذخائر كانت معدّة لعملية فك الحصار عن حمص. كما جرى الاستيلاء على مستودعات مؤسسة الأركان في شمال سورية مرة واحدة على الأقل، ثم عولجت المشكلة وأُعيد ما استُولي عليه.

رابعًا: الإعلام والمؤسسات الإنسانية

تابع الإعلام حوادث حمص بتلهف دائم. وظلت الحوادث هناك طوال العام الأول من الثورة السورية محط أنظار العالم. لكن الملاحظ أنه بعد الشهور الأولى من الحصار- عام ونصف عام على الثورة - باتت هذه الحوادث في منظور الإعلام دورية واعتيادية، لا تلفت الإعلام والمتابعين إلّا عرضًا؛ فالقصف أصبح أمرًا عاديًا، وكذلك الموت والاعتقال. وعلاوة على ذلك، حازت مناطق ساخنة أخرى اهتمام الإعلام والمهتمين، ما جعل حوادث حمص تتراجع في قائمة أولوياته، وما عادت تتصدر شاشات الإعلام وصفحاته الأولى، فكان خروج تظاهرة في مدينة الرقة أول مرة خبرًا «طازجًا»

للقنوات الإخبارية، فيما كان قصف الطائرات أحياء حمص خبرًا قديمًا. كما أن المؤسسات الإنسانية كانت تهتم بالمناطق التي كان في مقدروها إدخال مواد الإغاثة إليها، وحال حصار حمص دون الاهتمام بها، فضًلا عن أن بُعد حمص عن الحدود لم يكن في مصلحتها من هذه الناحية.

علاوة على ذلك، كانت المنظمات التابعة للأمم المتحدة ومؤسسات حقوق الإنسان تتلقى تقارير يومية من ناشطي حمص. ولم تتجاوز استجابتها إصدار تقرير عن تدهور الأوضاع أو كتابة بيان عن حدث ما. لقد استهلك أبناء المنطقة المحاصرة آلاف الساعات للتواصل مع هذه المؤسسات وتعريفها بالوضع، واستهلكت هذه المؤسسات آلاف الأوراق لتدوين ما أُرسل إليها!

خامسًا: شركات خدمة الإنترنت

كانت أجهزة الاتصال الفضائي منفذ الاتصال الرئيس للمحاصرين في حمص، وكان ذلك أشبه بفُتحة تهوية في مكان مغلق تمامًا. وكانت الخدمة تقدمها شركات اتصال في مناطق في العالم. وقد استغلت هذه الشركات الحوادث في سورية لترويج منتوجها الذي تلقفه ثوار المنطقة المحاصرة بتلهف.

لكن المحاصرين غالبًا ما تعرضوا للتلاعب والاحتيال من هذه الشركات والمؤسسات الوسيطة؛ فقد صُرفت مبالغ هائلة على هذه الأجهزة، إذ كانت تكلفة الاشتراك الشهري تراوح بين 250 و1500 دولار أميركي، وغالبًا ما كان المشترك يتحمّل بدل «غرامات تأخير» تصل إلى أكثر من 1000 دولار لغاية تجديد الاشتراك، على الرغم من أن الجهاز يكون قيد الاستعمال.

شكّلت اشتراكات الإنترنت تحديًا صعبًا للمحاصرين، كناشطين وناشطين إعلاميين وحقوقيين. ويتأتى هذا التحدي من عدم صدق بعض مؤسسات الاشتراك أو المؤسسات الوسيطة، وكذلك بسبب صعوبة تأمين البدل المالي للاشتراك.

سادسًا: اللجنة الدولية للصليب الأحمر الدولي والهلال الأحمر السوري

في البدايات، تميز الهلال الأحمر السوري في أعمال الإغاثة بفضل خبرته في هذا المجال، أكان في الإعانة الطبية أم الإعانة الغذائية، فأمّن حاجات أغلب النازحين، وتكفل بكثير من المشافي الميدانية، وعمل بنشاط وكفاءة. وكان أغلب كادر الهلال الأحمر تقريبًا من أصحاب الإحساس الإنساني العالي، فعملوا بشكل مميز، وقصدهم الناس في مختلف الأمور، بما فيها سحب جثث الشهداء التي ألقتها قوات الجيش؛ إذ كانت تلقي بها في الشوارع أو كانت في مرمى قناص، خصوصًا بعد أن ضيّق النظام على الخدمات الطبية واحتل المشافي وحوّلها إلى معتقلات.

كان الهلال الأحمر طوال العام الأول من الثورة الجهة الوحيدة التي يمكن للناس الاعتماد عليها من الناحية الطبية، وكان له دور إنساني كبير، على الرغم من أن النظام بدأ يمارس عليه ضغطًا متنوعًا، ويستهدف مركباته، فاستشهد عدد من كوادره، منهم المسعف حكم السباعي، وأصيب العديد من أفراد طواقمه في أثناء قيامهم بواجباتهم، فاضطر إلى وقف عمله أكثر من مرة، وتراجع دوره بسبب المضايقات والضغط الذي مورس عليه.

في أثناء قصف حي بابا عمرو، ونقل المعارك على الهواء مباشرة، ازداد الضغط على الصليب الأحمر الدولي لدفعه إلى التدخل، لكن ذلك لم يحصل بسبب عدم موافقة النظام على ذلك. وتمكن الهلال الأحمر بعد معركة بابا عمرو بأيام من إدخال أدوية إلى منطقة الإنشاءات. واستمرت قوات الأمن في استهداف الكوادر الطبية، كما جرى للدكتورة سحر الأتاسي وزوجها اللذين أُطلقت النار عليهما بعد السماح لهما بالمرور عبر حاجز فاستشهدا. واعتُقل بعض الشبان والرجال في تلك المنطقة بسبب عملهم في الجانب الطبي، واستطاع الصليب الأحمر الحصول على إذن بدخول بابا عمرو بعد أن سيطر الجيش عليها ولم يبق فيها أي ساكن.

في 3 تشرين الثاني/ نوفمبر 2012، أي بعد خمسة شهور من الحصار، استطاع مندوبون من الصليب الأحمر الدولي دخول حمص القديمة والمناطق المحاصرة برفقة الهلال الأحمر، ومعهم كمية قليلة من الحصص الإغاثية ومعونات طبية. والتقوا الأهالي، ولم تدم الزيارة سوى ساعات معدودة. وكان الثوار أجروا اتصالات لتمكين مندوبين من الصليب الأحمر الدخول إلى المنطقة المحاصرة في بداية تموز/ يوليو 2013، بعد ضغط دولي من أجل السماح للبعثات الدولية بإدخال مواد إلى المناطق المحاصرة، وربما تساهل النظام في دخول البعثة بلدتي نبل والزهراء المحاصرتين من جانب الثوار، إذ أكدت مسؤولة الأمم المتحدة للشؤون الإنسانية في سورية في مكالمة هاتفية أن النظام يريد أن تحصل زيارة لتلك البلدتين وإدخال مساعدات إل المحاصرين فيهما.

جدير بالذكر أن الصليب الأحمر الدولي بذل جهدًا كبيرًا لإيصال المساعدات إلى المحاصرين، لكن النظام كان يماطل ويسوّف من أجل تحقيق مكاسب محددة؛ فحاول تارة إنقاص الحصص، وحاول تارة أخرى إدخالها عبر منفذ معيّن، ربما لاستكشافه، وفي النهاية أصدر قرارًا بعدم الموافقة.

كان يؤخذ على البعثات الدولية تعاملها مع النظام بشكل واسع ومسلّم بأنه الأمر الناهي، وعدم لجوئها إلى القوانين الدولية التي صدرت للضغط عليه للتحرك، خصوصًا التقرير الذي صدر عن مجلس الأمن- في نهاية عام 2013 - الذي قضى بحرّية تحرك البعثات الدولية. وعلى الرغم من ذلك، لم تتوقف محاولات الصليب الأحمر لدخول المنطقة المحاصرة، ولم يتوقف التنسيق بينه وبين الثوار، وكانت التقارير الإنسانية تُرسل إليه بشكل دوري ومتواصل.

سابعًا: بعثة المراقبين العرب

بعد مرور أكثر من ثمانية شهور على اندلاع الثورة السورية، قررت جامعة الدول العربية تقديم مبادرة لحل الأزمة السورية، فأرسلت بعثة لمراقبة تنفيذ بنود المبادرة التي حظيت بموافقة دولية.

في نهاية كانون الأول/ ديسمبر 2011، أُرسل المراقبون إلى حمص، فتلاعب النظام بالبعثة بشكل كبير، إذ سحب الدبابات من الشوارع ووضعها في مخازن أو مرائب، وغطّاها بسواتر قماشية، كما قام بطلاء المدرعات الخاصة بالجيش باللون الأزرق وكتب عليها عبارة مكافحة الشغب، أو شرطة، للإيحاء بأنها عربات ليست تابعة للجيش، وليكون بقاؤها مشروعًا بحسب المبادرة. كما أن النظام نشر أعدادًا كبيرة من عناصر الجيش في الطرقات الرئيسة في اليوم الأول من عمل البعثة، ثم سحب هذه العناصر وأبقى على الحواجز الرئيسة التي كانت موجودة في الأساس، ليتضمن تقرير البعثة أن النظام استجاب جزئيًا لمطالب المبادرة. وكذلك قام النظام بحملة اعتقالات تعسفية عشوائية واسعة قبل وصول البعثة العربية، ثم أطلق سراح هؤلاء المعتقلين ليبدو أمام البعثة أنه يستجيب لمطالبها.

على الرغم من أن الجميع كان يدرك أن النظام يراوغ، فإن إجراءاته كانت توحي أنه ينفذ بنود المبادرة العربية، ولكن استمرت أعمال القنص وإطلاق النار والوجود العسكري والاعتقالات، حتى في حضور بعثة المراقبين العرب. وكان النظام ينفذ شعاره المعروف «سنغرقهم بالتفصيلات وعليهم السباحة». لكن بعد نحو شهرين، عُلّقت أعمال بعثة المراقبين العرب قبل أن تفلح في سحب القوات التي تحاصر المدينة.

ثامنًا: بعثة المراقبين الدوليين

في 14 نيسان/ أبريل 2012، أُلّفت بموجب قراري مجلس الأمن 2042 و2043 بعثة من المراقبين الدوليين برئاسة الجنرال روبرت مود. ودخلت البعثة حمص في وقت حرج، كان سكان المدينة فيه يعانون إحباطًا شديدًا، إذ كانت قوات من الجيش قد سيطرت على جب الجندلي والبياضة ووادي العرب وبابا عمرو وكرم الزيتون وعشيرة، وكانت على وشك اقتحام المدينة بالكامل. وبدخول المراقبين الدوليين، توقف القصف العنيف على المدينة، واستطاع المقاتلون أن ينظموا صفوفهم ويلتقطوا أنفاسهم.

كانت طريقة عمل بعثة المراقبين الدوليين مختلفة عن طريقة عمل المراقبين العرب؛ فهي اتصلت بالثوار وبمؤسساتهم مرارًا، وقابلت وفودًا من الكتائب والمؤسسات الثورية. واجتمع وفد المراقبين، بمن فيهم رئيس البعثة، إلى وفد من مجلس الثورة وممثلين عن ثوار مدينة حمص، وأجروا حوارات موسعة معهم استمرت أيامًا عدة، أبدى فيها الثوار استعدادهم للتوصل إلى حل، وشرحوا رؤيتهم لمستقبل سورية. كما قدموا خططًا متكاملة لترتيبات موقتة ريثما تُحل المسألة السورية برمّتها. وقضى الحل الذي تقدم به أبو بكر السعدي بإعادة الحياة إلى المدينة، وسحب قوات الجيش في مقابل إخفاء السلاح، وبقاء عدد من المقاتلين في أحيائها للحؤول دون دخول الجيش و«الشبيحة»، مع تعهد الثوار عدم المساس بالمؤسسات الحكومية، ووقف إطلاق النار وعمليات الاعتقال من الطرفين. لكن النظام رفض هذه المبادرة، واقتصرت مهمة البعثة على أمور إجرائية مثل تبادل الجثث وإخراج معتقلين.

ارتكب النظام مجزرة أطفال الحولة في الوقت الذي كان فيه المراقبون الدوليون في مدينة حمص. وعاين المراقبون المكان بعد أيام، ورأوا ما جرى، لكن الأمم المتحدة اكتفت بالإشارة في تقريرها إلى أنه «ربما كان النظام وراء المجزرة».

بعد نحو شهرين، أُنهيت بعثة المراقبين الدوليين من دون إحراز أي اختراق في المواقف، أو التوصل إلى حلول عملية، أو تنفيذ أي جزء من المبادرة الدولية التي وضعت تصورًا للحل.

تاسعًا: بعثة الأمم المتحدة لإجلاء المدنيين من حمص

في إطار مفاوضات جنيف 2، قدّم النظام مبادرة أمنية لترتيب وضع حلب، أراد منها شغل المجتمع الدولي بالتفصيلات مرة أخرى، فتذرع بأن وضع حمص معقد، إذ تنتشر فيها قوى مدنية وثورية وعسكرية وإسلامية، وقد يحتاج ترتيب وضعها إلى عام كامل. وكانت رغبة الأمم المتحدة في إحراز تقدم بمنزلة بريق أمل بإنجاز حل سياسي. وكان لدى الأخضر إبراهيمي وفريقه معلومات

عن حمص تفيد بأن إمكانية التطبيق فيها أعلى من إمكانية تطبيقها في أي منطقة أخرى. وكان وفد الائتلاف طرح مبادرات عدة، أبرزها مبادرة إخضاع حمص لرقابة دولية ونزع السلاح من الطرفين فيها وإعادة المدنيين إليها. كما كان ثمة مبادرة أخرى نصت على فتح ممرات إنسانية آمنة دائمة، وأخرى قضت بإخراج المدنيين فحسب، وإدخال مواد طبية وإنسانية للراغبين في البقاء فيها.

اتفق وفد النظام ووفد المعارضة على السماح بدخول مساعدات إلى حمص. وبدأ مكتب الأمم المتحدة بحث المسائل التفصيلية مع المحاصرين. وفُوِّض الشيخ عبد العليم من المجلس العسكري في حمص المحاصرة بمتابعة الأمر، فبذل جهدًا كبيرًا لإنجاح المهمة، على الرغم من تملص النظام من كثير من المسائل والقضايا التفصيلية؛ فعلى سبيل المثال، لم يتحقق إجلاء الجرحى والمصابين أو إدخال مواد طبية، كما نص الاتفاق[1]. وفور انتهاء مؤتمر جنيف 2، وعلى الرغم من عدم تطبيق بنود الاتفاق بالكامل، غادر وفد الأمم المتحدة حمص، وسافر السفير المفوض يعقوب الحلو لتقديم تقريره إلى الأمين العام للأمم المتحدة. وتوقفت المفاوضات التي كان مفترضًا أن تشكل مرحلة أولى لـ «بناء الثقة» وصولًا إلى اتفاق أشمل يضمن للثوار حقهم وكرامتهم.

عاشرًا: مركز جنيف للحوار الإنساني

منذ بداية الثورة، نظمت مراكز البحوث دراسات لتقويم الأوضاع في سورية. وكان لمركز جنيف للحوار الإنساني دور بارز في تقويم الوضع في حمص ودراسته، إذ أصدر بشأن سورية عددًا من الدراسات والبحوث الدورية التي لخّصت وضع الثورة، وأعطت صورة عن الكتائب المقاتلة وعن النظام والقوى الفاعلة فيه.

سمح النظام لعاملين في المركز بالتحرك في سورية بانتظام، ومنحهم تراخيص عمل. ويُعتقد أن سبب تساهل النظام في هذا الشأن أن المركز كان

---

(1) انظر الملحق: صورة رسالة موجّهة إلى الممثل المقيم للأمم المتحدة، ص 196-197 من هذا الكتاب.

يقدم بحوثًا ومعلومات عن المناطق التي كان يزورها، والمعلومات التي كانت تتضمنها بحوث المركز غير ضارة بالثوار، لكنها كانت مفيدة للمتابعين، بمن فيهم النظام. ويبدو أن خالد الأحمد، وهو صديق شخصي للرئيس السوري بشار، كان من رتّب تحركات هذا المركز، كما بينت تسريبات «ويكيليكس» في ما بعد.

بعد ثلاثة أعوام على بدء الثورة السورية، وبالتزامن مع انعقاد مؤتمر جنيف 2، حاول مركز جنيف أن يؤدي دور الوسيط بين الثوار في حمص المحاصرة وبين النظام، لكنه لم يكن أكثر من محلل ناجح للأوضاع، ولم يتمكن من تقديم وساطة مرضية لكلا الطرفين.

الفصل الثامن

المفاوضات مع النظام

أولًا: تجربة توكيل مفاوضين لإجلاء المدنيين

بعد مرور أكثر من 500 يوم على حصار حمص، ونتيجة الجوع الذي أصاب الناس والحالة المأساوية التي وصل إليها الوضع في المدينة المحاصرة، قررت قيادات المنطقة المحاصرة التفاوض مع النظام[1] من أجل إجلاء المدنيين، فأُلِّفت خلية أزمة لبحث مسألة التفاوض، وكانت هناك أفكار واتجاهات عدة في هذا الجانب نُجملها كما يلي:

• **إدخال مواد غذائية وطبية إلى المنطقة المحاصرة في حمص والمعضمية،** في مقابل إدخال مواد غذائية وطبية إلى منطقتي نبل والزهراء اللتين كان الثوار يحاصرونهما[2]. ودعم هذا التوجه العقيد فاتح حسون، قائد جبهة حمص، وكذلك قائد الجبهة الشمالية، وكتائب ثورية مختلفة، لكن هؤلاء لم يتمكنوا من فرض هذا الطرح، ذلك أن مستوى الضغط في نبل والزهراء لم يكن كما هو عليه في مدينة حمص المحاصرة والمعضمية؛ فقد كان النظام يلقي بالمساعدات إلى المحاصرين هناك من الطائرات، كما ساهم بعض الثوار في إدخال المواد الغذائية والطبية إلى هاتين المنطقتين من دون مقابل، وذلك بدافع من عقلية الثائر المحكومة بالعاطفة ورفع الظلم، لا بالسياسة ومنطق المصالح.

• **إطلاق صواريخ غراد نحو أهداف عدة في سورية،** وربط وقف إطلاقها بإدخال المواد الغذائية والطبية إلى المنطقة المحاصرة، والسماح للمدنيين

(1) أنشأ النظام من البداية ما عُرف بلجان المصالحة التي كانت تتصل بين فترة وأخرى لتعرض أمرًا ما، كتسليم السلاح وغيرها من العروض المبنية على أن الثوار إرهابيين خارجين عن سلطة الدولة.

(2) انظر: نسخة عن بيان هدنة مقترحة من الثوار، ص 195 من هذا الكتاب.

بالخروج منها. وفي هذا الشأن قدمت هيئة حماية المدنيين 300 صاروخ من أنواع مختلفة لقصف أهداف قريبة، وقدم أحمد الجربا، رئيس الائتلاف، ثمن 22 صاروخًا من طراز غراد. وتعاون الجميع، كتائب ومقاتلين، على إنجاح الأمر، فأطلق ثوار حمص عملية تحت عنوان «صب النيران»، مستهدفين منشآت حيوية للنظام وحواجز أمنية، وأماكن تجمع مهمة، لكن النظام لم يستجب.

• التفاوض في شأن الأسرى: تكفّلت إحدى الدول بملف الأسرى اللبنانيين الذين كانوا في قبضة لواء عاصفة الشمال الذي سلّم الملف إلى تلك الدولة، التي كانت قد وعدت بإطلاق الأسرى في مقابل إدخال مساعدات إلى حمص، لكن المفاوضات التي جرت انتهت إلى إطلاق 250 معتقلة من أقدم معتقلات سورية، إضافة إلى الإفراج عن طيارين تركيين كانا اختُطفا في لبنان، وتعثر إدخال المساعدات إلى حمص بسبب تعنّت النظام.

• تفويض الدكتور أمين الحلواني[3] التفاوض في شأن إجلاء المدنيين وإدخال مواد طبية. وكان الحلواني طلب تفويضًا مكتوبًا موقّعًا من جميع الفصائل، فكان له ما طلب، وغادر الإمارات العربية المتحدة إلى دولة خليجية أخرى، حيث اجتمع إلى مسؤولين من حمص وممولي العمل العسكري أغلبهم من المشايخ ورجال الأعمال، وكان لهم سلطة أدبية على أغلب كتائب حمص، إضافة إلى سلطة الدعم. ثم انتقل إلى دمشق وحاز موافقة النظام للبدء بعملية التفاوض[4]. وكان الحلواني يبدو من تحركاته أنه رجل منظم، وأنه مطلع على آلية تفكير النظام، وكيفية تفكير الثوار، فقام بجهد متميز، وزار القيادات الأمنية والعسكرية في النظام، وسعى إلى تقديم مبادرة متكاملة ترضي الطرفين. وقد انبنت مبادرته على بنود عدة، أبرزها:

---

(3) أمين الحلواني: طبيب يدير مشفى الأمين في حمص، وهو من أبناء حمص القديمة. غدر به النظام بعد محاولات عدة منه لترتيب أوضاع حمص بالتنسيق مع النظام نفسه.

(4) انظر: الملحق «نسخة عن رد على طرح الحلواني من أجل إنجاز اتفاق في المنطقة المحاصرة»، ص 198 من هذا الكتاب.

- إخراج المدنيين، وإدخال مساعدات طبية وإغاثية إلى الراغبين في البقاء.

- إعادة الحياة إلى مركز المدينة، وفتح المحال التجارية التي كان الثوار يسيطرون عليها.

- ضمان عمل مؤسسات الدولة وحمايتها من الطرفين.

- بنود أخرى تتعلق بانتشار قوى الأمن في مركز المدينة وتستثني بقية الأحياء التي يبقى فيها الثوار.

- إخفاء المظاهر المسلحة من دون خروج الثوار.

- التوجه إلى مؤتمر جنيف 2 لإقرار البنود أعلاه.

اصطحب الحلواني عددًا من وجهاء منطقة الوعر وغيرها، وطلب منه مسؤولون في النظام زيارة السفارة الإيرانية في دمشق مرتين. وكانت المفاجأة أن مسؤولًا في الخارجية الإيرانية قال له بلهجة قاسية إن الثورة قد قُضي عليها، وإن بضعة صواريخ ستمحو المسلحين من على أرض سورية. لم يقدم الإيرانيون شيئًا، بل حتى لم يطلبوا شيئًا. لكن ربما كان النظام يريد أن يثبت أنه قادر على ضبط الأمور أمام الإيرانيين فأرسل الحلواني إليهم، أو ربما كانوا هم أصحاب القرار الحقيقيين.

أعادت القيادات الأمنية والعسكرية كامل الاتفاق إلى مسؤول «جيش الدفاع الوطني» في حمص («الشبيحة»)، وقال المسؤولون للحلواني إنهم يوافقون على ما يوافق عليه هذا الرجل من البنود. وبدا أن كل شيء يشير إلى انتهاء الدولة، وأن المارد الذي بناه النظام باسم «الشبيحة» أصبح أكبر من أن يتحمله.

قابل الحلواني ومن معه الأخضر إبراهيمي - المفوض الأممي - العربي في الشأن السوري - وكان معظم حديثه يتناول الجانب الإنساني، مع تركيز على بعض القضايا الثورية وإيصال رسائل من الثوار. وكان النظام يحاول في هذا الأثناء أن يُفهم العالم أن حمص انتهت وهي بين يديه الآن، وأن ثوارها يسعون إلى التفاوض، كأنهم ثور هائج روّضه القصف والعنف.

كان قد مر على حصار حي الوعر الذي يقطنه ما يزيد على 300 ألف نسمة، أكثر من شهر، ولم ينجح الحلواني ومن معه في إحداث اختراق لدى النظام لإدخال مواد غذائية وطبية إلى المنطقة المحاصرة في حمص، لكنهم استطاعوا تحقيق مكاسب بسيطة قضت بإدخال الطعام والشراب وبعض الخدمات إلى منطقة الوعر.

جال الحلواني في سورية، وقابل ما تيسر من مسؤولين، لكنه لم يستطيع أن يقدم إلى المدنيين شيئًا؛ فقد كان النظام يريد أن يبقي حصار حمص ورقة يقبض ثمنها، وهذا ما تأكد للثوار من خلال مقابلات صرح بها ميشيل كيلو عندما طلب من بوغدانوف، نائب وزير الخارجية الروسي، إدخال مواد إنسانية إلى حمص، فسأله الوزير الروسي عن مقابل ذلك.

في هذه الأثناء، كان الملف النووي الإيراني قيد التداول دوليًا، وكانت إيران تمكن نفسها من الساحة السورية أيّما تمكين، وكان المقاتلون الإيرانيون فتحوا جبهات عدة في سورية من حلب وحتى دمشق، لكن لم يستطيعوا أن يحرزوا نصرًا واضحًا مؤكدًا.

في زحمة هذا كله، كان الثوار يحاولون أن يستعيدوا زمام الأمور إلى أيديهم، بعد أن ساقهم العالم حيث شاء، وكيف شاء، وكان لا بد من المحاولة من جديد.

ثانيًا: التفاوض المباشر

بعد أن مهد تدخل الأمم المتحدة مهمة التفاوض مع النظام، وبعد أن كان مجرد الحديث عن التفاوض قبل ذلك بمنزلة كفر في نظر المحاصرين، طلب العميد سالم العلي[5] مقابلة أمين الحلواني وغيره ممن لهم علاقات

(5) مسؤول ملف حمص في القصر الجمهوري، من الطائفة العلوية من ريف حمص. عاش في حي جورة الشياح وبين أهلها وأبنائها الذين يعرفهم جيدًا، وكانت تجمعه بالحلواني صداقة قديمة تسبق الثورة.

بالمحاصرين، وأبلغه أنه جرت الموافقة على مبادرته التي طرحها في وقت سابق، وأن النظام يرغب في تهدئة الأوضاع في حمص.

اتصل الحلواني بالمحاصرين، وكان حينئذ في الإمارات بسبب مضايقة «الشبيحة» له بعد تقديمه مبادرته الأولى، وأبلغهم برغبته في العودة إلى سورية، فوافقوا بهدف معرفة ما يدور في ذهن النظام.

بعد سلسلة اجتماعات، أرسل الحلواني بنود مبادرة شبيهة ببنود مبادرته الأولى، من دون التطرق إلى وجود مراقبين دوليين أو إشراف أممي، وطلب من المحاصرين تأليف وفد للذهاب إلى دمشق للبحث في التفصيلات وتوقيع المبادرة.

عقد المحاصَرون اجتماعات يومية أقروا فيها بعدم إمكانية الحسم العسكري ضمن المعطيات الراهنة، وخلصوا إلى أنه لا بد من إيجاد بدائل. كان الحديث عن هدنة أمرًا جديدًا كليًا في المنطقة المحاصرة، فقام بعض الناشطين بإجراء دراسة عن الهدنة التي حدثت في دمشق وريفها، وعن الظروف التي دفعت النظام إلى قبول مثل هذه الحلول. وجرى تقديم توصيات تتعلق بعدم إرسال وفد إلا بعد التوافق التام على الهدنة وتفصيلاتها، فضلًا عن المطالبة بوجود إشراف وسيط دولي على أي اتفاق قد يوقَّع، على أن يجري ربط الاتفاق بجدول زمني وتوصيات فنية أخرى تتعلق بالجبهات والوضع المعيشي والخدمات.

كان يدور في بال المحاصرين ما طرحه الحلواني بإعادة الحياة إلى المدينة في مقابل إخفاء المظاهر المسلحة، وتأمين الطرقات العامة بوساطة شرطة النظام، شرط عدم الإقدام على تنفيذ أي عمليات دهم واعتقال داخل المدينة.

وافق أغلب المجتمعين على إطلاق العملية التفاوضية من جديد، وتقرر إرسال وفد من المنطقة المحاصرة إلى دمشق لإقرار الاتفاق وتوقيعه ومتابعة تنفيذه. كان الجميع يخاف من تحمّل مسؤولية وضع يده بيد النظام، والمسؤولية الأخلاقية والثورية في ظل أوضاع معقدة وتركيبة ثورية صعبة الفهم. فتصدى

غزوان السقا للمهمة، ورشح مجموعة رفض أغلب أفرادها المشاركة في الوفد، إلى أن استقر الأمر على تأليف وفد من أربعة أشخاص.

تأخر ذهاب الوفد أكثر من عشرة أيام، فسقطت يبرود في هذه الآونة، وفي اليوم نفسه الذي غادر فيه الوفد سقطت الزارة في غرب حمص، وبعد ذلك بيومين سقطت قلعة الحصن، بالقرب من الزارة، ما منح النظام ثقة أكبر بالنفس[6]. وفي تلك الأثناء كانت جبهات حمص محاصرة ومهددة بالاختراق، بسبب التسويات التي شاعت بين الثوار، إذ كان النظام يقدم مزايا كثيرة لتحقيق مزيد من التسويات.

في ظل هذه الأوضاع، غادر الوفد المنطقة المحاصرة مرورًا بالكورنيش عبر جورة الشياح، ثم إلى شارع البريد (بين الدبلان وجورة الشياح)، في 24 آذار/ مارس 2014، في أول عملية تفاوض مباشر بين النظام وثوار المنطقة المحاصرة. كان أمين الحلواني وتمام تركاوي وغيرهما في انتظار الوفد. وكان من المقرر أن يبيت الوفد في الوعر، ثم يتجه في اليوم التالي إلى دمشق برفقة وفد الوعر المكلف. وتأخرت مغادرة الوفدين بسبب اشتعال جبهة الساحل - بحسب ما قاله الوسطاء. وحاول الوفد أن يستغل تلك الفترة باكتساب مزيد من القوة المعرفية وتنسيق موقفه أكثر مع وفد منطقة الوعر[7].

كان من المتوقَّع أن تُفتح معارك عدة في أثناء مفاوضات الوفد، فتحركت قوات في الريف الشمالي، وكذلك حاولت قوات في منطقة أخرى التحرك، لكن لم ينجم عن ذلك شيء بسبب تشابه ظروف فشل المعارك السابقة، وكان هذان الأمران أكثر ما يعوَّل عليه في تلك المرحلة للضغط على النظام في أثناء التفاوض.

(6) كانت الأوضاع صعبة للغاية في هذه الأثناء، فالثوار يأكلون العشب منذ شهر، والأفق مسدود باتجاه الحل، وكانت الجبهات تزعزعت بعد إجراء بعض التسويات من جانب المقاتلين. وساد الشعور بالإحباط وخيبة الأمل مع ارتفاع أصوات المثبطين وأصحاب نظرية الانسحاب من حمص.

(7) اتفق وفدا المنطقة المحاصرة والوعر علي تقديم مبادرة تنص على إعادة الحياة إلى المدينة في مقابل إخفاء السلاح وعدم دخول الجيش، فضلًا عن أمور أخرى تتعلق بالمعتقلين والمؤسسات الحكومية والطرقات العامة وسواها.

تأخر إجراء المفاوضات أكثر من أسبوع، ثم أُبلغ الوفد عن طريق الوسطاء (أمين الحلواني وتمام) أن المفاوضات أُلغيت نهائيًا. ولم يكن ثمة ضمانات لعودة الوفد إلى المنطقة المحاصرة، فبقي في منطقة الوعر. ورأى بعضهم في خروج الوفد مكسبًا للنظام، فالوفد مؤلف من عناصر فاعلة ومؤثرة في القرار، وقادرة على تقريب وجهات النظر بين الجميع، ما سيجعل اختراق موقف المحاصرين أسهل في الأيام التالية[8].

ارتفعت وتيرة التسويات، وسادت حالة ضبابية غاب عنها الحل. وفي هذه الفترة كان الحلواني في دمشق يحاول عبثًا إقناع النظام بقبول الحل السلمي، لكنه أبلغ الوفد أنه تمكن من إقناع النظام بأن يرسل وزير المصالحة الوطنية إلى حمص للاجتماع إلى وفد حمص، وكان مما قاله للوفد: «هذه المرة سيكون محور التفاوض هو السلاح والمسلحين»، وذلك بعد أن كان محور التفاوض الهدنة ووقف إطلاق النار.

رأى وفد حمص أن عليه التفاوض حتى لو كانت فرصة الحل أضعف من سابقتها، وحتى لو تغير محور التفاوض واختلّت الشروط. وتخلف عن الوفد أحد أفراده بسبب عدم اقتناعه بشخصيات التفاوض، وقراءته نيات النظام الذي كان يخطط للحرب، ويرغب في تحقيق المكاسب من دون تقديم أي تنازل.

كانت شخصية وزير المصالحة، الذي اغتال «الشبيحة» ابنه، وشخصية المحافظ الذي لم يفِ بأيٍّ من وعوده على الإطلاق، لا تعبّران عن أي وجود قدرة على تنفيذ ما سيتمخض التفاوض عنه. وعلى الرغم من ذلك، قابل الوفد أكثر من مرة الوزير والمحافظ اللذين وعدا بدراسة مطالب الوفد، لكن الأمر لم يرشح عن شيء، ولم يقدم أي منهما أي مبادرة تدل على نية النظام بالحل السلمي. بل على العكس من ذلك، جرى الإعداد لعملية عسكرية شاملة، حاول النظام من خلالها اقتحام المنطقة المحاصرة من خمسة محاور، لكنه فشل فشلًا

(8) علم الوفد أن ورقتي عمل قدمتا إلى مسؤولي النظام، الأولى تقتضي حلًا عن طريق التفاوض ومقابلة الوفد، والثانية قدمها «شبيحة» النظام تتضمن خطة تشمل السيطرة على حمص خلال خمسة وعشرين يومًا فقط. ويبدو أن الورقة الثانية حازت التأييد، فأُلغيت عملية التفاوض.

ذريعًا. وكان اللقاء مع موظفي النظام بمنزلة محاورة بواب مؤسسة من أجل إيصال معلومة إلى رؤسائها.

بدأ الثوار البحث عن حلول بديلة، وعادت إلى الأذهان مرة أخرى مسألة التفاوض على إدخال مواد إغاثية إلى المنطقة المحاصرة في مقابل إرسال مواد مشابهة إلى منطقتي نبل والزهراء في ريف حلب، وكانت هذه الورقة الوحيدة التي يمكن للثوار تحقيق شيء منها.

ثالثًا: المفاوضات عبر الجبهة الإسلامية

كان وفد الأمم المتحدة بعد أكثر من شهر على إرسال وفد المنطقة المحاصرة وتعثّر العملية التفاوضية يبحث عن إمكانية إدخال مواد غذائية إلى منطقتي نبل والزهراء في ريف حلب. ووافقت الجبهة الإسلامية على الأمر في مقابل إدخال كميات من الطعام إلى المنطقة المحاصرة، لكن النظام رفض ذلك. فأدخلت الجبهة الإسلامية في مفاوضاتها عناصر إيرانية وروسية وعناصر محسوبة على النظام، كانت معتقلة لدى الجبهة في معاركها المختلفة في مناطق عدة، وذلك من أجل ممارسة مزيد من الضغط على النظام لإدخال الطعام والشراب، لكن ذلك لم يجدِ نفعًا.

لم يكن المقاتلون في المنطقة المحاصرة متمسكين بالقول إن إدخال الطعام حل لمشكلتهم، فالضغط النفسي كان أكبر من أن يُحتمل، فقرّر المقاتلون في المنطقة المحاصرة الخروج منها بسبب الأوضاع التي تحدثنا عنها، والضغط الذي كانوا يتعرضون له، وأبلغوا الجبهة الإسلامية بقرارهم.

عدلت الجبهة من طلباتها في هذه المبادرة التي نصت على إخراج جميع المحاصرين من المنطقة المحاصرة إلى الريف الشمالي بأسلحتهم الفردية[9] وذخائرهم، وتأهيل المدينة لإعادة الحياة الطبيعية إليها، وعودة المدنيين. وبدأ تنفيذ الاتفاقية في 7 أيار/ مايو 2014.

(9) أخرج المقاتلون كل سلاحهم الفردي تقريبًا عدا التالف منه، بالإضافة إلى جزء كبير من قواذف الـ «أر بي جي» ورشاشات الـ «بي كي سي».

أُلِّف وفد لتنفيذ المبادرة، وكان لغرف العمليات دور إيجابي في ضبط الأمور، وكان الوفد برئاسة الشيخ عبد العليم الذي التقى مسؤولين من الأمم المتحدة أكثر من مرة لترتيب الأمور التنفيذية، والاتفاق على التفصيلات، فأعيد تأهيل الطرقات، وبدأ الانسحاب بشكل تدريجي.

هكذا، بدأ تنفيذ الاتفاق في 7 أيار/مايو 2014 بخروج المصابين والجرحى والمدنيين أولًا، ثم المقاتلين. وكانت الوجهة قرية الدار الكبيرة في شمال حمص. وجرى تنفيذ الاتفاق بإشراف أفراد من الأمم المتحدة ورقابتهم. وفي 9 أيار/مايو 2014، غادرت الدفعة الأخيرة من المقاتلين منطقة حمص المحاصرة، بعد تأخرها أربعًا وعشرين ساعة بسبب تعثّر إدخال المساعدات إلى منطقتي نبل والزهراء.

خاتمة

حاولنا في هذا الكتاب أن نمدَّ القارئ بأجوبة عن تساؤلات دارت في أذهان كثيرين بشأن كيفية بدء الحصار، وما هي الأوضاع والحوادث التي سبقته والعناصر التي أثرت فيه، وكيف عاش المدنيون والثوار في ظل تلك الأوضاع العصيبة، كيف تنقلوا؟ وكيف عملوا؟ وكيف كانوا يتواصلون مع العالم؟ وما هي أبرز المعارك التي خاضوها، وما كانت نتائجها؟ كذلك حاولنا أن نعرّف بنشأة الفصائل في حمص المحاصرة، وأن نشير إلى خلفياتها الأيديولوجية التي عوّقت توحيدها، كما تناولنا الدعم من العالم الخارجي وتأثيره في المنطقة المحاصرة.

حاولنا تسليط الضوء على الأوضاع التي أدت إلى خروج المدنيين والمقاتلين من المنطقة المحاصرة في حمص، في إطار عملية تفاوضية ذكرنا بدايتها وتطورها حتى النهاية.

وعرضنا ذلك كله بأسلوب المراقب الذي وقف على تلة جانبية، يراقب المشهد العام، ويدوّن حوادثه من غير تخمين أو ظن، على الرغم من كوني ممن مروا بهذه المشاهد، محاولًا بقدر الإمكان أن أجيب عن أسئلة في شأن أمور تفصيلية كثيرة، لكنني أركّز هنا على مسألتين مهمتين:

- تتلخص الأسباب التي أدت إلى صمود المدينة عامين كاملين في العزيمة والإرادة والتنظيم والإدارة والتعاون والتنسيق، على الرغم من قلة العدد والعدة وضعف الموارد ومدى المرونة التي تمتع بها المحاصرون للتحايل على

الوضع في المنطقة المحاصرة، فكانوا كلما واجهتهم مسألة تجاوزوها، حتى استُهلكوا.

- تتلخص الأسباب التي أدت إلى انهيار صمود المقاتلين في خيبات الأمل المتكررة، وتناقص أعداد المقاتلين بسبب الموت أو الإصابة، وبقاء المقاتلين في انتظار من يفك الحصار عنهم، ثم كيف ظل المجتمع الدولي صامتًا تجاه قضيتهم، كما هو صامت تجاه القضية بأكملها، بل زاد في ذلك بمحاربة وصول السلاح إليهم، وتجاهل وضعهم في كثير من الأحيان، مع إلقاء الضوء على العلاقات الرسمية مع الكيانات التي تصدرت المشهد السياسي السوري، ذلك كله في ظل معارك شرسة خاضوها ضد آلات متطورة عنيفة، بأسلحة بسيطة وموارد شحيحة.

نشير أخيرًا إلى أننا حاولنا في فصول هذا الكتاب ذكر أبرز الشخصيات التي نشطت في مدينة حمص المحاصرة، أو التي عملت في مؤسسات ذات صلة، إضافة إلى ذكر أبرز المناطق التي دارت فيها الحوادث وأشياء فرعية أخرى.

بيان رقم: 12 – ش – 14

بيان رقم: 12 – ش – 14

بيان من ألوية وكتائب مدينة حمص

قامت الثورة السورية إحقاقًا للحق ونصرة للمظلوم، ولإقامة العدل بين الناس، وإعادة الإنسان إلى حالته الطبيعية التي أرسله الله بها، حرًا إلا من عبوديته لخالقه وحده، متخلقًا بما يرضاه الرب له، متمسكًا بما فرضه عليه، سائلًا الله الهداية إلى طريق الصواب والنور.

ثم شارك في قتال طاغية الشام، أشخاص يرون أنهم الفئة المختارة من الله، وأن الحق لا يعرف إلا بهم، ولا تقاس أفعال الخير وأقواله إلا بما يتصرفون ويفعلون، فحكموا على من سواهم بالردة أو الكفر، وصادروا القرار والحكم، بل إن الأمر تطور بهم حتى منعوا الناس من قتال الطغاة، والأخذ على يد الظالمين، فاستحلوا بغير حقٍ أموال العباد وسلاحهم، واعتقلوا شبابهم.

إن كتائب حمص المحاصرة ومجموعاتها، تستنكر أفعال «تنظيم دولة العراق والشام»، وتطلب منهم إعادة السلاح الذي سرقوه منهم طيلة الأشهر الماضية، وتؤكد أنها وضحت لهم أن هذا السلاح لدفع الظلم عن مسلمي حمص وأهلها، وتحثهم على أن تطلق سراح معتقليهم، وتفرج عن سياراتهم الموقوفة عندهم بغير حق.

وبعد شهرين من النصح والطلب المؤدب والمتابعة التي تمتع فيها أفرادنا بالحس الأخوي والرفق في السؤال، فإننا ننوه أن ما أطلقه مسؤول تنظيم الدولة في ريف حمص «الحاج حسن»، بوصف مقاتلي حمص بالمرتدين، يدمي القلب ويحزننا ونخشى عليه أن يكون باء بما قال، وإن التصرفات التي صدرت من «الحاج حسن» طيلة الأشهر الماضية، تجافي الأخلاق العربية فضلًا عن المسلمة وما أتى به الدين الحكيم، وتسير في عكس قيم الإسلام، وهي في توصيفها الحقيقي، سرقة وتشبيح وشتم لأعراض المسلمين، وحكم على الناس بالردة والكفر.

قال الله تعالى: ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ(28) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ(29)﴾. سورة المائدة.

أعيدوا لنا سلاحنا وسياراتنا، لنتابع قتال الطغاة ونذود عن أعراضنا، وتجنبوا أن تعتدوا علينا، فإننا عن دربكم بعيدون، وأمركم إلى الله رب العالمين.

حمص المحاصر، في 21 ربيع الثاني، 1435 لهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم.
الموافق لـ 21شباط 21-02-2014
مجلس التنسيق العسكري في حمص المحاصرة (كتائب حمص وألويتها)

بيان رقم: 4/ 11/ 12

بـيـان رقم: 4/ 11/ 12

بسم الله الرحمن الرحيم:

تسعة عشر شهرًا مرّت على حصارنا في حمص العدية، ودّعنا فيها أبطالًا - من مختلف الكتائب - هم أعز على قلوبنا من أنفسنا، تبادلنا معهم الفرح والهم وتقاسمنا وإيّاهم الطعام والدماء حتى ما تجد فردًا في حمص إلا وأعطى أخوته من دمه وطعامه أكثر مما أبقى لنفسه.

ونحن إذ نتذكر هذا الكلام، فإننا نؤكّد على الآتي:

أولًا: نحن في حمص المحاصرة أسرة واحدة، همّنا واحد .. وعدوّنا واحد .. وهيهات أن ينزغ أحد بيننا.

ثانيًا: ما يحصل في شمال سورية لا علاقة لنا به، بل زادنا ألمًا فوق ألمنا، وحمّلنا همًّا على همنا.

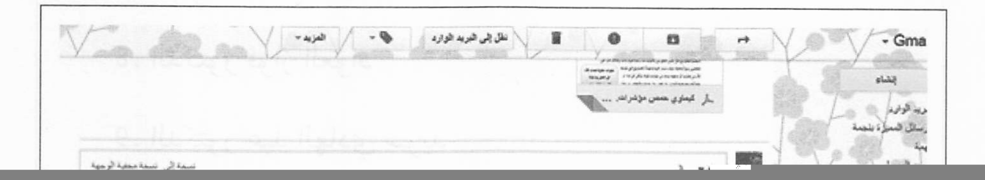
ثالثًا: ندعو إخوتنا في سورية عامة .. والشمال خاصة أن يتّقوا الله فينا .. ويعودوا صفًّا واحدًا كما يحبّ الله ويرضى.. عسى الله تعالى أن يجعل ذلك سبب نصر وفرج إنه وليٌّ ذلك القادر عليه، والحمد لله رب العالمين.

مجلس التنسيق العسكري في حمص.

(لواء الحق، لواء الفاروق- حمص، لواء حمص القديمة، كتائب أحفاد خالد، اتحاد ثوار حمص - المرابطون، كتائب الفاروق الإسلامية، هيئة حماية المدنيين).

حمص، 11-12-2013

صورة عن الرسالة الإلكترونية
في شأن توقع استخدام الأسلحة الكيماوية



تابع

6. أبو أنس الأثري عن جبهة الاصالة

7. رامي الدالاتي عن ثوار بابا عمرو

8. الدكتور فواز العواد

9. الدكتور عبد الهادي سويد

10. أبو صافي

11. إسماعيل جداع

12. واصل الشمالي

وكانت نتيجة الاجتماع:

- إنشاء غرفة عمليات تضم قائدًا عسكريًا عن كل التشكيلات أعلاه، مهمتها وضع الخطط العسكرية اللازمة

- إنشاء غرفة لوجستية تضم مندوبًا عن كل التشكيلات أعلاه، إضافة إلى أبو صافي، مهمتها عمليات الاستطلاع والمعلومات الاستخباراتية، وتأمين كل ما يلزم من وسائل لإنجاح المهمة، ووضعه تحت تصرف غرفة العمليات.

وقد اجتمعت الغرف المذكورة أعلاه، وابتدأ العمل في الغرفتين كلٌّ حسب اختصاصه، وتمت مخاطبة اللواء سليم إدريس، رئيس هيئة الأركان العامة الذي وعد بالدعم العسكري للعملية.

كما تم إجراء عدة عمليات استطلاع لأرض المعركة، وقد تبين أنها ستكون أكبر بكثير من فتح الطريق إلى حمص بسبب وجود حوالي 40 قرية معادية مليئة بالكمائن والشبيحة، الأمر الذي دعا إلى التريث قليلًا لوضع خطة تتناسب مع حجم القوات المعادية والقرى الحاضنة لها.

رد المكتب الإعلامي لرئيس الأركان على حملة الأكاذيب والافتراءات

الجمهورية العربية السورية
هيئة الأركان العامة
مكتب رئيس الأركان
الرقم: / 300901خ ع /
التاريخ: 2013/09/30م



بسم الله الرحمن الرحيم

{...... تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ}

صدق الله العظيم

رد المكتب الاعلامي لرئيس الأركان على حملة الأكاذيب والافتراءات

نشر على بعض الصفحات الالكترونية أكاذيب مفبركة تدعي زوراً وبهتانا أن رئيس الأركان يعطل مرور شحنات ذخائر وأسلحة لمدينة حمص الصامدة المجاهدة ، ولتبيان الحقائق وفضح الأكاذيب نطلع الأخوة في الوطن الحبيب على الحقائق التالية بخصوص ما نشر:

- الأخت الكريمة رزان شلب الشام لا علاقة لها بالأركان نهائياً ، واللواء سليم إدريس يخاطب الدول الداعمة بشكل مباشر ولا يحتاج وسيط ، ولا نعلم لماذا يحقدون عليها ويريدون الإساءة لها.
- الأخ الكريم حلمي الأتاسي يعلم كل تفاصيل الشحنة ونحن في رئاسة الأركان نعلم أنه تعرض للتضليل ونستحلفه بالله أن يتكلم.
- هناك شخص آخر من المجلس الأعلى ، وهو من جبهة حمص، يعلم كل تفصيلات الشحنة ويعلم أين ذهبت نطلب منه دون ذكر اسمه الآن أن يتكلم ويبلغ الناس ماذا حصل، وإن لم يتكلم سنذكر اسمه وكلامه شهاده هامه بهذا الخصوص ولا يجوز كتمان الشهادة.

تؤكد رئاسة الأركان أن جبهة حمص تلقى (حسب الامكانيات المتوفرة) كل الاهتمام ويعلم حقيقة ذلك الأخوة العقيد فاتح حسون قائد الجبهة، والعقيد الركن بشار سعد الدين قائد مجلس حمص، ورئاسة الأركان كانت لا تريد نشر شيء من هذه الحقائق كي لا تحدث أي تأثير سلبي على معنويات الثوار ولكن الهجمة الممنهجة والمأجورة التي تتعرض لها وما يلفق فيها من تهم وافتراءات عارية عن الصحة أجبرتنا أن نضع هذه الحقائق أمامكم ، ولدينا الكثير الكثير وسيأتي الوقت المناسب لنشر المزيد بعد انتصار الثورة بإذن الله وحمص عاصمة الثورة بأهالها الخيرين الميامين لن تكون جزءاً من كيان المجرم الطائفي وستبقى حمص أبن الوليد سيدنا أبا سليمان قاهر الفرس المجوس .

تحية الى أبطال حمص الشرفاء الأحرار ، وإلى كل أبطالنا المجاهدين الصابرين المرابطين ، والرحمة للشهداء على امتداد الوطن، والشفاء للجرحى ، والنصر قريب بإذن الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

القرارات الصادرة عن اجتماع الهيئة السياسية للائتلاف الوطني السوري

الجمعة - السبت 2-3/ 5/ 2014

قرار 1:

نشر قرارات الهيئة السياسية وحيثياتها على بريد الهيئة العامة للائتلاف فور انتهاء الاجتماع.

قرار 2:

اعتماد مسودة خطة عمل الديوان العام للائتلاف.

قرار 3:

1. لا يجوز الجمع بين عضوية الهيئة العامة للائتلاف ومنصب سفير أو ممثل الائتلاف
2. ينفذ هذا القرار خلال شهر من تاريخ صدوره.

قرار 4:

يُطلب من الحكومة المؤقتة ووحدة تنسيق الدعم إقامة ورشة عمل مشتركة بين التقنيين العاملين فيهما، لوضع آلية لتنسيق وإشراف الحكومة السورية المؤقتة على عمل وحدة تنسيق الدعم، ويشارك فيها أعضاء الهيئة السياسية للائتلاف التالية أسماؤهم:

1. أحمد رمضان
2. نصر الحريري
3. محمد خير بنكو
4. زياد حسن
5. بالإضافة للسيد طارق الكردي

على أن ترفع توصياتها للهيئة السياسية خلال أسبوعين من تاريخه

قرار 5:

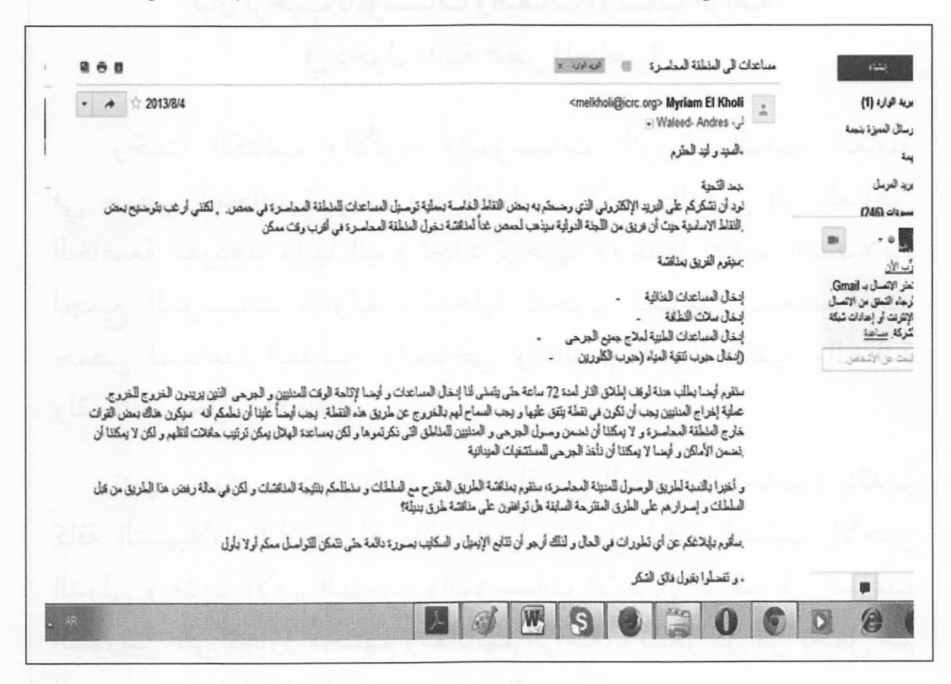
تشكيل لجنة لمتابعة ورعاية لشؤون الأسر النازحة من حمص المحاصرة، مكونة من:

1. نورا الأمير من الائتلاف.
2. محمد خير الوزير من الائتلاف.
3. سهير الأتاسي من وحدة تنسيق الدعم
4. رواد الأكسح من هيئة الأركان
5. منذر سراس من هيئة الأركان
6. بشار سعد الدين من هيئة الأركان
7. إياد جمعة من هيئة الأركان
8. محمد أبو السعود من المكتب الإعلامي
9. مناف الحمد من الحكومة السورية المؤقتة

قرار 6:

الاجتماع القادم للهيئة السياسية بتاريخ 20/ 5/ 2014

نسخة عن رسالة موجّهة إلى اللجنة الدولية للصليب الأحمر



مساعدات الى المنطقة المحاصرة

<melkholi@icrc.org> **Myriam El Kholi** 2013/8/4

لي، Waleed، Andres

السيد و ليد المحترم،

بعد التحية،
نود أن نشكركم على البريد الإلكتروني الذي وضحتم به بعض النقاط الخاصة بعملية توصيل المساعدات للمنطقة المحاصرة في حمص. لكنني أرغب بتوضيح بعض النقاط الاساسية حيث أن فريق من اللجنة الدولية سيذهب لحمص غداً لمناقشة دخول المنطقة المحاصرة في أقرب وقت ممكن.

سيقوم الفريق بمناقشة:

- إدخال المساعدات الغذائية
- إدخال سلات النظافة
- إدخال المساعدات الطبية لعلاج جميع الجرحى
- إدخال حبوب تنقية المياه (حبوب الكلورين)

سنقوم أيضا بطلب هدنة لوقف إطلاق النار لمدة 72 ساعة حتى يتسنى لنا إدخال المساعدات و أيضا لإتاحة الوقت للمدنيين و الجرحى الذين يريدون الخروج للخروج. عملية إخراج المدنيين يجب أن تكون في نقطة يتفق عليها و يجب السماح لهم بالخروج عن طريق هذه النقطة. يجب أيضاً علينا أن نعلمكم انه سيكون هناك بعض القوات خارج المنطقة المحاصرة و لا يمكننا أن نضمن وصول الجرحى و المدنيين للمناطق التي ذكرتموها و لكن بمساعدة الهلال يمكن ترتيب حافلات لنقلهم و لكن لا يمكننا أن نضمن الأماكن و أيضا لا يمكننا أن نأخذ الجرحى للمستشفيات الميدانية.

و أخيرا بالنسبة لطريق الوصول للمدينة المحاصرة، سنقوم بمناقشة الطريق المقترح مع السلطات و سنعلمكم بنتيجة المناقشات و لكن في حالة رفض هذا الطريق من قبل السلطات و إصرارهم على الطرق المقترحة السابقة هل توافقون على مناقشة طرق بديلة؟

سأقوم بإبلاغكم عن أي تطورات في الحال و لذلك أرجو أن تتابع الإيميل و السكايب بصورة دائمة حتى نتمكن التواصل معكم أولا بأول.

و تفضلوا بقبول فائق الشكر،

وضع المحاصَرين الصعب



وضع المدنين جداً صعب في المنطقة المحاصرة

<waleedfares1984@gmail.com> **waleed fares** 2013/8/7

Myriam

السلام عليكم
الصواريخ تنهال فوق رؤس الناس كل يوم والوضع الطبي جداً صعب, الجرحى يؤنون دون أن نجد من يعالجهم علاجاً تاماً, لا أعرف إن كان بوسعكم الاسراع في تنفيذ مهمتكم؟, إن أمكنكم ضمان وصول الجرحى والأسر إلى الوعر على الاقل فهذا سيكون جيد بالنسبة لنا ولهم.
بانتظار ردكم السريع

<melkholi@icrc.org> **Myriam El Kholi** 2013/8/7

Waleed، لي

السيد وليد، تحياتي

لقد سافر فريق مرة أخرى لحمص اليوم للمرة الرابعة للمناقشة مع المحافظ و الأمن الدخول للمنطقة المحاصرة. نحن جاهزون فقط ننتظر الضوء الأخضر منهم و أيضا الموافقة على الطريق الذي سوف نسلكه للدخول. نأمل أن تكون هذه المرة الأخيرة ونأمل أيضا أن نتمكن من توصيل المساعدات في القريب العاجل. نحن نفعل ما في وسعنا و سوف أخبرك عن أي تطورات اليوم أو غدا.

مريم

150 years of humanitarian action

بيان ترحيب بالمؤسسات والبعثات الإنسانية الراغبة في دخول مدينة حمص المحاصرة

رحّبت الكتائب والألوية والمؤسسات الثورية والمدنية العاملة في حمص المحاصرة بزيارة وفد الصليب الأحمر الدولي إلى المناطق الخاضعة لنفوذها، وإنها اليوم تجدد ترحيبها ووعدها بتقديم التسهيلات لجميع المؤسسات الدولية والمحلية لدخول المناطق المحاصرة من حمص لمساعدة المدنيين والجرحى وإغاثتهم بالمواد الطبية والغذائية ولقاحات وحليب الأطفال.

تتعهد المؤسسات والكتائب العاملة في المنطقة المحاصرة بتقديم كافة التسهيلات اللازمة لضمان وصول وعمل لجنة الصليب الأحمر الدولي وبعثات الأمم المتحدة والمؤسسات الأخرى الراغبة في مساعدة السوريين على تجاوز محنتهم ومعاناتهم الراهنة، وتشكر كل من يحمل همَّ السوريين ويحاول أن يخفف عنهم معاناتهم وآلامهم.

مجلس مدينة حمص المحاصرة

المجلس العسكري في حمص المحاصرة

ويضم: (لواء الحق، هيئة حماية المدنيين، كتائب الفاروق المستقلة، كتائب الفاروق الإسلامية، كتيبة أحفاد خالد بن الوليد، لواء شهداء حمص، لواء حمص القديمة، اتحاد ثوار حمص، لواء الخير، كتيبة جند الله، ومختلف الكتائب الأخرى العاملة في مدينة حمص المحاصرة)

حمص في 11-7-2013

نسخة عن بيان هدنة مقترحة من الثوار

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان رقم (٢) من القوى العاملة في حمص المحاصرة

بخصوص تفاصيل الهدنة وآليات العمل المقترحة

الهدنة المقدمة من طرفنا ستكون مكونة من مرحلتين منفصلتين تماما ولكن متلازمتين. ولا يمكن الانتقال إلى المرحلة الثانية دون إنهاء الأولى، كما أننا نرفض الحديث عن أي قضايا سياسية قبل حل القضية الإنسانية بحدودها الدنيا وإنهاء سياسة التجويع بها.

- <u>المرحلة الأولى:</u>

أولاً: تبدأ الهدنة بوقف إطلاق نار شامل وتام كامل مدينة حمص بكامل أحيائها المحاصرة والمحتلة بما فيها حي الوعر، وبمضي ٢٤ ساعة على وقف إطلاق النار يتم إدخال المواد المذكورة بالبند التالي، ويستمر وقف إطلاق النار معها لمدة عشرة أيام لتنفيذ المرحلة الأولى والثانية.

ثانياً: المواد المطلوب إدخالها لإيقاف المجاعة الموجودة حاليا في المناطق المحاصرة تتمثل:

- سلات غذائية متكاملة بكمية لا تقل عن ٢٠٠٠ سلة، وبوزن إجمالي للطعام لا يقل عن ٦٠ طن من أصناف الطعام المتنوع (أرز، برغل، سكر، معكرونة، معلبات، تمر، تمر هندي....).
- ٤٠- ٥٠ طن من الطحين.
- طن من الحليب المجفف للأطفال الرضع وطن من التمر.

مع العلم أن المحتاجين للمساعدة العاجلة تتراوح أعدادهم بين ٦٠٠٠-٧٠٠٠ إنسان داخل الأحياء المحاصرة في قلب مدينة حمص.

ثالثاً: يتم إدخال المواد الغذائية من قبل جهة محددة يتم الإعلان عنها فور الاتفاق على وقف إطلاق النار، وذلك عن طريق الصليب الأحمر أو الأمم المتحدة، ونحن جاهزون لأي ضمانات تتعلق بعملية الرقابة التي ستدخل هذه المساعدات، والتأكد أنه سيتناول الطعام فيها ملتزمون لها أكبر درجات الشفافية كما أنه سيكون من السهل جدا إن حصل خرق للهدنة معرفة من أطلق النار.

- <u>المرحلة الثانية:</u>

أولاً: بعد إدخال الطعام يتم فتح الممر الإنساني بين المنطقة المحاصرة وحي الوعر، وذلك من طريق الدبلان ويسمح بتواجد نقطة الشرطة المدنية من طرف النظام للتأكد من عدم خروج أي شخص بسلاحه مع مندوبين من الأمم المتحدة للتأكد من عدم حصول أي تجاوزات أو اعتقالات، ولضمان عدم حصول أي لبس ستقدم للأمم المتحدة قائمة بالراغبين بالخروج من المناطق المحاصرة قبل ٤٨ ساعة من الخروج الفعلي لأخذ تأكيد من النظام بعدم اعتقال أي مواطن خارج من المنطقة المحاصرة.

ثانياً: بالتوازي مع فتح الممر الإنساني إدخال المواد الطبية التي هناك حاجة ماسة لها.

صورة من رسالة موجّهة إلى الممثل المقيم للأمم المتحدة

سعادة السفير يعقوب الحلو المحترم

الممثل المقيم للأمم المتحدة في سورية

تحية طيبة وبعد :

استناداً لمناقشاتنا منذ يوم الجمعة ٢٠١٤/١/٢٤ وما تلاها من لقاءات ومناقشات وخاصة لجهة معالجة أوضاع الأحياء القديمة في مدينة حمص وعطفاً على ما تم التوصل إليه خلال الأيام الماضية نؤكد لكم ما يلي :

١- استعدادنا لتأمين الدعم اللازم لكم في المساهمة معنا في خروج المدنيين من " أطفال - نساء - كبار السن " في أقرب وقت ممكن .

علما أننا نرى أن النساء هن الاناث بشكل عام ، والأطفال هم الذين لم يتجاوزوا العمر ١٥ سنة وكل من دون ذلك في السن ، أما كبار السن هم كل من بلغ العمر ٦٠ سنة ومن هم فوق ذلك .

٢- اتفقنا على تنفيذ الخطوة الأولى وهي خروج الدفعة الأولى من المدنيين واستقبالهم في أقرب مكان مناسب من المدينة القديمة بمشاركة وحضور ممثلي الأمم المتحدة وحبذا أيضا ممثلي لجنة الصليب الأحمر الدولي وذلك بوجود فريق العمل من طرفنا والمؤلف من لجنة اجتماعية طبية ومندوبي الهلال الأحمر السوري والشرطة المدنية وفيها بعض عناصر الشرطة النسائية.

بعد استقبال المتوقع خروجهم وتأمين احتياجاتهم الاغاثية والطبية حيث تتم عملية التدقيق والتفتيش أصولا بالتعاون معكم .

وبعد ذلك يمكن للمدنيين الذين خرجوا وتم تقديم كل ما يلزم لهم أن ينتقلوا إلى مركز الضيافة والإيواء الذي تم تجهيزه في مكان مناسب وقريب من المدينة القديمة بحضور ومعرفة مندوبيكم في حمص وبذلك يكون وضعهم مثل أوضاع جميع السوريين الموجودين في مراكز الإيواء بإشراف الشؤون الاجتماعية والجمعيات والهلال الأحمر .

يتبع

تابع

كما يمكن لهم أن يختاروا الذهاب إلى أي مكان يرغبون بالتوجه إليه للإقامة بما في ذلك حي الوعر في مدينة حمص .

٣- يتم الاجتماع فورا بعد خروج الدفعة الأولى المشار إليها من اجل تحديد الاحتياجات الأساسية المقرر إدخالها إلى أحياء المدينة القديمة وذلك وفق تقديرات لجنة الإغاثة الفرعية وفريق عمل الهلال الأحمر السوري وهي سوف تتضمن " سلل غذائية وصحية - أدوية - أي مواد هامة للعائلة بشكل عام " ومن المفهوم أنها الحاجات الضرورية إلى من لم يخرج من المدنيين ، ونؤكد أن ذلك سيكون بإشراف مشترك بين سلطات المحافظة ومندوبي الأمم المتحدة والصليب الأحمر في حال مشاركتهم على أن يتم تأمين الحماية لهم في جميع المناطق التي يسيطر عليها الجيش العربي السوري والجهات المختصة .

٤- يمكن لمن يرغب من حاملي السلاح الاستفادة من هذه العملية الإنسانية والخروج من أحياء المدينة القديمة على أن يتم التعامل معه وفق الإجراءات التي تقوم بها الحكومة في تسوية أوضاعهم مع الجهات المختصة مستفيدين من مراسيم العفو الرئاسي والتعليمات الصادرة بهذا الشأن .

٥- بالنسبة للمصابين وذوي الاحتياجات الخاصة يتم نقلهم إلى المشافي بالتعاون مع الهلال الأحمر وتقديم كافة الاحتياجات الممكنة لهم والرعاية اللازمة .

كما يمكن لهم الاستفادة من الحقوق الواردة في الفقرة السابقة في حال كانوا مطلوبين للعدالة والقضاء وبالتالي تسوية أوضاعهم وفق الأسس المتفق عليها .

٦- من المفهوم والمتفق عليه أن تنفيذ الفقرتين السابقتين " ٤ - ٥ " تتم بعد استلام لوائح اسمية بالراغبين الاستفادة من هذه العملية وإعلامهم بشكل مسبق لجهة كيفية معالجة أوضاعهم وتسويتها بعد خروجهم .

حيث يترك لهم الاختيار بالخروج أو البقاء داخل الأحياء القديمة .

نسخة عن رد على طرح الحلواني من أجل إنجاز اتفاق في المنطقة المحاصرة

السيد الدكتور أمين حلواني المحترم

رداً على ورقة العمل التي تم طرحها والتي تشكل إطار تسوية لمدينة حمص، نحن القوى العاملة على أرض حمص المحاصرة لا نرى مانعاً من ذلك إذا كانت مجدولة بمراحل وزمن للمراحل كما نوضحها في:

المرحلة الأولى: تبدأ فور اتفاق الطرفين على الهدنة ويتم فيها وقف فوري وشامل لإطلاق النار على كافة المستويات وتثبيت الحالة العسكرية الراهنة.

المرحلة الثانية: تبدأ بعد يومين من سريان وقف إطلاق النار، وتستمر لمدة سبعة أيام كحد أقصى، ويتم من خلالها تنفيذ بعض الأعمال ذات الطابع الإنساني، آتيها بالترتيب:

١. إدخال المساعدات الغذائية والطبية اللازمة
٢. تبادل الجثث من الطرفين.
٣. إخراج المرضى والحالات الإنسانية المستعجلة بمعرفة المنظمات الإنسانية الدولية.
٤. دراسة الخطوات المطلوبة لإعادة تأهيل السوق.
٥. دراسة الخطوات اللازمة لتسهيل الحركة بين الأحياء المحاصرة.

المرحلة الثالثة: تبدأ فور انتهاء المرحلة الثانية، وتستمر لمدة شهر كحد أقصى، ويتم من خلالها تنفيذ بعض الأعمال ذات الطابع الأمني الإنساني، وأهمها:

١. إطلاق سراح المعتقلات فوراً.
٢. الكشف عن مصير المفقودين من الطرفين.
٣. الإفراج عن كافة المعتقلين في حمص على خلفية الأحداث.
٤. البدء بتنفيذ الدراسات الخاصة بتهيئة المناطق وتسهيل الحركة التي تمت دراستها في المرحلة السابقة.
٥. إعادة تأهيل شبكات المياه والكهرباء في أحياء حمص القديمة وتشغيل المصانع منها مباشرة.
٦. فتح معبر إنساني دائم بين حمص القديمة وحي الوعر.
٧. إعادة الكهرباء بشكل فوري لحي الوعر، وإزالة الحواجز الإسمنتية التي تفصل بين أحياء المدينة.
٨. سحب الثكنات العسكرية من مشفى البر.
٩. تسهيل عودة الأهالي إلى الأحياء التي لا تخضع لسيطرتنا.
١٠. تأمين طريق آمن لخروج الراغبين بالخروج من المدينة بسلاحهم.

المرحلة الرابعة: يتم فيها دراسة الحلول المناسبة لمشاكل حمص كافة بشكل منصف وعادل.

فهرس عام

-ب-

-ت-

-ك-

السيرة الشخصية

ولد وليد الفارس في مدينة حمص السورية في سنة 1984، ونال الماجستير في العلاقات الاقتصادية الدولية من جامعة دمشق في سنة 2010. عمل في التدريب والبحث الاقتصادي. اعتقلته السلطات السورية مرتين بسبب نشاطه السياسي في صفوف المعارضة، أصبح عضوًا في مجلسها الثوري في محافظة حمص.